التجديد في الإتقان والتجويد

كتاب مشتمل على شتى فنون قواعد الأداء

تأليف

أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان

عضو نقابة قراء ومحفظي القرآن الكريم

بجمهورية مصر العربية

ويليه

الكواكب الدرية في نزول القرآن على سبعة أحرف

تأليف

محمد بن علي بن خلف الحسيني المالكي الأزهري

المعروف بالحداد

المتوفى سنة ١٣٥٧ هـ

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Droits exclusifs à

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée de l'éditeur.

الطبعة الأولى

٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3612-7

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

التجديد في الإتقان والتجويد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا**﴾ [النساء: ١].

﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدًا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا**﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد .. فإن أصدق الحديث كتاب الله -تعالى-، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك:

﴿**ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**﴾ [البقرة: ١٢٧].

﴿**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿**ربنا أفرغ علينا صبرًا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين**﴾ [البقرة: ٢٥٠].

﴿**ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب**﴾[إبراهيم: ٤١].

﴿**ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير * ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ [الممتحنة: ٤، ٥].

يا رب: أدعوك وأنا العبد الذليل، وأنت الرب العزيز، يا رب أسألك من فضلك ورحمتك لي ولكل المسلمين. اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى. اللهم ألهمنا رشدنا، وأعذنا من شرور أنفسنا، اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلم ونستغفرك لما لا نعلم. اللهم إنا عبيدك بنو عبيدك بنو إمائك، نواصينا بيدك، ماض فينا حكمك عدل فينا قضاؤك، نسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور أبصارنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا، اللهم ذكرنا منه ما أنسينا، وعلمنا منه ما جهلنا، وارزقنا حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا، واجعله سابقًا لنا إلى رضوانك وجنتك، اللهم اجعله حجة لنا لا حجة علينا. اللهم زينا بزينة القرآن، وأكرمنا بكرامة القرآن وشرفنا بشرافة القرآن، وألبسنا بخلعة القرآن، وأدخلنا الجنة بشفاعة القرآن، وعافنا من كل بلاء الدنيا وعذاب الآخرة بحرمة القرآن، وارحم جميع المسلمين يا أرحم الراحمين يا رحمن، اللهم اجعل القرآن لنا في الدنيا قرينًا، وفي القبر مؤنسًا، وفي القيامة شفيعًا، وعلى الصراط نورًا، وإلى الجنة رفيقًا، ومن النار سترًا وحجابًا وإلى الخيرات كلها دليلاً وإمامًا بفضلك وجودك وكرمك يا كريم. اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. اللهم إنا نسألك الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ، اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، ونسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لنا خيرًا... آمين.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

قال الله تعالى:

﴿ونترل من القرءان ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

قال ابن كثير -رحمه الله تعالى- في تفسيره العظيم: «يقول تعالى مخبرًا عن كتابه الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ، إنه شفاء ورحمة للمؤمنين، أي: يذهب ما في القلوب من أمراض من شك ونفاق، وشرك وزيغ وميل، فالقرآن يشفي من ذلك كله، وهو أيضًا رحمة، يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه، فإنه يكون شفاءً في حقه ورحمة، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك، فلا يزيده سماع القرآن إلا بعدًا وكفرًا، والآفة من الكافر لا من القرآن، كقوله تعالى:

﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذاهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ [فصلت: ٤٤].

قال قتادة: إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه **﴿ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا﴾** أي لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه، فإن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين.

وبعد ..

فما أحوجنا في هذه الأيام العصيبة -وقد أخذت المقدسات وانتهكت الأعراض- أن نعود إلى ديننا، متمسكين بقرآننا، وسنة نبينا؛ ليعود لنا المجد السالف، والعزة المفقودة.

ما أحوجنا إلى شيوخ وشباب، ونساء وأطفال يتلون آيات الله في الليل والنهار، يطوفون حوله بقلوبهم، ولا يطوفون حول «أبو اليزيد والشبلي»، يعطون اليتيم ولا يأخذون منه، يحيون السيرة العطرة لا الخرافات.

ما أحوجنا إلى أن نحمل القرآن في قلوبنا والسلاح في أيدينا لنحرر مقدساتنا وأوطاننا من أعداء الإسلام والقرآن.

ما أحوجنا إلى جيل جديد يقرأ القرآن الكريم قراءة صحيحة، ويأخذه جملة بشرائعه وأحكامه، وحلاله وحرامه كما أخذه المسلمون الأولون فكانوا سادة الدنيا وأبطال التاريخ.

ومن المعلوم أن علم التجويد من أشرف العلوم وأجلها، وذلك لتعلقه بكتاب رب العالمين، والذكر الحكيم.

ولا يؤخذ هذا العلم عن الكتب والدفاتر والرسائل، فلا بد من تلقي كل علم عن أهله، وبخاصة علم التجويد، فابحث يا أخي عن أهل القرآن واعرض عليهم قراءتك واستمع لإرشاداهم وتلقينهم، كي تقرأ القرآن كما أقرأه جبريل للرسول الأعظم ﷺ، وكما أقرأه الرسول لصحابته الكرام، وكما تناقله حملته جيلاً بعد جيل حتى وصل إلينا محفوظًا وسيبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾.

ولست أدعي في عملي هذا الكمال، فالكمال من صفات الله–تعالى–، ولكن حسبي أني خطوت خطوة، ومهدت السبيل لطالب العلم ليتصل بهذا العلم، وليتعمق في دراسته، ويتصل بالقراءات وحلقات العلم.

ويحتوي هذا الكتاب على مباحث عدة علاقتها بالتجويد قوية وهي سلسلة مترابطة مرضية وسهلة المأخذ تعالج قضايا مترابطة مثل وجوب علم التجويد، ومناقشة المخارج والصفات وترتيبها ترتيبًا جديدًا، وتقديم بعض الجداول والرسومات التي تساعد على فهم هذه الأبواب، كما أنه تناول نبذة عن جمع القرآن وموضوعات أخرى، وقد ألحقت بهذا الكتاب بحثًا عما ورد في إنزال القرآن الكريم على سبعة أحرف من الأحاديث النبوية والأخبار المأثورة في بيان احتمال رسم المصاحف العثمانية للقراءات المشهورة ونص الأئمة الثقات في ضابط المتواتر من القراءات، وما يناسب ذلك، وذلك لتعلقه

بمادة الكتاب العلمية وتتميمًا للفائدة، وهو تأليف الإمام العالم الشيخ محمد الشهير بالحدّاد.

أرجو الله -تعالى- أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع بهذه الرسالة المبسطة عباده الصالحين وأن تكون لي ذخرًا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وصلى الله على نبي الرحمة وإمام المؤمنين والحمد لله رب العالمين.

أبو إسلام/ أحمد محمود عبد السميع أبو سنادة

مصر - المنيا - أبو قرقاص - بني موسى

٢٧ محرم ١٤٢٣هـــ ١٠ أبريل ٢٠٠٢م

وجوب علم التجويد، وأهمية التلقي من أفواه المشايخ

أ- وجوب علم التجويد :

- لقد اهتمت الأمة الإسلامية بعلم التجويد(١) اهتمامًا بالغًا، فقام علماء السلف ﷺ بخدمته ورعايته سواء بالتحقيق والتأليف أو القراءة والإقراء.

وبذلك ظل القرآن الكريم محفوظًا في الصدور مرتلاً مجودًا تحقيقًا لوعد الله -سبحانه وتعالى- بحفظه حيث قال: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾(٢).

والواقع أن من حق القرآن علينا نحن المسلمين أن نجيد تلاوته وترتيله حتى يكون عونًا لنا على تدبره، وتفهم معانيه، ولا يتأتى ذلك إلا بالاهتمام بدراسة علم التجويد ومعرفة أحكامه وتطبيقها إما بالاستماع إلى قارئ مجيد، أو القراءة على شيخ حافظ متقن مدقق.

وينقسم التجويد إلى قسمين :

(١) تجويد عملي.

(٢) تجويد علمي.

القسم الأول : التجويد العملي، أي: التطبيقي :

والمقصود به تلاوة القرآن الكريم تلاوة مجودة كما أنزلت على رسول الله ﷺ باعتباره مبلغًا عن الله -عز وجل-، حيث كان يعلم أصحابه القرآن الكريم فيقرأ عليهم ويستمع إليهم.

وحكم تلاوة القرآن الكريم تلاوة مجودة أمر واجب وجوبًا عينيًا على كل من يريد أن يقرأ شيئًا من القرآن الكريم من مسلم ومسلمة، والدليل على

---

(١) من كتاب غاية المريد ص٣٥.

(٢) سورة الحجر (٩).

وجوبه، -أي: الدليل على وجوب تلاوة القرآن الكريم تلاوة مجودة- قد جاء به القرآن الكريم والسنة، وإجماع الأمة. أما دليله من القرآن: فقوله -تعالى- في سورة المزمل: ﴿**ورتل القرآن ترتيلاً**﴾. كما أثنى الله -تبارك وتعالى- على طائفة من خلقه شرفهم بحفظ كتابه، وتلاوته حق التلاوة فقال تعالى: ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته**﴾[1] ومن حق التلاوة حسن الأداء وجودة القراءة، وقال الشوكاني في فتح القدير: أي يقرءونه حق قراءته ولا يحرفونه ولا يبدلونه.

ومما لا شك فيه أنه يفهم من الآية ذم الذين لا يحسنون تلاوة القرآن الكريم، ولا يراعون أحكام التجويد عند تلاوته.

وأما دليله من السنة: فمنها ما ثبت عن يعلى بن مملك أنه سأل أم سلمة -رضي الله عنها- عن قراءة رسول الله ﷺ وصلاته؟ قالت: ما لكم وصلاته؟ ثم نعتت قراءته فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفًا حرفًا. هذه رواية النسائي، ورواه الترمذي بلفظ آخر وقال فيه: حديث حسن صحيح.

وفي هذا الحديث دليل على أن تحسين القراءة وتجويدها هي سنة النبي ﷺ .

ومنها ما ثبت من حديث موسى بن يزيد الكندي رضي الله عنه قال: كان ابن مسعود رضي الله عنه يقرئ رجلاً فقال الرجل: ﴿**إنما الصدقات للفقراء والمساكين**﴾ مرسلة، فقال ابن مسعود ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقال الرجل: وكيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن؟ قال: أقرأنيها هكذا: ﴿**إنما الصدقات للفقراء والمساكين**﴾ ومدَّها.

وهكذا أنكر ابن مسعود رضي الله عنه على الرجل أن يقرأ كلمة (الفقراء) بالقصر لأن النبي ﷺ أقرأه إياها بالمد، فدل ذلك على وجوب تلاوة القرآن الكريم تلاوة صحيحة وهي الموافقة لأحكام التجويد.

---

(١) سورة البقرة (١٢١).

والواقع أن الناس كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن الكريم وإقامة حدوده فهم متعبدون أيضًا بتصحيح ألفاظه، وتجويد حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصل سندهم بالنبي ﷺ.

وهذه الصفة لا يمكن أن تؤخذ من المصحف ولا من الكتب، وإنما تؤخذ بالتلقي عن العلماء المتخصصين في ذلك؛ لأن هناك بعض الأحكام التي لا يمكن إتقانها إلا بالتلقي والمشافهة مثل: الروم والإشمام والتسهيل... وغير ذلك من الأحكام الدقيقة.

ومعرفة أحكام التجويد لها فضل كبير في مساعدة قارئ القرآن الكريم على عدم الإخلال بمباني الكلمات القرآنية ومعانيها. وبلوغ نهاية الإتقان هو رياضة اللسان على الأداء باللفظ الصحيح المتلقَّى عن فم المحسن المجيد للقراءة.

أما دليله من الإجماع: فقد أجمعت الأمة الإسلامية على وجوب تلاوة القرآن الكريم بالتجويد من زمن النبي ﷺ إلى زماننا هذا، و لم يختلف فيه منهم أحد، فلا يجوز لأي قارئ أن يقرأ القرآن بغير تجويد، وإلا كان من الذين شملهم الوعيد الشديد في قوله -تعالى-: ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا**﴾ (١).

وإلى ضرورة العمل بالتجويد يشير الإمام المحقق ابن الجزري بقوله:

والأخذ بالتجويد حتم لازم — من لم يجود القرآن آثم

لأنه به الإله أنزلا — وهكذا منه إلينا وصلا

وهو أيضًا حلية التلاوه — وزينة الأداء والقراءه

فقد جعله واجبًا شرعيًا يأثم الإنسان بتركه وبه قال أكثر العلماء والفقهاء، ذلك لأن القرآن نزل مجودًا وقرأه الرسول ﷺ على جبريل كذلك،

---

(١) سورة النساء (١١٥).

وأقرأه الصحابة فهو سُنَّة نبوية.

القسم الثاني : التجويد العلمي (النظري) :

والمقصود به: معرفة قواعده وأحكامه العلمية التي نحن بصدد الكلام عليها.

وحكم تعلم التجويد العلمي فالناس أمامه فريقان:

الفريق الأول: عامة الناس.. وتعلمه بالنسبة لهم مندوب، وليس بواجب.

الفريق الثاني: خاصة الناس .. وهم الذين يتصدون للقراءة أو الإقراء وتعلمه بالنسبة لهم واجب وجوبًا عينيًا؛ حتى يكونوا قدوة لغيرهم من العامة في تلاوة كتاب الله حق التلاوة.

وإن لم يكن هناك جماعة من الناس يقومون بتعليم الناس القرآن والأحكام أثم الجميع.

ب – أهمية التلقي من أفواه المشايخ (المشافهة) :

اشترط علماء وكبار فن التجويد في من يريد أن يأخذ علم التجويد أن لا بد له من التلقي من أفواه المشايخ، فالتلقي شرط لازم في هذا الفن، لأن التلقي يعتبر امتدادًا لسلسلة النور التي نزل بها سفير الوحي جبريل –عليه السلام– من اللوح المحفوظ إلى رسول الله ﷺ فتلقى الرسول من جبريل بالمشافهة –أي: ينطق أمين الوحي ويسمع الحبيب ﷺ ولا يحرك به لسانه حتى ينصرف –جبريل عليه السلام–، وهكذا أعطى الرسول ﷺ القرآن الكريم للصحابة أيضًا مشافهة، ينطق النبي ﷺ ويستمع الصحابة ثم يرددون ويحفظون، وهكذا منهم إلينا وصل القرآن الكريم، كما أنزل من السماء، ولأن هناك كلمات في القرآن يختلف رسمها عن نطقها نحو: ﴿**حم عسق**﴾، و ﴿**كهيعص**﴾، ولأن هناك أحكامًا لا تؤخذ من كتاب بل تؤخذ من أفواه المشايخ: كالروم والإشمام والفتح والإمالة والتقليل، ولأن المشافهة فيها الاقتداء بسنة النبي ﷺ وتحقيقًا لصحة الإسناد.

فائدة :

لعلم التجويد فوائد جمة منها : حسن الأداء وجودة القراءة الموصلان إلى رضا الله تعالى لتحصل السعادة في الدارين: الدنيا، والآخرة، ومنها البعد عن اللحن، ومنها حفظ القرآن كما أنزل وهناك فوائد لا يعلمها إلا من هذا كلامه وهو الله سبحانه.

مسائل ظن البعض أنها نوع واحد

١- ظن كثير من الدارسين والمتلقين للأحكام أن الإدغام ينقسم إلى نوعين فقط هما: إدغام بغنة، وإدغام بغير غنة، ولكن بالبحث والدراسة والنظر في بطون الكتب اتضح أن هناك أنواعًا كثيرة، منها:

(١) نوع من الإدغام يتعلق بأحكام النون الساكنة والتنوين، وذلك إذا أتى بعد النون الساكنة والتنوين حروف (يرملون) وينقسم إلى:

- إدغام بغنة نحو: (من يقول)، (يومئذ يصدر)، (من ولى)، (رحيم ودود)، (من ماء)، (صراطًا مستقيمًا)، ويسمى إدغامًا ناقصًا.

- إدغام بغير غنة نحو: (لئن لم ينته)، (هدى للمتقين)، (من ربهم)، (ثمرة رزقًا)، ويسمى إدغامًا كاملاً.

ومنها:

- إدغام اللام الشمسية، وتسمى اللام شمسية إذا كان بعدها أي حرف من الحروف الآتية:

الطاء، والثاء، والصاد، والراء، والتاء، والضاد، والذال، والنون، والدال، والسين، والظاء، والزاي، والشين، واللام، وعدد هذه الأحرف أربعة عشر حرفًا تجمع في أوائل كلم هذا البيت:

طب ثم صل رحمًا تفز ضف ذا نعم   دع سوء ظن زر شريفًا للكرم

وحكم هذه اللام الإدغام، وهذا ما اتفق عليه علماء هذا الفن، وتسمى لام (أل).

- إدغام المتجانسين الصغير، وذلك إذا كانت الحروف المتجانسة هي (ب - ت - ث - د - ذ) فقط، والمتجانسان الصغير إذا كان الحرف الأول ساكناً والثاني متحركاً.

- إدغام المثلين الصغير فقط، ويشترط أن يكون الحرف الأول ساكناً والثاني متحركاً، وحكمه وجوب الإدغام إلا إذا كان الأول حرف مد أو ها سكت، وأمثلة ذلك:

﴿اضرب بعصاك﴾، ﴿ربحت تجارتهم﴾، ﴿وقد دخلوا﴾، ﴿قل لكم﴾، ﴿وهم من﴾، ﴿عن نفس﴾، ﴿يدرككم﴾، ﴿يوجهه﴾.

- إدغام المتقاربين الصغير عند البعض، والكبير عند السوسي فقط.

- أمثلة لإدغام حروف الهجاء نفسها:

* إدغام الباء في الباء: نحو قوله تعالى: **﴿لذهب بسمعهم﴾**[(1)]. والقراءة لأبي عمرو.

* إدغام التاء في التاء: نحو قوله تعالى: **﴿الشوكة تكون﴾**[(2)] أدغم أبو عمرو التاء المثقلة من هاء (الشوكة) في تاء (تكون).

* إدغام الثاء في الثاء: أدغم أبو عمرو الثاء في مثلها في نحو قوله تعالى: **﴿ثالث ثلاثة﴾**[(3)].

* إدغام الجيم في الجيم: ذكر سيبويه أن الجيم لا تدغم إلا في الشين فقط[(4)].

---

(١) سورة البقرة (٢٠)، وهي قراءة السدس أيضًا، انظر معاني الفراء ١/١٩، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ١/١٣٤، والنشر لابن الجزري ١/٣٠٠، وشرح ابن يعيش ١٠/١٤٧.

(٢) سورة الأنفال (٧).

(٣) سورة المائدة (٧٣)، انظر الكتاب ٣/٥٥٩، والمقتضب ٢/١٨١، والنشر ١/٢٨٠.

(٤) ٤/٤٥٢ سيبويه، كقولك: ابعج شبثا، الإدغام والبيان حسنان لأنهما من مخرج

* إدغام الحاء في الحاء: ذكر أبو عمرو إدغام الحاء في مثلها في نحو قول الله تعالى: ﴿**عقدة النكاح حتى**﴾(١).

* إدغام الخاء في الخاء: من المعلوم أن الخاء والغين، وهما من مخرج واحد، وكل واحدة منهما لا تدغم إلا في مثلها أو في الأخرى، وقد ذكر ذلك الإمام السيرافي وقال: ولم أر أحدًا ذكر إدغام واحدة منهما في مثلها وفي الأخرى في القرآن إلا في قوله تعالى: ﴿**ومن يبتغ غير**﴾(٢) فإن أبا عمرو أدغمه فيه.

* إدغام الدال في الدال: أدغم أبو عمرو الدال في عشرة أحرف هي: التاء، والثاء، والجيم، والذال، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد، والظاء، ومن الممكن أن تدغم الدال في الذال في مثل قوله تعالى: ﴿**الودود ذو العرش**﴾ (٣).

* إدغام الذال في الذال: أدغم أبو عمرو الذال في مثلها في مثل قول الله تعالى: ﴿**إذ ذهب مغاضبًا**﴾(٤).

* إدغام الراء في الراء: تدغم الراء في مثلها، وروي عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يدغم الراء في مثلها، ساكنًا كان ما قبلها، أو متحركًا، والساكن ما قبلها نحو قول الله تعالى: ﴿**شهر رمضان**﴾(٥).

=

واحد، وهما من حروف وسط اللسان.

(١) سورة البقرة (٢٣٥) الآية (.. ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله)

(٢) سورة آل عمران (٨٥) (ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه) انظر إدغام القراء ص٢٩.

(٣) سورة البروج (١٤، ١٥).

(٤) سورة الأنبياء، (٨٧).

(٥) سورة البقرة (١٨٥).

* إدغام الزاي في الزاي: قال الإمام السيرافي في إدغام القراء: وأما الزاي فما أعلمها أدغمت في شيء من حروف القرآن، وقد أدغم فيها من الحروف ما يذكر في القرآن.

* إدغام السين في السين: أدغم أبو عمرو السين في مثلها في نحو قوله تعالى: ﴿**وجعل الشمس سراجًا**﴾[1]، وهذا جمع بين ساكنين وليس قبله حرف لين، وأدغمها في ﴿**جعلناه للناس سواء**﴾[2].

* إدغام الشين في الشين : أدغم أبو عمرو الشين في مثلها في نحو قوله تعالى: ﴿**إلى ذي العرش سبيلاً**﴾[3].

* إدغام الصاد في الصاد: لا تدغم الصاد في مثلها ولكنها تدغم في غيرها.

* إدغام الضاد في الضاد: ولم تدغم في شيء إلا ما ذكر أبو بكر بن مجاهد: أن أبا شعيب السوسي[4]، روى عن اليزيدي عن أبي عمرو، أنه كان يدغم الضاد في الشين في قوله تعالى: ﴿**لبعض شأنهم**﴾.

* إدغام الطاء في مثلها والظاء في مثلها: لا يوجد في إدغام الطاء في مثلها، ولا إدغام الظاء في مثلها شيء ولكنهما يدغمان في غيرهما.

* إدغام العين في العين: لا تدغم العين إلا في مثلها فقط، وذلك في قول الله تعالى: ﴿**من ذا الذي يشفع عنده**﴾، ولا يوجد شيء عن الغين إلا في غيرها.

---

(١) سورة نوح (١٦)، انظر النشر ١/٢٨٠.

(٢) سورة الحج (٢٥)، انظر النشر ١/٢٨٠.

(٣) لأن الشين فضل استطالة في التفشي وزيادة صوت السين انظر ابن يعيش (١٠/١٣٩).

(٤) هو صالح بن زياد السوسي، أبو شعيب، مقرئ ضابط للقراءات ثقة (ت ٢٦١هـ)، ترجمته في غاية النهاية ١/٣٣٢.

* إدغام الفاء في الفاء : لا تدغم الفاء إلا في مثلها مثل العين، لأن في الفاء تفشيًا، ولأنها أمكن موضعًا، وتدغم في مثلها في قوله تعالى: ﴿**وما اختلف فيه**﴾.

* إدغام القاف في القاف : تدغم القاف في مثلها في نحو قوله تعالى : ﴿**أدركه الغرق قال**﴾ بسورة يونس.

* إدغام الكاف في الكاف : تدغم في مثلها في نحو قول الله تعالى : ﴿**كي نسبحك كثيرًا**﴾ بسورة طه.

* إدغام اللام في اللام: أدغم أبو عمر اللام في اللام في نحو قول الله تعالى: ﴿**وإذ تقول للذي**﴾ بسورة الأحزاب.

* إدغام الميم في الميم: أدغم أبو عمرو الميم في الميم في نحو قول الله تعالى: ﴿**فتلقى آدم من ربه كلمات**﴾ بسورة البقرة.

* إدغام النون في النون: أدغم أبو عمرو النون في النون في نحو قول الله تعالى: ﴿**تخافون نشوزهن**﴾.

إدغام الواو في الواو: أدغم الواو في الواو أبو عمرو، فقد ذكر أبو بكر بن مجاهد أن أبا عمرو كان يدغمها في مثلها كقوله تعالى: ﴿**خذ العفو وأمر بالعرف**﴾.

* إدغام الهاء في الهاء: لا يدغم أبو عمرو الهاء إلا في مثلها، وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿**فيه هدى**﴾ في سورة البقرة.

* إدغام الياء في الياء: أدغم أبو عمرو الياء في مثلها إذا سكن ما قبلها أو تحرك كقوله تعالى: ﴿**ومن خزي يومئذ**﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿**فهي يومئذ**

---

(١) سورة هود (٦٦)، انظر النشر ١/٢٨٤، وتحبير التيسير، قال النحاس: الذي يرويه النحويون - مثل سيبويه ومن قاربه عن أبي عمرو في مثل هذا الإخفاء، فأما الإدغام فلا يجوز - لأنه يلتقي ساكنان ولا يجوز كسر الزاي، انظر تفسير القرطبي (٩/٦١).

واهية﴾، وقوله تعالى: ﴿**والبغي يعظكم**﴾.

٢- ظن الكثير أيضًا أن للإظهار نوع واحد، ولكن بالبحث والدراسة وجد أن له أنواعًا كثيرة، نذكر منها تسعة أنواع هي:

- الإظهار الحلقي : وهو متعلق بالنون الساكنة والتنوين، وحروفه:(ء -هـ-ع-ح-غ-خ) تجمع هذه الحروف في أوائل كلم هذا البيت[1]:

همز فهاء ثم عين حاء   مهملتان ثم غين خاء

- الإظهار الشفوي : وهو متعلق بالميم الساكنة، وحروفه: كل الحروف الهجائية ما عدا: (الباء - والميم) وأشده مع: (الواء - والفاء).

- الإظهار المطلق : يأتي هذا النوع في الكلمات الآتية فقط: (دنيا - بنيان - صنوان - قنوان).

- إظهار لام الاسم: وهذا النوع يأتي في مثل الكلمات الآتية: (ألسنتكم - ألوانكم).

- إظهار لام الفعل: وهذا النوع فيه إظهار لام الفعل، وهنا يستوي فيه الفعل الماضي والمضارع والأمر، فكل فعل وردت فيه لام الفعل فحكمها الإظهار وذلك نحو: (قل - قلنا - يلتقطه).

قال الجمزوري:

وأظهـــرن لام فعـــل مطلقًـــا   في نحـــو قـــل نعم وقلنا والتقى

- إظهار لام الحرف: وهذا النوع يأتي في (هل) و(بل) في القرآن الكريم.

- إظهار اللام القمرية: واللام القمرية يأتي بعدها من حروف الهجاء أربعة عشر حرفًا تسمى حروف اللام القمرية وتجمع في: «إبغ حجك وخف عقيمه»، وأمثلتها مرتبة كالآتي:

---

(١) هذا البيت من ذكر في متن تحفة الأطفال والغلمان، وهو من تأليف سليمان الجمزوري -رحمه الله تعالى-.

(الأنهار - الباسط - الغني - الحليم - الجبار - الكبير - الولي - الهادي)، وكل هذه الكلمات من القرآن الكريم.

- إظهار لام الأمر: وذلك في نحو قوله تعالى: (فلينظر - ثم ليقضوا - وليوفوا).

- إظهار المتباعدين والمتقاربين، والمثلين والمتجانسين من الحروف الهجائية، وكل هذه الأنواع يجب فيه الإظهار عند حفص.

موجز عن تاريخ التجويد والقراءات[1]

تاريخ التأليف في هذا الفن :

إن أول من وضع قواعد التجويد العلمية أئمة القراءة واللغة في ابتداء عصر التأليف، وقيل: إن الذي وضعها هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقال بعضهم: أبو الأسود الدؤلي، وقيل أيضًا أبو عبيد القاسم بن سلام، وذلك بعدما كثرت الفتوحات الإسلامية، وانضوى تحت راية الإسلام كثير من الأعاجم، واختلط اللسان الأعجمي باللسان العربي، وفشا اللحن على الألسنة، فخشي ولاة المسلمين أن يفضي ذلك إلى التحريف في كتاب الله، فعملوا على تلافي ذلك، وإزالة أسبابه، وأحدثوا من الوسائل ما يكفل صيانة كتاب الله -عز وجل- من اللحن، فأحدثوا فيه النقط والشكل بعد أن كان المصحف العثماني خاليًا منهما، ثم وضعوا قواعد التجويد حتى يلتزم كل قارئ بها عندما يتلو شيئًا من كتاب الله -عز وجل-.

ولقد كانت بداية النظم في علم التجويد قصيدة أبي مزاحم الخاقاني المتوفي سنة ٣٢٥ هـ وذلك في أواخر القرن الثالث الهجري وهي تعتبر أقدم نص نظم في علم التجويد.

ومنها نظم ابن الجزري المسمى بمتن الجزرية، وقصيدة سليمان الجمزوري المسماة بتحفة الأطفال، وقصيدة الشيخ الجليل الإمام العالم المقرئ الأديب صدر الشام علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي -رحمه الله تعالى-، وتسمى: عمدة المجيد وعدة المستفيد في معرفة التجويد (وهي مخطوطة)[2] تبدأ بقوله:

---

(١) ورد بكتاب غاية المريد في علم التجويد ص٢٢.

(٢) انظر مخطوط كتاب عمدة المجيد بمعهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة للسخاوي المتوفى ٦٤٣هـ.

يا من يروم تلاوة القرآن ويرود شأو أئمة الإتقان

وهناك كثير من القصائد المنظومة والأقوال المنثورة في فن التجويد.

وأما القراءات فلعل أول من جمع هذا العلم في كتاب هو الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام وذلك في القرن الثالث الهجري فقد ألف كتاب (القراءات) الذي قال عنه الحافظ الذهبي: ولأبي عبيد كتاب في القراءات ليس لأحد من الكوفيين مثله، توفي ابن سلام بمكة المكرمة سنة ٢٢٤هـ.

وقيل: إن أول من جمع القراءات ودونها: أبو عمرو حفص بن عمر الدوري المتوفى سنة ٢٤٦هـ، وقيل غير ذلك.

وقد اشتهر في القرن الرابع الهجري الحافظ أبو بكر بن مجاهد البغدادي، وهو أول من أفرد السبعة في كتاب، وقد توفي سنة ٣٢٤هـ.

كما اشتهر في القرن الخامس الهجري الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني[1] وله تصانيف كثيرة في هذا الفن، وأهمها كتاب التيسير، وقد توفي ببلاد الأندلس، ومن أهم مصنفاته[2]:

١- جامع البيان في السبع.

٢- كتاب التيسير.

٣- كتاب الاقتصاد في السبع.

٤- كتاب إيجاز البيان في قراءة ورش.

٥- التلخيص في قراءة ورش.

٦- المقنع في الرسم.

---

(١) هو الإمام الجليل عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو أبو عمرو المقرئ الأموي مولاهم، الأندلس: القرطبي. الحافظ، المالكي الداني شهرته وقيل كنيته أبو عمرو الداني، ابن الصيرفي قديمًا، مالكي المذهب، ولد سنة ٣٧١هـ وتوفي ٤٤٤هـ.

(٢) انظر مختصر في مذاهب القراء السبعة من تحقيقنا.

٧- كتاب المحتوى في القراءات الشواذ.

٨- طبقات القراء.

٩- الأرجوزة في أصول الديانة.

١٠- كتاب الوقف والابتداء.

١١- كتاب العدد.

١٢- كتاب التمهيد في حرف نافع.

١٣- كتاب اللامات والراءات لورش.

١٤- كتاب الفتن الكائنة.

١٥- كتاب الهمزتين.

١٦- كتاب الياءات.

١٧- كتاب الإمالة لابن العلاء.

١٨- كتاب الموضوع في الفتح والإمالة.

١٩- كتاب التجديد والإتقان.

أما في القرن السادس الهجري فقد اشتهر الإمام القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي[1] وألف «حرز الأماني ووجه التهاني» المعروف بالشاطبية والتي لخص فيها كتاب التيسير في القراءات السبع، وهي قصيدة مباركة، وعدد أبياتها ١١٧٣ بيتًا، وقد نظم أيضًا قصيدته الرائية المسماة: عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد في علم الرسم، وقصيدة أخرى تسمى «ناظمة الزهر» في علم عدد الآي، وقصيدة دالية خمسمائة بيت لخص فيها التمهيد لابن عبد البر.

ولقد حكى عنه أصحابه ومن كان يجتمع به عجائب وعظموه تعظيمًا

---

(١) هو القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد أبو القاسم وأبو محمد الشاطبي الرعيني الضرير، ولد آخر سنة ٥٣٨هـ بشاطبة من الأندلس، وقرأ ببلده القراءات وأتقنها على أبي عبد الله محمد بن أبي العاص النفري، وتوفى سنة ٥٩٠هـ.

بالغًا حتى أنشده الإمام الحافظ أبو شامة الدمشقي -رحمه الله- من نظمه قال:

رأيت جماعة فضلاء فازوا ... برؤية شيخ مصر الشاطبي

وكلهم يعظمه ويثني ... كتعظيم الصحابة للنبي(١)

ثم توالت بعد ذلك الأئمة الأعلام صارفين أعمارهم في التسابق لخدمة هذا العلم تصنيفًا وتحقيقًا، حتى قيض الله -عز وجل- له إمام المحققين أبا الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري، فألف الكثير من كتب القراءات، وله طيبة النشر في القراءات العشر، وقد ولد ابن الجزري -رحمة الله تعالى عليه- ليلة السبت الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ٧٥١هـ، وتوفي سنة ٨٣٣هـ.

منشأ اختلاف القراءات :

يقول ابن هاشم : إن السبب في اختلاف القراءات السبع وغيرها هو: أن الجهات التي وجهت إليها المصاحف التي كتبت في عهد الخليفة عثمان كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة وتلقوا عنه القرآن، وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل، فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعًا عن الصحابة بشرط موافقة ذلك لخط المصحف العثماني، وتركوا ما يخالفه امتثالاً لأمر الخليفة عثمان الذي وافقه عليه الصحابة لما رأوا في ذلك من الاحتياط للقرآن، ومن ثم نشأ الاختلاف بين قراءة الأمصار.

وعلى هذا(٢) يتضح لك أن الاختلاف في القراءات ليس اختلاف تضاد أو تناقض، لاستحالة وقوع ذلك في القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولكنه اختلاف تنوع وتغاير كأن تقول مثلاً: هلم أو تعال أو أقبل وكلها بمعنى واحد.

---

(١) حرز الأماني ووجه التهاني المتن ص١٠٠.

(٢) الكلام هنا للدكتور عطية قابل نصر في الغاية ص٢٤.

وإنما نشأ هذا الاختلاف تبعًا لما تلقاه الصحابة من رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-، ولأن الخليفة عثمان ﷺ لم يكتف بإرسال المصاحف وحدها إلى الأمصار لتعليم القرآن، وإنما أرسل معها جماعة من قراء الصحابة يعلمون الناس القرآن بالتلقين وقد تغايرت قراءاتهم بتغاير رواياتهم، ولم تكن المصاحف العثمانية ملزمة بقراءة معينة لخلوها من النقط والشكل لتحتمل عند التلقين الوجوه المروية، وقد أقرأ كل صحابي أهل إقليمه بما سمعه تلقيًا من رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-، وهي قراءة يحتملها رسم المصحف العثماني الذي أرسل منه نسخ إلى جميع الآفاق، فمثلاً: لفظ (فتبينوا) من قول الله تعالى: ﴿**إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا**﴾[1] من غير نقط يحتمل قراءة: (فتثبتوا).

وعلى هذا فقد تمسك أهل كل إقليم بما تلقوه سماعًا من الصحابي الذي أقرأهم وتركوا ما عداه، ولهذا ظهر الخلاف بين القراءات.

---

(١) سورة الحجرات (٦).

القراءات المتواترة

وهي عبارة عن اختلاف الكيفيات في تلاوة اللفظ القرآني المنزل على سيدنا محمد ﷺ، ونسبتها إلى قائليها المتصل سندهم برسول الله -ﷺ، ولزيادة الإيضاح يجب معرفة المصطلحات الآتية:

١- القراءة :

ويريدون بها الاختيار المنسوب لإمام من الأئمة العشرة بكيفية القراءة للّفظ القرآني على ما تلقاه مشافهة متصلاً سنده برسول الله ﷺ، فيقولون مثلاً: قراءة عاصم، قراءة نافع المدني، قراءة الكسائي... وهكذا.

٢- الرواية :

ويريدون بها ما نسب لمن روى عن إمام من الأئمة العشرة من كيفية قراءته للّفظ القرآني، وبيان ذلك أن لكل من الأئمة القراء راويين، اختار كل منهما رواية عن ذلك الإمام(١) في إطار قراءته، وقد عرف بها ذلك

(١) الأئمة العشرة القراء هم :

- نافع المدني :

هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، أصله من أصفهان، وكان إمام الهجرة، وتوفي بها سنة ١٦٩هـ تسع وستين ومائة.

- ابن كثير :

هو عبد الله بن كثير المكي، إمام أهل مكة، وولد بها سنة ٤٥هـ وتوفي بمكة سنة ١٢٠هـ عشرين ومائة.

- أبو عمرو البصري :

هو زبان بن العلا بن عمار بن العريان المازني التميمي البصري، ولد بمكة سنة ٦٨ هـ، وقيل ٦٥، وقيل اسمه يحيى وقيل اسمه كنيته، وتوفي بالكوفة الغراء سنة ١٥٤هـ أربع وخمسين ومائة.

- ابن عامر :

هو عبد الله بن عامر الشامي اليحصبي قاضي دمشق، في خلافة الوليد بن عبد =

=

الملك، ويكنى أبا عمرو، وهو من التابعين قال ابن عامر: ولدت سنة ثمان من الهجرة بضيعة يقال لها رحاب، وقبض رسول الله ﷺ ولي سنتان، وتوفي بدمشق سنة ١١٨هـ ثمان عشرة ومائة.

- عاصم الكوفي :

هو عاصم بن بهدلة أبي النجود الأسدي ويكنى أبا بكر، وهو من التابعين وكان شيخ الإقراء، ومن أحسن الناس صوتًا بالقرآن، وتوفي بالكوفة سنة ١٢٧هـ سبع وعشرين ومائة.

- حمزة الكوفي :

هو حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات، ويكنى أبا عمارة، ولد سنة ٨٠هـ ثمانين، وكان تاجرًا عابدًا، متورعًا، وتوفي في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ١٥٦هـ ست وخمسين ومائة.

- الكسائي الكوفي :

هو علي بن حمزة النحوي، ويكنى أبا الحسن وقيل له الكسائي من أجل أنه أحرم في كساء، انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة، وتوفي ببلدة يقال لها: رنبوية، سنة ١٨٩هـ تسع وثمانين ومائة من هجرة الرسول ﷺ.

- أبو جعفر المدني :

هو يزيد بن القعقاع المخزومي المدني، توفي بالمدينة سنة ١٢٨هـ ثمان وعشرين ومائة.

- يعقوب الحضرمي :

هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي، وتوفي بالبصرة سنة ٢٥٠ هـ، خمسين ومائتين.

- خلف البزار :

هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار البغدادي ولد سنة ١٥٠هـ، خمسين ومائة، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، وتوفي ببغداد سنة ٢٢٩هـ تسع وعشرين ومائتين.

الراوي[1] ونسبت إليه فيقال مثلاً: رواية حفص عن عاصم، رواية ورش عن

---

(١) وإذا أردنا أن نتعرف على الرواية العشرين نعلم أن لكل إمام من الأئمة العشرة عنه راويان، يتم بذلك عشرون راويًا :

- راويا نافع : قالون، وورش :

١- قالون :

هو عيسى بن مينا المدني معلم العربية، ويكنى أبا موسى، وقالون لقب له، يروى أن نافعًا لقبه به لجودة قراءته، لأن قالون بلسان الروم «جيد» ولد سنة ١٢٠هـ عشرين ومائة، وتوفي بالمدينة سنة ٢٢٠هـ عشرين ومائتين.

٢- ورش :

هو عثمان بن سعيد المصري، ويكنى أبا سعيد وورش لقب له، لقب به لشدة بياضه، وتوفي بمصر سنة ١٩٧هـ سبع وتسعين ومائة.

- راويا ابن كثير : البزي ، وقنبل :

٣- البزي :

هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة، المؤذن المكي، ويكنى أبا الحسن ولد سنة ١٧٠هـ سبعين ومائة، وتوفي بمكة سنة ٢٥٠هـ خمسين ومائتين.

٤- قنبل :

هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد المكي المخزومي، ويكنى أبا عمرو، ويلقب بقنبل، وتوفي بمكة سنة ٢٩١هـ، إحدى وتسعين ومائتين.

راويا أبي عمرو : الدوري ، والسوسي :

٥- الدوري :

هو أبو عمرو حفص بن عبد العزيز الدوري النحوي، والدور موضع ببغداد، وتوفي سنة ٢٤٦هـ ست وأربعين ومائتين.

٦- السوسي :

هو أبو شعيب صالح بن زياد بن عبد الله السوسي، توفي سنة ٢٦١هـ إحدى وستين ومائتين.

- راويا ابن عامر: هشام ، وابن ذكوان :

=

=

٧- هشام :

هو هشام بن عمار بن نصير القاضي الدمشقي، ويكنى أبا الوليد، توفي سنة ٢٤٥ هـ خمس وأربعين ومائتين.

٨- ابن ذكوان :

هو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القرشي الدمشقي، ويكنى أبا عمرو، ولد سنة ١٧٣هـ ثلاث وسبعين ومائة، وتوفي بدمشق سنة ٢٤٢هـ اثنين وأربعين ومائتين.

- راويا عاصم : شعبة ، وحفص :

٩- شعبة :

هو أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم الكوفي، ولد سنة ٩٥هـ خمس وتسعين، وتوفي سنة ١٩٣هـ ثلاث وتسعين ومائة بالكوفة.

١٠- حفص :

هو أبو عمر حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي، ويكنى أبا عمر، وكان ثقة، قال ابن معين: هو أقرأ من أبي بكر، توفي سنة ١٨٠هـ، ثمانين ومائة.

- راويا حمزة : خلف ، وخلاد :

١١- خلف :

هو خلف بن هشام البزار، ويكنى أبا محمد، توفي سنة ٢٢٩هـ تسع وعشرين ومائتين.

١٢- خلاد :

هو خلاد بن خالد، ويقال ابن خليد الصيرفي، توفي سنة ٢٢٠هـ بالكوفة عشرين ومائتين.

- راويا الكسائي : أبو الحارث، وحفص الدوري :

١٣- أبو الحارث :

هو الليث بن خالد البغدادي، توفي سنة ٢٤٠هـ أربعين ومائتين.

١٤- حفص الدوري :

هو الراوي عن أبي عمرو، وقد سبق ذكره.

=

نافع .. وهكذا.

٣- الطريق :

وهو ما نسب للناقل عن الرواية وإن سفل كما يقولون: هذه رواية ورش من طريق الأزرق.

=

- راويا أبي جعفر: ابن وردان، وابن جماز:

١٥- ابن وردان:

هو أبو الحارث عيسى بن وردان المدني، توفي بالمدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام سنة ٢٦٠هـ ستين ومائتين.

١٦- ابن جماز :

هو أبو الربيع سليمان بن مسلم بن جماز المدني توفي بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام سنة ١٧٠هـ سبعين ومائة.

- راويا يعقوب : رويس ، وروح :

١٧- رويس :

هو أبو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري، ورويس لقب له توفي بالبصرة سنة ٢٨هـ ثمان وثلاثين ومائتين.

١٨- روح :

هو أبو الحسن روح بن عبد المؤمن البصري النحوي، توفي سنة ٢٣٤هـ أربع وثلاثين ومائتين.

- راويا خلف : إسحاق، وإدريس :

١٩- إسحاق :

هو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عثمان الوراث المروزي، توفي سنة ٢٨٦ هـ ست وثمانين ومائتين من هجرة الحبيب محمد ﷺ.

٢٠- إدريس :

هو أبو الحسن إدريس بن عبد الكريم البغدادي الحداد، توفي سنة ٢٩٢هـ اثنين وتسعين ومائتين من هجرة النبي المصطفى محمد ﷺ.

الأحرف السبعة ونزول القرآن الكريم بها

لقد تواتر عن رسول الله ﷺ أن القرآن الكريم أنزل على سبعة أحرف، فقد ثبت عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: «**أقرأني جبريل علي حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف**» (١).

ومعنى أستزيده: أي: أطلب من جبريل -عليه السلام- أن يطلب من الله -عز وجل- الزيادة عن الحرف تخفيضًا على الأمة ورحمة وتوسعة عليها، حتى انتهى إلى سبعة كما ثبت أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القاري سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم فلبّبْته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت: كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ: «**أرسله... اقرأ يا هشام**» فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: «**كذلك أنزلت**». ثم قال: «**اقرأ يا عمر**»، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: «**كذلك أنزلت... إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه**»(٢).

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن انظر فتح الباري ج٩ ص٢٣ رقم ٤٩٩١، كما رواه مسلم في باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف واللّفظ للبخاري – رضي الله عنهما –.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب «أنزل القرآن على سبعة أحرف» انظر فتح الباري ج٩ ص٢٣ ح٤٩٩٢، كما رواه مسلم بلفظ آخر في باب «بيان =

وقد اختلفوا في المراد بالأحرف السبعة اختلافًا كثيرًا، والذي يرجحه المحققون من العلماء: مذهب الإمام أبي الفضل الرازي وهو: أن المراد بهذه الأحرف: الأوجه التي يقع بها التغاير والاختلاف، وهي لا تخرج عن سبعة:

١- الأول:

اختلاف الأسماء في الإفراد والتثنية، والتذكير والتأنيث مثل قول الله تعالى: ﴿**وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين**﴾[1] قرئ لفظ: (مسكين) بالإفراد كرواية حفص عن عاصم، وقرىء بالجمع هكذا: (مساكين) وهي قراءة ابن ذكوان ونافع.

٢- الثاني:

اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر نحو قوله تعالى: ﴿**فمن تطوع خيرًا**﴾ بالبقرة فقد قرئ هكذا على أنه فعل ماض، وقرئ: (يطوع) على أنه فعل مضارع مجزوم.

=

أن القرآن أنزل على سبعة أحرف» ومعنى أساوره: أقاتله وأواشبه، ومعنى فلببته بردائه: أي جمعت عليه رداءه عند لبته حتى لا يفك مني، وفي هذا دليل على ما كانوا يحرصون ويحافظون على ما سمعوه من النبي ﷺ .

(١) سورة البقرة (١٨٤) وتفصيل القراءة فيها كالآتي:

قرأ نافع وابن ذكوان بحذف التنوين وخفض الميم هكذا (فدية طعام مساكين) وقرأ هشام وأبو عمر والكوفيون وابن كثير بتنوين (فدية) ورفع الميم في طعام هكذا (فدية طعام مساكين)، وقرأ نافع وابن عامر (مساكين) بالجمع وترك التنوين، وقرأ هشام بالتنوين ورفع الميم وجمع مساكين، وقرأ الباقون بالتنوين ورفع الميم. قال الشاطبي:

وفدية نون وارفع الخفض بعد في ... طعام لذي غصن دنا وتذللا

مساكين مجموعًا وليس منونًا ... ويفتح منه النون عم وأنجلا

٣- الثالث :

اختلاف وجوه الإعراب، نحو قوله تعالى: ﴿**ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم**﴾ بالبقرة، فقد قرئ بضم التاء ورفع اللام على أن لا نافية، وقرئ بفتح التاء وجزم اللام على أن لا ناهية.

٤- الرابع :

الاختلاف بالنقص والزيادة كقول الله تعالى: ﴿**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم**﴾ بآل عمران، فقد قرئ هكذا بإثبات الواو قبل السين، وقرئ بحذفها.

٥- الخامس :

الاختلاف في التقديم والتأخير كقوله تعالى: ﴿**وقاتلوا وقتلوا**﴾ بآل عمران فقد قرئ هكذا بتقديم وقاتلوا وتأخير وقتلوا، وقرئ بتقديم وقتلوا وتأخير وقاتلوا.

٦- السادس :

الاختلاف بالإبدال أي جعل حرف مكان آخر كقول الله تعالى: ﴿**هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت**﴾ بيونس قرئ هكذا بتاء مفتوحة فباء ساكنة، وقرئ بتاءين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة (تَتْلو).

٧- السابع :

الاختلاف في اللهجات، كالفتح والإمالة والإظهار والإدغام، والتسهيل والتحقيق، والتفخيم والترقيق، وكذا يدخل في هذا النوع الكلمات التي اختلفت فيها لغة القبائل نحو: (خطوات) تقرأ بتحريك الطاء بالضم، وتقرأ بتسكينها، ونحو: (بيوت) تقرأ بضم الباء وتقرأ بكسرها[١].

---

(١) كذا ورد في الوافي للشيخ القاضي ص٧.

الحكمة من إنزال القرآن الكريم بالأحرف السبعة

تتلخص الحكمة في إنزال القرآن الكريم على الأحرف السبعة في أن العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ألسنتهم مختلفة، ولهجاتهم متباينة، ويتعذر على الواحد منهم أن ينتقل من لهجته التي نشأ عليها، وتعود لسانه التخاطب بها، فصارت طبيعة من طبائعه، وسجية من سجاياه، بحيث لا يمكنه العدول عنها إلى غيرها، فلو كلفهم الله -تعالى- مخالفة لهجاتهم لشق عليهم ذلك، وأصبح من قبيل التكليف بما لا يطاق، فاقتضت رحمة الله -تعالى- بهذه الأمة أن يخفف وييسر عليها حفظ كتابها وتلاوة دستورها كما يسر لها أمر دينها فأذن لنبيه أن يقرئ أمته القرآن على سبعة أحرف فكان ﷺ يقرئ كل قبيلة بما يوافق لغتها ويلائم لسانها.

ولعل من الحكمة أيضًا أن يكون ذلك معجزة للنبي على صدق رسالته حيث ينطق ﷺ القرآن الكريم بهذه الأحرف السبعة، وتلك اللهجات المتعددة، وهو النبي الأمي الذي لا يعرف سوى لهجة قريش.

صلة القراءات السبع بالأحرف السبعة

وأما عن صلة القراءات السبع بالأحرف السبعة المذكورة في الحديث فليعلم أن الأحرف السبعة نزلت في أول الأمر للتيسير على الأمة، ثم نسخ الكثير منها بالعرضة الأخيرة مما حدا بالخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى كتابة المصاحف التي بعث بها إلى الأمصار، وأحرق كل ما عداها، وليس الأمر كما توهمه بعض الناس من أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة.

والصواب أن قراءات الأئمة السبعة بل العشرة التي يقرأ الناس بها اليوم هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن العظيم، وورد بها الحديث، وهذه القراءات العشرة جميعها موافقة لخط مصحف من المصاحف العثمانية التي بعث بها الخليفة عثمان إلى الأمصار، بعد أن أجمع الصحابة عليها، وعلى طرح كل ما يخالفها.

آداب حامل القرآن(1)

من آداب حامل القرآن أن يكون على أكمل الأحوال وأكرم الشمائل، وأن يرفع نفسه عن كل ما نهى القرآن عنه إجلالاً للقرآن، وأن يكون مصونًا عن دنيء الاكتساب شريف النفس مرتفعًا على الجبابرة والجفاة من أهل الدنيا، متواضعًا للصالحين وأهل الخير والمساكين، وأن يكون متخشعًا ذا سكينة ووقار، فقد جاء عن عمر بن الخطاب ﵁ أنه قال: يا معشر القراء ارفعوا رءوسكم فقد وضح لكم الطريق فاستبقوا الخيرات لا تكونوا عيالاً على الناس.

وعن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس مفرطون، وبحزنه إذ الناس يفرحون، وببكائه إذ الناس يضحكون، وبصمته إذ الناس يخوضون، وبخشوعه إذ الناس يختالون.

وعن الحسن بن علي ﵁ قال: إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبروها بالليل ويتفقدوها في النهار.

وعن الفضيل بن عياض قال: ينبغي لحامل القرآن ألا تكون له حاجة إلى أحد من الخلفاء فمن دونهم.

وعنه أيضًا قال: حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو؛ تعظيمًا لحق القرآن.

ومن أهم ما يؤمر به أن يحذر كل الحذر من اتخاذ القرآن معيشة يكتسب بها، فقد جاء عن عبد الرحمن بن شبيل ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقرءوا القرآن، ولا تأكلوا به ولا تجفوا عنه، ولا تغلوا فيه**».

وعن جابر ﵁ عن النبي ﷺ: «**اقرءوا القرآن من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه، ولا يتأجلونه**». رواه بمعناه من رواية سهل بن سعد.

---

(1) ورد هذا المبحث في التبيان للنووي ص28.

ومعناه: يتعجلون أجره إما بمال وإما سمعة ونحوها.

وعن فضيل بن عمرو ﷺ قال: دخل رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ مسجدًا فلما سلم الإمام قام رجل فتلا آيات من القرآن ثم سأل. فقال أحدهما: إنا لله وإنا إليه راجعون سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيجيء قوم يسألون بالقرآن فمن سأل بالقرآن فلا تعطوه**»، وهذا الإسناد منقطع، فإن الفضيل بن عمرو لم يسمع الصحابة.

وأما أخذه الأجرة على تعليم القرآن فقد اختلف العلماء فيه، فحكى الإمام أبو سليمان الخطابي منع أخذ الأجرة عليه عن جماعة من العلماء منهم الزهري وأبو حنيفة.

وعن جماعة أنه يجوز إن لم يشترطه، وهو قول الحسن البصري والشعبي وابن سيرين، وذهب عطاء ومالك والشافعي وآخرون إلى جوازها إن شارطه واستأجره إجارة صحيحة، وقد جاء بالجواز الأحاديث الصحيحة واحتج من منعها بحديث عبادة بن الصامت: أنه علم رجلاً من أهل الصفة القرآن فأهدى له قوسًا. فقال له النبي ﷺ: «**إن سرك أن تطوق بها طوقًا من نار فاقبلها**». وهو حديث مشهور رواه أبو داود وغيره وبآثار كثيرة عن السلف.

وأجاب المجوزون عن حديث عبادة بجوابين:

أحدهما: أن في إسناده مقالاً.

والثاني: أنه كان تبرَّع بتعليمه فلم يستحق شيئًا. ثم أهدى إليه على سبيل العوض فلم يجز له الأخذ بخلاف من يعقد معه إجارة قبل التعليم. والله أعلم.

ينبغي أن يحافظ على تلاوته ويكثر منها، وكان السلف ﷺ لهم عادات مختلفة في قدر ما يختمون فيه، فروى ابن أبي داود عن بعض السلف ﷺ أنهم كانوا يختمون في كل شهرين ختمة، وعن بعضهم في كل شهر ختمة، وعن بعضهم في كل عشر ليال ختمة، وعن بعضهم في كل ثمان ليال، وعن

بعضهم في كل سبع ليال وهم الأكثر، وعن بعضهم في كل ست ليال، وعن بعضهم في كل خمس، وعن بعضهم في كل أربع، وعن كثيرين في كل ثلاث، وعن بعضهم في كل ليلتين، وختم بعضهم في كل يوم وليلة ختمة، ومنهم من كان يختم في كل يوم وليلة ختمتين، ومنهم من كان يختم ثلاثًا، وختم بعضهم ثماني ختمات أربعًا بالليل، وأربعًا بالنهار، فمن الذين كانوا يختمون ختمة في الليل واليوم: عثمان بن عفان ﷺ، وتميم الداري، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والشافعي، وآخرون. ومن الذين كانوا يختمون ثلاث ختمات: سليم ابن عمر ﷺ قاضي مصر في خلافة معاوية ﷺ.

وروى أبو بكر بن أبي داود أنه كان يختم في الليلة أربع ختمات.

وروى أبو عمر الكندي في كتابه في قضاة مصر أنه كان يختم في الليلة أربع ختمات. قال الشيخ الصالح أبو عبد الرحمن السلمي ﷺ: سمعت الشيخ أبا عثمان المغربي يقول: كان ابن الكاتب ﷺ يختم بالنهار أربع ختمات وبالليل أربع ختمات. وهذا أكثر ما بلغنا من اليوم والليلة.

وروى السيد الجليل أحمد الدورقي بإسناده عن منصور بن زادان -من عُبَّاد التابعين ﷺ أنه كان يختم القرآن فيما بين الظهر والعصر، ويختمه أيضًا فيما المغرب والعشاء في رمضان ختمتين وسيأتي وكانوا يؤخرون العشاء في رمضان إلى أن يمضي ربع الليل.

وروى أبو داود بإسناده الصحيح أن مجاهدًا كان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء.

وعن منصور قال: كان عليّ الأزدي يختم فيما بين المغرب والعشاء كل ليلة من رمضان.

وعن إبراهيم بن سعد قال: كان أبي يحتبي فما يحل حبوته حتى يختم القرآن.

وأما الذي يختم في ركعة فلا يحصون لكثرتهم، فمن المتقدمين: عثمان

ابن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير ﷺ، ختمة في كل ركعة في الكعبة.

وأما الذين ختموا في الأسبوع مرة فكثيرون نقل عن: عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأُبي بن كعب ﷺ، وعن جماعة من التابعين كعبد الرحمن بن زيد وعلقمة وإبراهيم -رحمهم الله-، والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر ما يحصل له كمال فهم ما يقرؤه، وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة، وقد كره جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة، ويدل عليه الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث**»[(١)].

وأما وقت الابتداء والختم لمن يختم في الأسبوع، فقد روى أبو داود أن عثمان بن عفان ﷺ كان يفتتح القرآن ليلة الجمعة ويختمه ليلة الخميس.

وقال الإمام أبو حامد الغزالي -رحمه الله تعالى- في الإحياء: الأفضل أن يختم ختمة بالليل وأخرى بالنهار، ويجعل ختمة النهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما، ويجعل ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدهما ليستقبل أول النهار وآخره.

وروى ابن أبي داود عن عمر بن مرة التابعي: قال: كانوا يحبون أن يختم القرآن من أول الليل أو من أول النهار.

---

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم قال الترمذي حديث حسن صحيح والله أعلم.

وعن طلحة بن مصرف التابعي الجليل قال: من ختم القرآن أية ساعة كانت من النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي، وأية ساعة كانت من الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح.

وعن مجاهد مثله.

وروى الدارمي في مسنده بإسناده عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: «إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح، وإذا وافق ختمه آخر الليل صلت عليه الملائكة حتى يمسي». قال الدارمي: هذا حسن عن سعد.

وعن حبيب بن أبي ثابت التابعي: أنه كان يختم قبل الركوع. قال ابن أبي داود: وكذا قال أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى- وفي هذا الفصل بقايا ستأتي إن شاء الله تعالى.

وينبغي أن يكون اعتناؤه بقراءة القرآن في الليل أكثر. قال الله تعالى : ﴿**من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين**﴾.

وثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل**». وفي الحديث الآخر من الصحيح أنه ﷺ قال: «**يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل ثم تركه**».

وروى الطبراني وغيره عن سهل بن سعد ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**شرف المؤمن قيام الليل**».

والأحاديث والآثار في هذا كثيرة، وقد جاء عن أبي الأحوص الحبشي قال: إن كان الرجل ليطرق الفسطاط طروقًا -أي: يأتيه ليلاً- فيسمع لأهله دويًّا كدوي النحل، قال: فما بال هؤلاء يأمنون ما كان أولئك يخافون؟.

وعن إبراهيم النخعي كان يقول: اقرءوا من الليل ولو حلب شاة.

وعن يزيد الرقاشي قال: إذا أنا نمت ثم استيقظت ثم نمت فلا نامت عيناي. قلت: وإنما رجحت صلاة الليل وقراءته لكونها أجمع للقلب، وأبعد عن الشاغلات والملهيات والتصرف في الحاجات، وأصون عن الرياء وغيره من المحبطات مع ما جاء الشرع به من إيجاد الخيرات في الليل. فإن الإسراء برسول الله ﷺ كان ليلاً، وحديث: «**ينزل ربكم إلى سماء الدنيا حين يمضي شطر الليل فيقول: هل من داع فأستجيب له...**» الحديث. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**في الليل ساعة يستجيب الله فيها الدعاء كل ليلة**».
وروى صاحب بهجة الأسرار بإسناده عن سليمان الأنماطي قال: رأيت علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في المنام يقول:

لولا الذين لهم ورد يقومونا وآخرون لهم سرد يصومونا
لدكدكت أرضكم من تحتكم سحرًا لأنكم قوم سوء لا تطيعونا

واعلم أن فضيلة القيام بالليل والقراءة فيه تحصل بالقليل والكثير، وكلما كثر كان أفضل، إلا أن يستوعب الليل كله فإنه يكره الدوام عليه وإلا أن يضر بنفسه، ومما يدل على حصوله بالقليل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقسطين**». رواه أبو داود وغيره.
وحكى الثعلبي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «من صلى بالليل ركعتين فقد بات لله ساجدًا وقائمًا».

فصل

في الأمر بتعهد القرآن والتحذير من تعريضه للنسيان

ثبت عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عقلها**» رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت**» رواه البخاري ومسلم.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبًا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها**» رواه أبو داود والترمذي وتكلم فيه.

وعن سعد بن عبادة عن النبي ﷺ قال: «**من قرأ القرآن ثم نسيه لقي الله -عز وجل- يوم القيامة وهو أجذم**» رواه أبو داود والترمذي.

فصل

فيمن ينام عن ورده

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نام عن حزبه من الليل أو عن شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنه قرأه بالليل**» رواه مسلم.

وعن سليمان بن يسار قال: قال أبو أسيد ﷺ: نمت البارحة عن وردي حتى أصبحت، فلما أصبحت استرجعت وكان وردي سورة البقرة فرأيت في المنام كأن بقرة تنطحني. رواه ابن أبي داود.

في كتابة القرآن وإكرام المصحف(١)

اعلم - أيدك الله تعالى بنصره - أن القرآن العظيم كان مؤلفًا في زمن النبي ﷺ على ما هو في المصاحف اليوم، ولكن لم يكن مجموعًا في مصحف، بل كان محفوظًا في صدور الرجال، فكان طوائف من الصحابة يحفظونه كله وطوائف يحفظون أبعاضًا منه، فلما كان زمن أبي بكر الصديق ﷺ وقتل كثير من حملة القرآن خاف موتهم واختلاف من بعدهم فيه فاستشار الصحابة ﷺ في جمعه في مصحف فأشاروا بذلك، فكتبه في مصحف وجعله في بيت حفصة أم المؤمنين -رضي الله عنها- فلما كان في زمن عثمان ﷺ وانتشر الإسلام خاف عثمان وقوع الاختلاف المؤدي إلى ترك شيء من القرآن أو الزيادة فيه فنسخ من ذلك المجموع الذي عند حفصة الذي أجمعت الصحابة عليه مصاحف وبعث بها إلى البلدان وأمر بإتلاف ما خالفها، وكان فعله هذا باتفاق منه ومن على بن أبي طالب وسائر الصحابة وغيرهم ﷺ. وإنما لم يجعله النبي ﷺ في مصحف واحد لما كان يتوقع من زيادة ونسخ بعض المتلو، ولم يزل ذلك التوقع إلى وفاته ﷺ فلما أمن أبو بكر وسائر أصحابه ذلك التوقع واقتضت المصلحة جمعه فعلوه ﷺ واختلفوا في عدد المصاحف التي بعث بها عثمان. فقال الإمام أبو عمرو الداني: أكثر العلماء على أن عثمان كتب أربع نسخ: فبعث إلى البصرة إحداهن، وإلى الكوفة أخرى، وإلى الشام أخرى، وحبس عنده أخرى، وقال أبو حاتم السجستاني: كتب عثمان سبعة مصاحف: بعث واحدًا إلى مكة، وآخر إلى البحرين، وآخر إلى البصرة، وآخر إلى الكوفة، وحبس بالمدينة المنورة واحدًا، وهذا مختصر ما يتعلق بأول جمع المصحف، وفيه أحاديث كثيرة في الصحيح. وفي المصحف ثلاث لغات ضم الميم وكسرها وفتحها، فالضم والكسر مشهورتان، والفتح ذكرها أبو جعفر

(١) انظر التبيان ص١١٠.

النحاس وغيره.

اتفق العلماء على استحباب كتابة المصاحف وتحسين كتابتها وتبيينها وإيضاحها وتحقيق الخط دون مشقة، وتعليقه.

قال العلماء: ويستحب نقط المصحف وشكله فإنه صيانة من اللحن فيه وتصحيفه، وأما كراهة الشعبي والنخعي النقط، فإنما كرهاه في ذلك الزمان خوفًا من التغيير فيه، وقد أمن ذلك اليوم فلا منع، ولا يمتنع من ذلك لكونه محدثًا فإنه من المحدثات الحسنة فلم يمنع منه كنظائره مثل تصنيف العلم وبناء المدارس والرباط وغير ذلك. والله أعلم.

ولا تجوز كتابة القرآن بشيء نجس، وتكره كتابته على الجدران عندنا، وفيه مذاهب، وأنه إذا كتب على الأطعمة فلا بأس بأكلها، وأنه إذا كتب على خشبة كره إحراقها.

أجمع المسلمون على وجوب صيانة المصحف واحترامه. قال أصحابنا وغيرهم: ولو ألقاه مسلم في القاذورات والعياذ بالله تعالى صار الملقي كافرًا. قالوا: ويحرم توسده، بل توسد آحاد كتب العلم حرام، ويستحب أن يقوم للمصحف إذا قدم به عليه، لأن القيام مستحب للفضلاء من العلماء والأخيار فالمصحف أولى، وقد قررت دلائل استحباب القيام في الجزء الذي جمعته فيه، وروينا في مسند الدارمي بإسناد صحيح عن ابن أبي مليكة أن عكرمة بن أبي جهل ﷺ كان يضع المصحف على وجهه، ويقول: «كتاب ربي. كتاب ربي».

وتحرم المسافرة بالمصحف إلى أرض العدو إذا خيف وقوعه في أيديهم للحديث المشهور في الصحيحين: «أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو» ويحرم بيع المصحف من الذمي، فإن باعه ففي صحة البيع قولان للشافعي: أصحها: لا يصح. والثاني: يصح. ويؤمر في الحال بإزالة ملكه عنه ويمنع المجنون والصبي الذي لا يميز من مس المصحف مخافة من

انتهاك حرمته، وهذا المنع واجب على الولي وغيره ممن رآه يتعرض لحمله.

ويحرم على المحدث مس المصحف وحمله سواء حمله بعلاقته أو بغيرها، سواء مس نفس الكتابة أو الحواشي أو الجلد، ويحرم مس الخريطة والغلاف والصندوق إذا كان فيهن المصحف، هذا هو المذهب المختار، وقيل لا تحرم هذه الثلاثة وهو ضعيف، ولو كتب القرآن في لوح فحكمه حكم المصحف سواء قل المكتوب أو كثر، حتى لو كان بعض آية كتب للدراسة حرم من اللوح.

وإذا تصفح المحدث أو الجنب أو الحائض أوراق المصحف بعود أو شبهه، ففي جوازه وجهان لأصحابنا:

أظهرها: جوازه، وبه قطع العراقيون من أصحابنا؛ لأنه غير ماس ولا حامل.

والثاني: تحريمه لأنه يعد حاملاً للورقة، والورقة كالجميع، وأما إذا لف كمه على يده وقلب الورقة فحرام بلا خلاف، وغلط بعض أصحابنا فحكى فيه وجهين، والصواب القطع بالتحريم، لأن القلب يقع باليد لا بالكم.

إذا كتب الجنب أو المحدث مصحفًا، إن كان يحمل الورقة أو يمسها حال الكتابة فحرام، وإن لم يحملها ولم يمسها ففيه ثلاثة أوجه: الصحيح: جوازه. والثاني: تحريمه. والثالث: يجوز للمحدث، ويحرم على الجنب.

وإذا مس المحدث أو الجنب أو الحائض أو حمل كتابًا من كتب الفقه أو غيره من العلوم وفيه آيات من القرآن الكريم أو ثوبًا مطرزًا بالقرآن أو دراهم أو دنانير منقوشة به أو حمل متاعًا في جملته مصحف أو لمس الجدار أو الحلوى أو الخبز المنقوش به، فالمذهب الصحيح جواز هذا كله، لأنه ليس بمصحف، وفيه وجه أنه حرام.

وقال أقضى القضاة أبو حسن الماوردي في كتابه الحاوي: يجوز مس الثياب المطرزة بالقرآن، ولا يجوز لبسها بلا خلاف لأن المقصود بلبسها التبرك بالقرآن، وهذا الذي ذكره أو قاله ضعيف لم يوافقه أحد عليه فيما

رأيته بل صرح الشيخ أبو محمد الجويني وغيره بجواز لبسها، وهذا هو الصواب. والله أعلم.

وأما كتب تفسير القرآن، فإن كان القرآن فيها أكثر من غيره حرم مسها وحملها، وإن كان غيره أكثر كما هو الغالب ففيها ثلاثة أوجه: أصحها: لا يحرم. والثاني: يحرم. والثالث: إن كان القرآن بخط متميز بغلظ أو حمرة أو غيرها حرم وإن لم يتميز لم يحرم. قلت [1]: ويحرم المس إذا استويا. قال صاحب التتمة من أصحابنا: وإذا قلنا لا يحرم فهو مكروه. وأما كتب حديث رسول الله ﷺ فإن لم يكن فيها آيات من القرآن لم يحرم مسها، والأولى ألا تمس إلا على طهارة وإن كان فيها آيات من القرآن لم يحرم على المذهب، وفيه وجه أنه يحرم، وهو الذي في كتب الفقه.

وأما المنسوخ تلاوته كالشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة – وغير ذلك– فلا يجوز مسه ولا حمله، قال أصحابنا: وكذلك التوراة والإنجيل.

إذا كان في موضع من بدن المتطهر نجاسة غير معفو عنها حرم عليه مس المصحف بموضع النجاسة بلا خلاف ولا يحرم بغيره على المذهب الصحيح المشهور الذي قال به جماهير أصحابنا وغيرهم من العلماء. وقال أبو القاسم الصيمري من أصحابنا: يحرم، وغلطه أصحابنا في هذا.

قال القاضي أبو الطيب: هذا الذي قاله مردود بالإجماع. ثم على المشهور قال بعض أصحابنا أنه مكروه، والمختار أنه ليس بمكروه.

ومن لم يجد ماء فتيمم حيث يجوز التيمم له مس المصحف، سواء كان تيممه للصلاة أو لغيرها مما يجوز التيمم له. وأما من لم يجد ماء ولا ترابًا فإنه يصلي على حسب حاله، ولا يجوز له مس المصحف لأنه محدث، جوزنا له

---

(١) القول هنا للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي صاحب التبيان في آداب حملة القرآن ص١١٥.

الصلاة للضرورة ولو كان معه مصحف ولم يجد من يودعه عنده وعجز عن الوضوء جاز له حمله للضرورة. قال القاضي أبو الطيب: ولا يلزمه التيمم، وفيما قاله نظر، وينبغي أن يلزمه التيمم. أما إذا خاف على المصحف من حرق أو غرق أو وقوع في نجاسة أو حصوله في يد كافر فإنه يأخذه ولو كان محدثًا للضرورة.

هل يجب على الولي والمعلم تكليف الصبي المميز الطهارة لحمل المصحف واللوح اللذين يقرأ فيهما؟ فيه وجهان مشهوران أصحهما عند الأصحاب: لا يجب للمشقة.

يصح بيع المصحف وشراؤه، ولا كراهة في شرائه، وفي كراهة بيعه وجهان لأصحابنا أصحهما وهو نص الشافعي أنه يكره، ومن قال لا يكره بيعه وشراؤه الحسن البصري وعكرمة والحكم بن عيينة، وهو مروي عن ابن عباس، وكرهت طائفة من العلماء بيعه وشراءه، وحكاه ابن المنذر عن علقمة وابن سيرين والنخعي وشريح ومسروق وعبد الله بن زيد، وروي عن عمر وأبي موسى الأشعري التغليظ في بيعه، وذهبت طائفة إلى الترخيص في الشراء وكراهة البيع، حكاه ابن المنذر عن ابن عباس وسعيد بن جبير وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه. والله أعلم.

حول شكل المصحف وإعجامه[1]

- الشكل :

هو ما يدل على عوارض الحرف من حركة وسكون سواء أكان ذلك في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها.

يقال: شكل الكتاب: إذا قيده بالإعراب، وأشكل الكتاب: إذا أزال إشكاله والتباسه.

وقال ابن منظور: وشكل الكتاب يشكله شكلاً وأشكله، فهو مشكول إذا قيده بالإعراب، وأعجمت الكتاب إذا نقطته.

ويقال: أشكلت الكتاب بالألف، كأنك أزلت به عنه الإشكال والالتباس[2].

ويقال: أعجم الحرف إذا نقطه بالسواد كالتاء عليها نقطتان، وحروف المعجم هي الحروف المقطعة التي يختص أكثرها بالنقط من بين سائر حروف الاسم.

فالشكل: خاص ببيان ما يعرض للحرف من حركة أو سكون.

- والإعجام :

خاص ببيان ذات الحرف وتمييزه عن غيره، وقد اتفق المؤرخون على أن العرب في عهدهم الأول لم يكونوا يعرفون الشكل بمعناه الاصطلاحي، بل كانوا ينطقون بالألفاظ مضبوطة مشكولة بحسب سليقتهم وفطرتهم العربية من غير لحن ولا غلط، لما كان متأصلاً في نفوسهم من الفصاحة والبلاغة، واستقامة ألسنتهم على النطق بالألفاظ المؤلفة على حسب الوضع الصحيح من غير حاجة إلى معرفة القواعد.

---

(١) انظر البيان في علوم القرآن ص ٢٩٦.

(٢) وراجع لسان العرب: ٢٣١١، ٢٨٢٧ ومختار الصحاح للرازي: ص٣٦٧-٤٤٠.

لذلك لما كتب عثمان المصاحف -في العهد الأول- جردها من الشكل والنقط، اعتمادًا على هذه السليقة، وعلى أن المعول عليه في القرآن هو التلقي والرواية، فلم يكن بهم حاجة إلى الشكل.

وأيضًا حتى تصلح الكلمة لأن تقرأ بوجوه القراءات الثابتة التي يحتمها الرسم مجردًا من النقط والشكل.

ولكنهم اختلفوا في النقط، فمنهم من يرى أن الإعجام كان معروفًا قبل الإسلام لتمييز الحروف المتشابهة، غير أنه ترك عند كتابة المصاحف لما ذكرنا. ومنهم من يرى أن الإعجام لم يعرف إلا من طريق أبي الأسود الدؤلي، ثم اشتهر ووضع في القرآن في عهد عبد الملك بن مروان. والظاهر الأول لأنه يبعد جدًّا ألا يكون للحرف علامات تميز المتشابهات بعضها عن بعض.

ومهما يكن من شيء فقد اشتدت الحاجة إليه حينما اتسعت رقعة الإسلام، وجاوز حدود بلاد العرب ودخل الناس من غير العرب في الدين، وفسدت الفطرة العربية، ودخل اللحن في الكلام، وبدأ الإلباس والإشكال في قراءة القرآن. حتى قيل: إن زيادًا والي البصرة سأل أبا الأسود الدؤلي أن يضع للناس علامات يعرفون بها كتاب الله تعالى، فاستعفاه من ذلك، ثم حدث أن أبا الأسود سمع قارئًا يقرأ قول الله تعالى: ﴿**إن الله بريء من المشركين ورسوله**﴾ بالتوبة بجر اللام في لفظ (ورسوله) عطفًا على المشركين، بينما هي في الآية مرفوعة في قراءة السبعة [(١)] على أنها مستأنفة، أي ورسوله بريء من المشركين كذلك.

أو منصوبة - كما في قراءة يعقوب برواية روح وزيد، وهي قراءة

---

(١) قرأ يعقوب برواية روح وزيد (إن الله بريء من المشركين ورسوله) بالنصب مثل قراءة الحسن، وقرأ الباقون (ورسوله) بالرفع انظر المبسوط (١٩٣) وابن خالويه في الشواذ (٥١).

الحسن وابن أبي إسحاق، وعيسى بن عمرو - عطفًا على اسم (إن) وهو الظاهر، أي: أن الله ورسوله بريئان من المشركين، لكن الله -تعالى- لا يجمع معه غيره في ضمير واحد، فلذلك فصل بين اللفظين اكتفاء بالعطف.

المهم أن أبا الأسود فزع لهذا اللحن المغير للمعنى - على قراءة الجر - وقال: «عز وجه الله أن يبرأ من رسوله»، وذهب إلى البصرة، وقال له: قد جئتك إلى ما سألت(١).

وقيل: أن أبا الأسود لما سمع ذلك رفع الأمر إلى علي رضي الله تعالى عنه، فكان ذلك سبب وضع النحو. والله تعالى أعلم(٢).

المهم أن أبا الأسود وضع الشكل أولاً، لأن الحاجة إلى معرفة حال الحرف أمس من الحاجة إلى الإعجام الذي يميز الحرف من الحرف، فوضع على الحرف المفتوح نقطة من أوله، والمضموم نقطة من آخره، والمكسور نقطة تحت أوله.

ويروي الداني أن المبتدئ بذلك كان نصر بن عاصم الليثي، وأنه الذي خمسها وعشرها.

ويروى أيضًا أن ابن سيرين كان عنده مصحف نقطه يحيى بن يعمر، وأن يحيى أول من نقطها، ثم يقول: «وهؤلاء الثلاثة من جلة تابعي البصريين»، وأكثر العلماء على أن المبتدئ بذلك أبو الأسود الدؤلي، وجعل الحركات والتنوين لا غير، وأن الخليل بن أحمد هو الذي جعل الهمزة والتشديد والروم والإشمام.

وأما ابن عطية فيرى أن عبد الملك بن مروان هو الذي أمر به (فتجرد

---

(١) فصل الخطاب في سلامة القرآن: ص ٦٤.

(٢) روح المعاني: ١٠/٤٧ وقال الألوسي: ويحكى أن أعرابيًا سمع رجلاً يقرؤها - أي بالجر - فقال: إن كان الله تعالى بريئًا من رسوله، فأنا منه بريء فلببه الرجل إلى عمر رضي الله عنه فحكى الأعرابي قراءته، فعندها أمر عمر بتعليم العربية.

لذلك الحجاج - بواسط - وجدَّ فيه، وزاد تحزيبه، وأمر-وهو والي العراق- الحسن بن يعمر بذلك ..).

وأما وضع الأعشار فيه: فمر بي[1] في بعض التواريخ أن المأمون العباسي أمر بذلك. وقيل: أن الحجاج فعل ذلك وذكر أبو عمرو المسرافي عن قتادة أنه قال: بدءوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا، وهذا كالابتكار وهؤلاء الأربعة (أبو الأسود، ونصر، ويحيى، والحسن) من جلة علماء التابعين، وقد عاشوا في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، ومن هنا يمكننا أن نقول: أن أحداث الشكل تبعه أحداث النقط مع تقارب في الزمن.

ويمكننا أن نقول في التوفيق بين الأربعة: أن أبا الأسود هو أول من بدأ على الإطلاق في شكل المصاحف بطريقة النقط، فوضع على الحرف المفتوح نقطة من أوله، والمضموم من آخره، والمكسور نقطة تحت أوله، والساكن نقطتين من فوقه. ولكن بطريقة فردية. وأن نصر بن عاصم الليثي هو الذي زاد على الشكل التخميس[2] والتعشير، وأن الحسن ويحيى هما اللذان نشرا المصحف على حالته الأخيرة بأمر الوالي، فأخذ الصفة الرسمية وذاع بين الناس.

قال الزرقاني: ثم طفق الناس ينهجون منهج أبي الأسود، ثم امتد الزمان بهم فبدءوا يزيدون ويبتكرون، حتى جعلوا للحرف المشدد علامة كالقوس، ولألف الوصل جرة فوقها أو تحتها أو وسطها على حسب ما قبلها من فتحة أو كسرة أو ضمة. ودامت الحال على هذا حتى جاء عبد الملك بن مروان، فرأى بنافذ بصيرته أن يميز ذوات الحروف من بعضها، وأن يتخذ سبيله إلى

---

(١) هذا القول منسوب للدكتور السيد إسماعيل علي مدرس بجامعة الأزهر في البيان ص ٣٠٠.

(٢) التخميس: كتابة لفظ خمس عند رأس كل خمس آيات، والتعشير: كتابة لفظ عشر عند رأس كل عشر آيات، ومنهم من يكتفي بكتابة حرفي (خ)، (ع).

ذلك التمييز بالإعجام والنقط، على نحو ماتقدم تحت العنوان السابق وهنالك اضطر أن يستبدل بالشكل الأول الذي هو النقط، شكلاً جديدًا هو ما نعرفه اليوم من علامات الفتحة والكسرة والضمة والسكون. الذي اضطره إلى هذا الاستبدال، أن لو أبقى العلامات الأولى على ما هي عليه نقطًا، ثم جاءت هذه الأخرى -أي إعجام الحروف- نقطًا كذلك لتشابهها واشتبه الأمر فميز بين الطائفتين بهذه الطريقة. ونعما فعل.

ثم جرى تحسينات على هذا النقط والتشكيل كان من أكملها ما جرى على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي حيث جعل الهمز والتشديد والروم والإشمام، حتى أصبحت الآن لها صفة الحاجة الملحة التي لا غنى عنها، ولا يكاد يسد مسدها شيء.

تجزئة القرآن وتحزيبه :

لم تقتصر الإضافات إلى الرسم العثماني للمصاحف على النقط والشكل، بل تعدهما إلى إضافات أخرى مثل علامات الأجزاء حيث جزء العلماء القرآن تجزئات شتى، منها: التجزئة إلى ثلاثين جزءًا، وأطلقوا على كل واحد منها اسم الجزء، بحيث لا يخطر بالبال عند الإطلاق غيره، فإذا قال قائل: قرأت جزءًا من القرآن، تبادر للذهن أنه قرأ جزءًا من الأجزاء الثلاثين. ثم جزءوا كل واحد من هذه الأجزاء الثلاثين إلى جزءين، وقد أطلقوا على كل واحد منها اسم الحزب، فصارت الأحزاب ستين حزبًا، ثم جزءوا الحزب إلى أربعة أرباع.

ثم وضعوا علامات المد والوقف، وأسماء السور، وترقيم آياتها، وبيان المكي منها قبل بدء السورة كالعنوان لها وغير ذلك مما هو معروف لدى القراء والمعلمين.

حكم نقط المصحف وشكله :

كان العلماء في الصدر الأول يرون كراهة نقط المصحف وشكله ونحوهما مبالغة منهم في المحافظة على القرآن من التزيد وكتابته في المصاحف على هيئة ما كتبت بين يدي النبي ﷺ فقد أخرج أبو عبيدة وغيره عن ابن مسعود قال: «جردوا القرآن ولا تخلطوه بشيء» وأخرج عن النخعي أنه كره نقط المصاحف وعنه أيضًا أنه أتي بمصحف مكتوب فيه سورة كذا وكذا آية فقال: امح هذا فإن ابن مسعود كان يكرهه.

وعن ابن سيرين أنه كره النقط والفواتح والخواتم.

وأجاز ذلك الإمام مالك للمتعلمين فحسب حيث قال: لا بأس بالنقط في المصاحف التي تتعلم فيها العلماء، أما الأمهات فلا.

وقال الحربي في غريب الحديث: قول ابن مسعود: (جردوا القرآن) يحتمل وجهين:

أحدهما: جردوه في التلاوة، ولا تخلطوا به غيره.

الثاني: جردوه في الخط من النقط والتعشير.

قال البيهقي: الأبين أنه أراد: لا تخلطوا به غيره من الكتب، لأن ما خلا القرآن من كتب الله إنما يؤخذ عن اليهود والنصارى وليسوا بمأمونين عليها.

وأخرج ابن أبي داود عن خالد الحذاء قال: رأيت ابن سيرين يقرأ في مصحف منقوط.

وسئل ربيعة بن عبد الرحمن عن شكل القرآن في المصاحف فقال: لا بأس به.

وكذا سئل الحسن عن المصحف ينقط بالعربية فقال: أو ما بلغك كتاب عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- أن تفقهوا في الدين وأحسنوا عبارة الرؤيا وتعلموا العربية.

ومن خلال هذه الآثار وغيرها يتبين لنا أن سلفنا الصالح اختلفوا في

حكم نقط المصحف وشكله، فمنهم من كرهه كابن مسعود وغيره، ومنهم من أجاز التنقيط وكره التخميس والتعشير، وأسماء السور وعدد الآيات وغير ذلك، كالنخعي والحليمي وغيرهما، ومنهم من أجاز ذلك للمتعلمين ومنعه في الأمهات كالإمام مالك.

ولكن الحال قد تغيرت عما كان عليه الناس في العهد الأول، فاضطر المسلمون إلى نقط المصحف وشكله، للمحافظة على القرآن من اللحن والتغيير والتصحيف، وبعد أن كان العلماء يكرهون ذلك صار واجبًا أو مستحبًا لما هو مقرر في علم أصول الفقه من أن الحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا.

قال الإمام النووي ما نصه: (قال العلماء: ويستحب نقط المصحف وشكله، فإنه صيانة من اللحن فيه وتصحيفه، وأما كراهة الشعبي والنخعي النقط، فإنما كرها ذلك في الزمان خوفًا من التغيير فيه، وقد أمن ذلك اليوم، فلا منع، ولا يمتنع من ذلك لكونه محدثًا، فإنه من المحدثات الحسنة، فلا يمنع منه كنظائره، كتصنيف العلم، وبناء المدارس والرباط وغير ذلك والله أعلم[1]) .

وقال الداني: «والناس في جميع أمصار المسلمين من لدن التابعين إلى وقتنا هذا على الترخيص في ذلك في الأمهات وغيرها، ولا يرون بأسًا برسم فواتح السور وعدد آياتها، ورسم الخموس والعشور في مواضعها، والخطأ مرتفع عن إجماعهم».

- احترام المصحف وتقديسه :

ليس- فيما نرى ونسمع- كتاب أحيط بهالة من الإجلال والتقديس، كالقرآن الكريم. حتى لقد وصفه الحق جل شأنه بأنه كتاب مكنون، وحكم بأنه لا يمسه إلا المطهرون، وأقسم على ذلك، حيث قال تعالى: ﴿**فلا أقسم**

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ص ٩٨.

بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين﴾.

ولذلك كان من إجلال القرآن الكريم وتعظيمه عدم إباحة كتابته على الجدران سواء كانت جدران مساجد أم جدران منازل أم غير ذلك.

أما جدران المساجد فقد اتفق الأئمة على كراهة كتابة شيء من القرآن عليها. حيث قال المالكية: (إن كانت الكتابة في القبلة كرهت، لأنها تشغل المصلى سواء كان المكتوب قرآنًا أو غيره، ولا تكره فيما عدا ذلك).

وقال الشافعية: (يكره كتابة شيء من القرآن على جدران المسجد وسقوفه، ويحرم الاستناد لما كتب فيه من القرآن، بأن يجعله خلف ظهره).

وقال الحنابلة: (تكره الكتابة على جدران المساجد وسقوفها، وإن كان فعل ذلك من مال الوقف حرم فعله).

وقال الحنفية: (لا ينبغي الكتابة على جدران المسجد خوفًا من أن تسقط وتهان بوطء الأقدام [1]).

فهذه أقوال الأئمة، نجد فيها المالكية يعللون الكراهة بانشغال المصلى، والحنفية يعللونها بالخوف من سقوط المكتوب، ثم الإجماع منهم جميعًا بصفة عامة على الكراهة.

وأما جدران المنازل وما شابهها، فإن علة الكراهة قائمة بسبب عدم التحرز من تطاير النجاسات، أو عبث الصبيان.

فقد قال القرطبي: ومن حرمته - أي القرآن - ألا يكتب على حائط كما يفعل بهذه المساجد المحدثة .. ثم روى عن محمد بن الزبير قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يحدث قال: مر رسول الله ﷺ بكتاب في أرض. فقال لشاب من هذيل: «**ما هذا؟**» قال: من كتاب الله، كتبه يهودي، فقال: «**لعن الله**

---

(١) الفقه على المذاهب الأربعة ص ٢٤٥.

من فعل هذا.. لا تضعوا كتاب الله إلا موضعه».

وقال محمد بن الزبير: رأى عمر بن عبد العزيز ابنًا له يكتب القرآن على حائط فضربه.

فهذه الرواية -الأخيرة- تبين أنه لو كانت كتابة القرآن على الجدران مباحة لما منع عمر بن عبد العزيز ابنه من الكتابة.

ومن تعظيم القرآن الكريم وإجلاله أن لا يصغر (المصحف) كتابة لدرجة عدم إمكان قراءته إلاّ بمشقة شديدة، ولا يصغر كلامًا، بأن يقال: مصيحف.

فقد روى أن عمر بن الخطاب ﷺ رأى مصحفًا صغيرًا في يد رجل، فقال: من كتبه؟ قال أنا: فضربه بالدرة، وقال: (عظموا القرآن).

كيفية حفظ وتثبيت القرآن(١)

١- أكثر دائمًا من الدعاء بحفظ القرآن، فإن القرآن كما قال محمد بن واسع: «.. بستان العارفين، فأينما حلوا منه حلُّوا في نزهة».

واعلم أن كثرة الدعاء دليل على عدم الاستعجال في الإجابة، جاء في الصحيحين: قال رسول الله ﷺ: «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل. يقول: دعوت فلم يستجب لي**».

وكما قيل: من أدمن قرع الباب يُوشك أن يفتح له ويمكنك -والله أعلم- أن تدعو بهذا الدعاء: اللهم حفِّظني كتابك، واجعلني من العالمين العاملين به.

٢- لا يشغلنك الحفظ عن التلاوة، فإن التلاوة وقود الحفظ.

٣- لماذا يحفظ كثير من المسلمين سورة الكهف؟ لأنهم يقرءونها في كل أسبوع مرة، فإن استطعت أن تعامل سُور القرآن كلها معاملتك سورة الكهف فافعل.

٤- يمكنك قبل الحفظ أن تصلي ركعتين لله تعالى: «**صلاة الحاجة**» تسأل الله فيهما العون والصواب والإخلاص، ويا حبذا لو صليت أيضًا صلاة التوبة.

٥- قراءة تفسير الآيات التي تريد حفظها.

٦- اجعل وردك اليومي في القرآن مرتبطًا بالشهر العربي، أو الأسبوع فبالنسبة للشهر العربي يمكنك قراءة جزء أو جزءين أو ثلاثة أجزاء في اليوم، وأما بالنسبة للأسبوع فيمكنك ختم القرآن في كل أسبوع مرة، ومن المعلوم جواز ختم القرآن في ثلاثة أيام.

٧- لا تبدأ عملك اليومي في مدارسة العلم إلا بعد الانتهاء من ورد

(١) انظر عون الرحمن في حفظ القرآن ص ١٦.

القرآن.

٨- اشترط مع نفسك أنه عند الإخلال بهذا الورد تقوم بمعاقبتها بشيء مباح كالصيام والصدقة ونحوهما مع القيام به أيضًا.

٩- يمكنك أن تلتزم بالقراءة في مصحف واحد، أي طبعة واحدة لا تقرأ في غيرها من طبعات، وذلك حتى تتذكر موضع الآيات.

١٠- احرص على أن تقرأ بما تحفظه في الصلاة، خاصة السنن، ويا حبذا صلاة الجماعة، خاصة صلاة الصبح، ويا حبذا أيضًا صلاة التراويح، مع مراعاة هدي النبي ﷺ في الصلاة ومقدار قراءته ﷺ فيها.

١١- داوم على أذكار الصباح والمساء، والنوم، وأيضًا المداومة على الأحراز التي تحفظك بإذن الله تعالى من الشيطان(١)، فإن الذكر عدو الشيطان، قال الله تعالى: ﴿**إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون**﴾(٢).

قال العلماء في بيان ما يدعو الشيطان إليه ابن آدم ويوسوس له: وينحصر ذلك في ست مراتب:

المرتبة الأولى: مرتبة الكفر والشرك، ومعاداة الله تعالى ورسوله، فإذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه واستراح من تعبه معه.

المرتبة الثانية: مرتبة البدعة، وهي أحب إليه من الفسوق والمعاصي لأن ضررها في الدين، فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى المرتبة الثالثة.

المرتبة الثالثة: وهي الكبائر على اختلاف أنواعها. فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى المرتبة الرابعة.

---

(١) يمكن النظر في هذا إلى كتاب ففروا إلى الله للأستاذ أبي ذر القلموني.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

المرتبة الرابعة: وهي الصغائر، التي إذا اجتمعت ربما أهلكت صاحبها، فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى المرتبة الخامسة.

المرتبة الخامسة: وهي اشتغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب، بل عقابها فوات الثواب الذي فات عليه باشتغاله بها، فإن عجز عن ذلك انتقل إلى المرتبة السادسة.

المرتبة السادسة: وهو أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه [1].

ومن الأحراز من الشيطان، والتي هي من الأهمية بمكان ما أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: أنه كان إذا دخل المسجد قال: «**أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم**» قال: «**فإذا قال ذلك قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم**». وقد صحح الألباني -رحمه الله تعالى- هذا الحديث في صحيح الجامع.

١٢- في بداية الحفظ لا بد من المراجعة على يد مجيد لتلاوة القرآن.

١٣- لا تبدأ في حفظ القرآن إلا بعد إجادة تلاوته.

١٤- لا تتخلص عن مجالس العلماء، خاصة مجالس القرآن إلا لعذر، ومقياس هذا العذر ما ترى لو وعدت في هذا المجلس بألف دينار هل كنت ستتخلف عنه؟ البعض لو دعى إلى نسيكة (عقيقة) أو وليمة لبى مسرعًا، وإذا مر بمجلس علم ولى مدبرًا ! يا قوم: كما يقول الحسن البصري: الدنيا ظلام إلا مجالس العلماء.

١٥- يمكنك أن تأتي بكراسة من الورق الأبيض، في نفس طبعة المصحف الذي تحفظ منه، ثم ترقم صفحاتها بنفس ترقيم المصحف، مع قيامك برسم المستطيل الداخلي في كل ورقة، بنفس مقاس تلك الطبعة، ثم بعد ذلك

---

(١) هذه المراتب وهذا المبحث من كتاب عون الرحمن نقلاً عن آكام المرجان ومدارج السالكين لابن القيم -رحمه الله-.

تقوم بكتابة الكلمات التي أنسيتها، أو التبس عليك حفظها، بخط واضح كاللون الأحمر مثلاً، مع تركك باقي الصفحة دون كتابة، فإذا أردت مراجعة سورة ما نظرت إلى تلك الكراسة، بحيث توضع الكلمات المراد كتابتها في الكراسة في نفس مكانها من المصحف.

١٦- عليك بالصاحب الذي يساعد على ذكر الله، فإن بعض الأصحاب إذا دعوته لتلاوة القرآن أخبرك بأنه يريد الانصراف لأمر ما، ولو أنك قد استرسلت معه في حديث غيره ما أخبرك بالانصراف، فاظفر بالصديق الذي يعينك على تلاوة القرآن فإنه كنز نفيس.

١٧- إذا صليت وراء إمام وكنت تحفظ الآيات التي يتلوها في الصلاة فقف مستمعًا لا مصححًا، فإذا أحسست أن الآيات قد تلتبس عليه، فادع الله له بقلبك دون تحريك الشفتين، ثم بعد ذلك كما قيل: «إن استطعمك الإمام فأطعمه». ولتكن نيتك عند التصحيح إجلال كلام الله تعالى وحفظه، وإلا كما جاء في كتاب الزهد للإمام أحمد -رحمه الله- مرفوعًا: «**من تكلم رياء فهو في سخط الله حتى يسكت**».

١٨- اعلم -أيدك الله بنصره- أن بداية العلم هو حفظ القرآن، وكل آية تحفظها باب مفتوح إلى الله تعالى، وكل آية لا تحفظها أو أنسيتها باب مغلق، حال بينك وبين ربك، واعلم أن المسلم لو عرض عليه ملء الأرض ذهبًا لا يساوي نسيانه لأقصر سورة في القرآن، بل لا يساوي نسيانه حرفًا من كتاب الله تعالى، فينبغي إذًا أن يكون حرصك على ما لا تحفظه من القرآن أكثر من حرصك على أقصر سورة في القرآن.

تنبيه: كما قال العلماء: يقال أقصر سورة ولا يقال أصغر سورة، حيث لا صغير في القرآن الكريم.

١٩- المحافظة على الوضوء مع إحسانه، ومعنى الإحسان هنا اتباع هدي النبي ﷺ في الوضوء، خاصة عدم الاعتداء فيه، جاء في هامش كتاب

زاد المعاد لابن القيم -رحمه الله- جـ١ ص ٢٠٩ بتحقيق الأرنؤوط أثابه الله تعالى تعليقًا على قول ابن القيم -رحمه الله-: «وكان ﷺ يقرأ في الفجر بنحو ستين آية إلى مائة آية وصلاها بسورة (ق) وصلاها بسورة الروم ..».

قال الأرنؤوط أثابه الله: روى الإمام أحمد ٤٧٢/٣، والنسائي ١٥٦/٢ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ صلى بهم الصبح فقرأ فيها (الروم) فأوهم، فلما انصرف قال: «**إنه يلبس علينا القرآن، فإن أقوامًا منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء، فمن شهد منكم الصلاة معنا، فليحسن الوضوء**» وسنده حسن وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- بعد أن ذكره في تفسيره في آخر سورة الروم: وهذا إسناد حسن، ومتن حسن، وفيه سر عجيب ونبأ غريب، وهو أنه ﷺ تأثر بنقصان وضوء من ائتم به فدل ذلك على أن صلاة المأموم متعلقة بصلاة الإمام.

٢٠- المحافظة على الاستغفار والإكثار منه، فإن نسيان القرآن من الذنوب، جاء في رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي بتحقيق عبد الفتاح أبي غدة، أثابه الله تعالى: [ص١٥٤-١٥٦]: «قال عبد الله بن مسعود ﷺ: إني لأحتسب أن الرجل ينسى العلم قد عَلمَه بالذنب يعمله. وجاء في (طبقات الحنفية) لعلي القارئ [٤٨٧:٢]: «وكان الإمام أبو حنيفة -رحمه الله تعالى ورضي عنه-: إذا أشكلت عليه مسألة قال لأصحابه: ما هذا إلا لذنب أحدثته! وكان يستغفر، وربما قام وصلى، فتنكشف له المسألة.

ويقول: رجوت أني تيب عليَّ. فبلغ ذلك الفضيل بن عياض، فبكى بكاء شديدًا ثم قال: «ذلك لقلة ذنبه، فأما غيره فلا ينتبه لهذا» وجاء في «تهذيب التهذيب» للحافظ ابن حجر، في ترجمة وكيع بن الجراح الكوفي [١٢٩:١١] وهو أحد الأئمة الأعلام الحفاظ، وقد كان الناس يحفظون تكلفًا، ويحفظ هو طبعًا، قال علي ابن خترم: رأيت وكيعًا وما رأيت بيده كتابًا قط، إنما هو يحفظه، فسألته عن دواء الحفظ؟ فقال: «ترك المعاصي، ما جربت مثله

للحفظ».

وقد استوفى الشيخ ابن القيم -رحمه الله- في كتابه (الفوائد) وكتابه (الجواب الكافي) بيان أضرار الذنوب والمعاصي استيفاءً جامعًا، وقابل بين آثار فعل الذنوب وآثار تركها مقابلة صادقة دقيقة، تدفع بكل ذي لب وعقل إلى ترك الذنوب والبعد عن أسبابها، وإلى التحلي بالطاعات وما يبعث عليها.

قال رحمه الله في كتابه الفوائد: «الذنوب جراحات، ورب جرح وقع في مقتل!! وما ضُرِبَ عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله، وأبعد القلوب من الله القلب القاسي! وإذا قسا القلب قحطت العين، وقسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة: الأكل، والنوم، والكلام، والمحافظة» انتهى من رسالة المسترشدين.

ومما ذكره ابن القيم -رحمه الله- في كتابه القيم (الجواب الكافي): وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة، المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله، فمنها: حرمان العلم، فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور، ولما جلس الإمام الشافعي بين يدي مالك وقرأ عليه أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه، فقال: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورًا فلا تطفئه بظلمة المعصية.

وقال الشافعي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال: اعلم بأن العلم فضل ... وفضل الله لا يؤتاه عاصي

قال رجل لإبراهيم بن أدهم: إني لا أقدر على قيام الليل، فصف لي دواءً، فقال له: لا تعصه بالنهار وهو يقيمك بين يديه بالليل، فإن وقوفك بين يديه بالليل من أعظم الشرف، والعاصي لا يستحق هذا الشرف.

وقد ذكر ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره لقول الله سبحانه وتعالى في سورة الشورى: ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن**

كثير﴾.

عن الضحاك قال: ما نعلم أحدًا حفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب ثم قرأ **﴿وما أصابكم من مصيبة﴾** الآية ثم قال الضحاك: وأي مصيبة أكبر من نسيان القرآن.

ومما جاء في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، نقلاً عن مقدمة كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، «قال الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي في: العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية: انبهر أهل دمشق من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه، واتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب قدم إلى دمشق، وقال: سمعت في البلاد بصبي يقال له: أحمد بن تيمية، وأنه سريع الحفظ، وقد جئت قاصدًا لعلي أراه، فقال له خياط: هذه طريق كُتابه فجلس الشيخ الحلبي قليلاً، فمر صبيان، فقال الخياط: هذا الصبي الذي معه اللوح الكبير هو أحمد بن تيمية، فناداه الشيخ فجاء إليه فتناول اللوح منه، فنظر فيه ثم قال له: امسح يا ولدي هذا حتى أملي عليك شيئًا تكتبه، ففعل، فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر أو ثلاثة عشر حديثًا، وقال له: اقرأ هذا، فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إياه ثم دفعه إليه، وقال: أسمعه علي، فقرأه عليه عرضًا كأحسن ما أنت سامع، فقال له: يا ولدي، امسح هذا. ففعل، فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها ثم قال: اقرأ هذا، فنظر فيه كما فعل أول مرة، ثم أسمعه إياه كالأول، فقام الشيخ وهو يقول: إن عاش هذا الصبي ليكونن له شأن عظيم، فإن هذا لم ير مثله».

ومما جاء في مقدمة فتاويه -رحمه الله- والتي بلغت سبعة وثلاثين جزءًا: «ومن الغريب أن هذه المسائل كان يكتبها «شيخ الإسلام» -قدس الله روحه- أو يمليها من غير مراجعة كتاب من الكتب، وهي من الآيات البينات والبراهين الواضحات على أن هذا الرجل من أكبر آيات الله في خلقه، أيد بها

الذي قال فيه: (يهدي للتي هي أقوم) وسنة رسوله ﷺ، وما كان عليه السلف الصالح من فهمها، والاعتصام بها».

ولقد قال عنه الحافظ المزي: ما رأيت مثله، وما رأى هو مثل نفسه، ولا رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لها منه.

وقال رئيس القضاة ابن الحريري: إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فمن هو؟! وقال فيه شيخ النحاة أبو حيان لما اجتمع به: «ما رأت عيناي مثله».

وقال الحافظ الزملكاني: لقد أعطي ابن تيمية اليد الطولي في حسن التصينف، وجودة العبارة والترتيب، والتقسيم، والتبيين، وقد ألان الله له العلوم، كما ألان لداود الحديد، كان إذا سئل عن فن من العلوم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن.

تنبيه: من أقيم الكتب التي تتكلم عن علوم القرآن: الأجزاء من الثاني عشر إلى السابع عشر من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

٢١- احذر الغرور، وتعلم القرآن، وتعلم للقرآن السكينة والوقار، قال الله تعالى: ﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾[١].

قال الألوسي -رحمه الله-: وكان الظاهر أن يقال: (ليعلموا) بدل (لينذروا) و(يفقهون) بدل (يحذرون) لكنه اختير ما في النظم الجليل، للإشارة إلى أنه ينبغي أن يكون غرض المعلم: الإرشاد والإنذار، وغرض المتعلم: اكتساب الخشية لا الاستكبار.

وجاء في هامش «رسالة المسترشدين» قال المحقق أثابه الله: «وقد لزم الإمام أحمد بن حنبل ﷺ شيخه هُشيم بن بشير الواسطي خمس سنين، قال: وما

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

سألته عن شيء هيبة له إلا مرتين. كما في كتاب العلل للإمام أحمد (١/١٤٥).

وجاء في الجامع الصغير للسيوطي عن النبي ﷺ قوله: «**تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تعلمون منه**»، رواه عن أبي هريرة: الطبراني في الأوسط، وابن عدي في الكامل، بإسناد ضعيف.

قال العلامة المناوي «في فيض القدير (٣/٢٥٣) في شرح قوله ﷺ: «**تواضعوا لمن تعلمون منه**». «فإن العلم لا ينال إلا بالتواضع، وإلقاء السمع، وتواضع الطالب لشيخه رفعة، وذله له عز، وخضوعه له فخر، وأخذ الحبر - أي العالم الإمام - عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- مع جلالته وقرابته لرسول الله ﷺ بركاب زيد بن ثابت وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، فقبل زيد يد ابن عباس وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بآل بيت نبينا.

وقال السليمي: ما كان إنسان يجترئ على ابن المسيب ليسأله حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير.

وقال الشافعي: كنت أتصفح الورق بين يدي مالك برفق لئلا يسمع وقعها.

وقال الربيع -تلميذ الإمام الشافعي -: والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر.

وقال محقق رسالة المسترشدين أيضًا: «وفي مناقب الإمام أبي حنيفة للموفق الخوارزمي (٢/٧): روي عن أبي حنيفة أنه قال: ما مددتُ رجلي نحو دار أستاذي حمَّاد إجلالاً له. وكان بين داري وداره سبع سكك، وما صليت صلاة منذ مات حمَّاد إلا استغفرت له مع والدي، وإني لأستغفر لمن تعلمت منه أو علمني علمًا.

وقال أبو يوسف - تلميذ الإمام أبي حنيفة -: إني لأدعو الله لأبي حنيفة قبل أبوي، ولقد سمعت أبا حنيفة يقول: إني لأدعو الله لحماد مع أبوي.

فوائد تتعلق بهذه المباحث :

١- روى أبو داود في سننه (باب تحزيب القرآن) قال أوس: سألت أصحاب رسول الله ﷺ، كيف يحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده، بيانه:

«ثلاث»: البقرة، وآل عمران، والنساء.

و«خمس»: المائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، وبراءة.

و «سبع»: يونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، والنحل.

و «تسع»: سبحان، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، والحج، والمؤمنون، والنور، والفرقان.

و «إحدى عشرة»: الشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة، والأحزاب، وسبأ، وفاطر، ويس.

و «ثلاث عشرة»: الصافات وص، والزمر، وغافر، وحم السجدة، وحم عسق ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والأحقاف ، والقتال ، والفتح، والحجرات.

و «الحزب المفصل»: كما قال الصحابة ﷺ، قال ابن كثير -رحمه الله- في أول تفسيره لسورة ق - بعد أن ذكر ذلك -: فتعين أن أوله (أي المفصل) سورة ق.

٢- عدد سور القرآن :

وعدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة[١]، أولها سورة الفاتحة وآخرها سورة الناس، وذلك ما اتفق عليه جمهور الصحابة في تدوينهم للقرآن، وأثبتوه في المصاحف العثمانية، وهو الذي بأيدي المسلمين وفي

(١) البيان في علوم القرآن ص ١٣٥.

صدورهم منذ ذلك التاريخ إلى يومنا هذا وحتى تقوم الساعة.

ولا التفات لما ورد عن مجاهد من أن عدد سور القرآن مائة وثلاث عشرة سورة، معتبرًا الأنفال والتوبة سورة واحدة، لعدم وجود البسملة في أول براءة، لأن ذلك مردود بما ثبت من أن رسول الله ﷺ سمى كلاً منهما بذاتها، وباتفاق الصحابة على العدد الأول، وإثباته في مصحف عثمان رضي الله عنه.

أو بما ورد من أن عدد السور في مصحف ابن مسعود مائة واثنتا عشرة سورة، لأنه كما قال: لم يكتب المعوذتين في مصحفه.

أو بما ورد من أن مصحف أُبي بن كعب به مائة وست عشرة سورة، لأنه كان يكتب فيه سورتي الخلع والحفد، لأن كلاً منهما رجع إلى إجماع الصحابة، ووردت قراءة كل منهما لنا من عدة طرق على ما جاء في مصحف عثمان رضي الله عنه.

٣- أسامي سور القرآن :

قد يكون للسورة اسم واحد، وهو كثير، وذلك مثل سورة النساء، والأعراف، والأنعام، ومريم، وطه، والشورى، والمدثر، وغير ذلك.

وقد يكون لها اسمان، وذلك مثل سورة البقرة، فإنه يقال لها (فسطاط القرآن) لعظمتها وبهائها، و (آل عمران) يقال: اسمها في التوراة (طيبة) و(النحل) تسمى سورة النعيم، لما عدد الله فيها من النعم على عباده. و(الجاثية) تسمى الشريعة، وسورة (محمد) ﷺ وتسمى القتال.

وقد يكون لها ثلاث أسماء، وذلك مثل سورة (المائدة) وتسمى العقود والمنقذة. وسورة (غافر) وتسمى الطول والمؤمن.

وقد يكون للسورة أكثر من ذلك، كسورة (براءة) تسمى أيضًا التوبة، والفاضحة، والبحوث بفتح الباء، وقد أنهى السيوطي أسماءها إلى عشرة أسماء، وسورة الفاتحة تسمى أيضًا فاتحة الكتاب، وأم الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني، والشافية، والكافية، والأساس.

وقد أنهى السيوطي أسماءها إلى خمس وعشرين اسمًا إلى غير ذلك من السور التي تسمى بأكثر من اسم واحد.

وكما سميت السورة الواحدة بعدة أسماء سميت سور عديدة باسم واحد، وذلك كالسور المسماة بـ (الم) و (حم) وذلك على القول بأن فواتح السور أسماء لها، وتكون هذه الأسماء من قبيل المشترك اللفظي، والتمييز بين السور يكون بقرينة ضميمة إليها، فيقال: (الم) البقرة، (الم) آل عمران، و (الم) السجدة، ويقال (حم) غافر و (حم) السجدة وهكذا.

٤- هل تسمية السور توقيفية أم اجتهادية ؟

قيل: إنها توقيفية، وعليه فنقف عند الحد الوارد فيها.

وقيل إنها اجتهادية، وعلى هذا فلا يعدم الناظر أن يستنتج للسورة الواحدة أسماء أخرى غير الواردة فيها. والظاهر الأول.

قال السيوطي: وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك [١].

ومما يدل لذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: كان المشركون يقولون: سورة البقرة وسورة العنكبوت يستهزئون بها، فنزل قول الله تعالى ﴿**إنا كفيناك المستهزئين**﴾[٢].

وقد ذكر الدكتور السيد إسماعيل علي الأستاذ بجامعة الأزهر بالقاهرة أنه: بناء على هذا يكون التوقيف أعم من أن يكون عن النبي ﷺ، أو عن أصحابه الذين شهدوا الوحي والتنزيل.

وقد ذكر بعضهم أن يقال سورة كذا لما رواه الطبراني والبيهقي عن أنس مرفوعًا: «**لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة**

---

(١) انظر البيان في علوم القرآن ص ١٣٧.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٥.

النساء، وكذا القرآن كله، ولكن قولوا السورة التي تذكر فيها البقرة والتي يذكر فيها آل عمران، وكذا القرآن كله».

قال السيوطي: وإسناد الحديث ضعيف، بل ادعى ابن الجوزي أنه موضوع.

وقال البيهقي: إنما يعرف موقوفًا على ابن عمر، ثم أخرجه عنه بسند صحيح عن ابن مسعود أنه قال: هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة. ومن ثم لم يكرهه الجمهور.

وللزركشي في هذا المقام كلام طويل حيث قال في البرهان ما نصه: «ينبغي البحث عن تعداد الأساس، هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني فلم يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسماء لها وهو بعيد. قال: وينبغي النظر في اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم، أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها.

وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن كتسمية سورة البقرة بهذا الإسم لقرينة قصة البقرة المذكورة فيها، وعجيب الحكمة فيها. وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها شيء كثير من أحكام النساء.

وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها، وإن كان ورد لفظ الأنعام في غيرها إلا أن التفصيل الوارد في قوله تعالى: ﴿**ومن الأنعام حمولة وفرشًا**﴾ إلى قوله: ﴿**أم كنتم شهداء**﴾ الآية: (٤٦).

لم يرد في غيرها، كما ورد ذكر النساء في سورة، إلا أن ما تكرر وبسط من أحكامهن لم يرد في غير سورة النساء. وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها فسميت بما يخصها.

قال: فإن قيل قد ورد في سورة هود ذكر نوح، وصالح وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وموسى، فلم خصت باسم هود وحده؟ مع أن قصة نوح فيها أوعب وأطول؟ قيل: تكررت هذه القَصص في سورة الأعراف، وسورة هود، والشعراء بأوعب مما وردت في غيرها، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود كتكرره في سورته، فإنه تكرر فيها في أربعة مواضع والتكرار من أقوى الأسباب التي ذكرنا.

قال: فإن قيل: فقد تكرر اسم نوح فيها في ستة مواضع؟ قيل: لما أفردت لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برأسها، فلم يقع فيها غير ذلك كانت أولى بأن تسمى باسمه من سورة تضمنت قصته وقصة غيره.

قال السيوطي تعقيبًا على هذا الكلام ما نصه: ولك أن تسأل فتقول: قد سميت سور جرت فيها قصص أنبياء بأسمائهم كسورة نوح، وسورة هود، وسورة إبراهيم، وسورة يوسف، وسورة محمد ﷺ، وسورة مريم، وسورة لقمان، وسورة المؤمنون، وقصة أقوام كذلك كسورة بني إسرائيل، وسورة أصحاب الكهف، وسورة الحجر، وسورة سبأ، وسورة الملائكة، وسورة الجن، وسورة المنافقين، وسورة المطففين، ومع هذا كله لم يفرد لموسى سورة تسمى به مع كثرة ذكره في القرآن حتى قال بعضهم: كاد القرآن أن يكون كله لموسى، وكان أولى سورة أن تسمى به سورة (طه)، أو سورة (القصص)، أو سورة (الأعراف)، لبسط قصته في الثلاث ما لم يبسط في غيرها.

وكذلك قصة آدم ذكرت في عدد سور ولم تسم به سورة كأنه اكتفاء بسورة الإنسان، وكذلك قصة الذبيح من بدائع القصص، ولم تسم به سورة الصافات، وقصة داود ذكرت في سورة (ص) ولم تسم به، فانظر في حكمة ذلك.

ثم قال السيوطي: على أني رأيت في (جمال القراء) للسخاوي أن سورة طه تسمى سورة (الكليم) وسماها الهذلي في كامله (سورة موسى) وأن سورة

(ص) تسمى سورة (داود) ورأيت في كلام الجعبري أن سورة (الصافات) تسمى سورة (الذبيح) وذلك يحتاج إلى مستند من الأثر.

٥- أقسام سور القرآن :

قسم العلماء سور القرآن الكريم من حيث الطول والقصر إلى أربعة أقسام هي:

القسم الأول: (الطوال)، وهي سبع سور: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ثم الأنفال مع براءة لعدم الفصل بينهما بالبسملة، وقيل: براءة بمفردها، وقيل: السابعة هي يونس، ولكن لا وجه لهذا القول، لأن براءة أطول منها بكثير.

القسم الثاني: (المئون) جمع مائة، وهي السور التي تزيد آياها على مائة أو تقاربها.

القسم الثالث: (المثاني) وهي السور التي تلي المئين في عدد الآيات بأن تكون أقل من مائة آية، وسميت مثاني، لأنها تثنى وتكرر أكثر من غيرها.

القسم الرابع: (المفصل)، وهو ما ولي المثاني من قصار السور، وسمي بذلك لكثرة الفواصل التي بين السور بالبسملة، وقيل لقلة المنسوخ فيه، وقد اختلف في أوله على أقوال أوصلها السيوطي إلى اثني عشر قولاً فقيل: أوله (ق) وقيل: (الحجرات) وهو الذي صححه النووي، والمفصل ثلاثة أقسام هي:

١- طواله، وهي من سورة (الحجرات) إلى سورة (البروج).

٢- أوساطه، من سورة (الطارق) إلى سورة (لم يكن).

٣- قصاره: من سورة (الزلزلة) إلى آخر القرآن.

كيفية تلاوة القرآن الكريم
وما الواجب على مبتدئ تعلم التجويد أن يتعلمه أولاً

أ- كيفية تلاوة القرآن الكريم :

ذكر الشيخ محمود الحصري[1] في كتابه (مع القرآن الكريم) ما نصه:

اتفق علماء القراءة، وأئمة الأداء، على أن لتلاوة القرآن الكريم كيفية مخصوصة، يجب على القارئ شرعًا أن يلاحظها أثناء تلاوته، ليحرز الأجر الذي وعد الله به القارئين. فإذا أهملها أو قصر في مراعاتها، كان من الآثمين.

وهذه الكيفية هي تجويد كلماته، وتقويم حروفه، وتحسين أدائه، بإعطاء كل حرف حقه، ومنحه مستحقه، من الإجادة، والإتقان، والترتيل، والإحسان، ولا يكون ذلك إلا بتصحيح إخراج كل حرف من مخرجه الأصلي المختص به تصحيحًا يمتاز به عن مقاربه، وتوفية كل حرف صفته المعروفة به توفيةً تخرجه عن مجانسة، مع تيسير النطق به على حال صفته، وكمال هيئته، من غير تشدق ولا إسراف، ولا تصنُّع ولا تعَسُّف، ومع العناية بإبانة الحروف، وتمييز بعضها من بعض، وإظهار التشديدات وتوفية الغنات، وإتمام الحركات، ومع تفخيم ما يجب تفخيمه، وترقيق ما يجب ترقيقه، وقصر ما ينبغي قصره، ومد ما يتعين مده. ومع ملاحظة الجائز من الوقف والممنوع منها، فيوقف على ما يصح الوقف عليه، ويوصل ما لا يصح الوقف عليه، إلى غير ذلك من الأحكام والقواعد التي وضعها أئمة القرآن.

قال الإمام المحقق ابن الجزري في كتابه (النشر): «ولا شك أن الأمة - كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده - متعبدون بتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة، المتصلة بالحضرة

---

(١) هو فضيلة الشيخ محمود الحصري شيخ عموم المقارئ بالجمهورية العربية المتحدة قديمًا ومؤلف (معالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء).

النبوية الأفصحية العربية التي لا تجوز مخالفتها، ولا العدول عنها إلى غيرها».

وتلك الكيفية هي التي نزل بها القرآن الكريم، وهي المرادة من الترتيل الذي أمر الله به نبيه محمدًا ﷺ في قوله تعالى: ﴿**ورتل القرآن ترتيلاً**﴾.

قال ابن عباس ﷺ: أي بَيِّنْهُ.

وقال مجاهد: تَأَنَّ فيه.

وقال الضحاك انبذه حرفًا حرفًا، وافصل الحرف من الحرف الذي بعده.

وجاءَ عن علي ﷺ أنه قال: الترتيل تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف. وقال بعضهم: أي تثبت في قراءتك وتمهل فيها.

ولم يقتصر سبحانه على الأمر بالفعل حتى أكده بالمصدر اهتمامًا به وتعظيمًا له، ليكون ذلك عونًا على تدبر القرآن وتفهمه.

وهكذا كانت قراءة النبي ﷺ، قال: «**إن الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل**» أخرجه ابن خزيمة في صحيحه.

وعن أم سلمة أنها سئلت عن قراءة الرسول ﷺ فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفًا حرفًا. أخرجه الترمذي.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقرأ السورة حتى تكون أطول من أطول منها.

وسئل أنس بن مالك عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كانت مدًّا، ثم قرأ أنس بسم الله الرحمن الرحيم، يمد الله، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم.

وعن أم سلمة أن رسول الله ﷺ: كان يقطع قراءته فيقول: الحمد لله رب العالمين، ثم يقف، الرحمن الرحيم، ثم يقف، مالك يوم الدين، وهكذا. رواه الترمذي وأبو داود.

قال القرطبي: «قال علماؤنا: قول أم سلمة: «كان يقطع قراءته» يدخل فيه جميع ما كان يقرؤه من القرآن، وإنما ذكرت فاتحة الكتاب لتبين صفة

التقطيع، أو لأنها أم القرآن فيغني ذكرها عن ذكر ما بعدها، فالتقطيع عام لجميع القراءة لظاهر الحديث».

وذكر الزهري أن قراءة الرسول ﷺ: كانت آية آية. وهذا هو الأفضل، وهو الوقوف على رءوس الآي وإن تعلقت بما بعدها.

وذهب بعضهم إلى أن الوقوف على رءوس الآي أفضل ما لم تتعلق الآية بما بعدها، فإن تعلقت بما بعدها كان الوقف على ما يتم به الكلام أفضل، ولكن اتباع هدى الرسول وسنته أولى، وممن ذكر ذلك البيهقي في شعب الإيمان ورجح الوقف على رءوس الآي وإن تعلقت بما بعدها.

وقد اختلف العلماء: هل الأفضل الترتيل مع قلة القراءة، أو السرعة مع كثرتها؟

فذهب فريق إلى أن الترتيل والتدبر مع قلة القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها.

وهذا مذهب ابن عباس وابن مسعود وغيرهما، وقد احتجوا لهذا المذهب بأدلة:

الأول: أن المقصود من قراءة القرآن فهمه وتدبره، والتفقه فيه والعمل به، وما تلاوته وحفظه إلا وسيلة إلى معانيه، فقد قال بعض السلف: نزول القرآن ليعمل به، فاتخذوا تلاوته عملاً، ولهذا كان أهل القرآن هم العالمون به العاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب. وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل به فليس من أهله وإن جود كلماته وأتقن حروفه.

الثاني: أن الإيمان هو أفضل الأعمال على الإطلاق، وفهم القرآن وتدبره هو الذي يثمر الإيمان، وأما مجرد التلاوة من غير فهم ولا تدبر فيفعلها البر والفاجر، والمؤمن والمنافق. فمن أوتي تدبرًا وفهمًا في التلاوة أفضل ممن أوتي كثرة قراءة وسرعتها بلا تدبر.

الثالث: أنه كان من هدي الرسول ﷺ أنه كان يرتل السورة حتى

تكون أطول من أطول منها، وثبت عنه أنه قام بآية واحدة في الليل، وأخذ يرددها حتى الصباح. وهي ﴿**إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**﴾ رواه النسائي وابن ماجه.

وقال أبو حمزة لابن عباس: إني رجل سريع القراءة وربما قرأت القرآن كله مرة في الليلة، فقال له ابن عباس: لأن أقرأ سورة واحدة أرتلها وأتدبرها أحب إلي من أن أفعل الذي تفعل، فإن كنت فاعلاً فاقرأ قراءة تسمعها أذنك ويعيها قلبك. رواه البخاري.

وقال ابن مسعود: لا تهذوا بالقرآن هذ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة.

والهذ: الإسراع، أي لا تسرعوا في القراءة إسراعكم بالشعر والدقل بفتح الدال والقاف: أردأ التمر.

والمعنى النهي عن عدم العناية بإتقان القراءة، بالإسراع فيها وعدم رعاية حدودها.

وقال ابن مسعود أيضًا: وإذا سمعت الله تعالى يقول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾. فأصغ لها سمعك فإنه خير تؤمر به، أو شر تنهى عنه.

وجاء رجل فقال له: إني أقرأ المفصل في ركعة، فقال: أهذًّا كهذِّ الشعر؟

وسئل مجاهد عن رجلين أحدهما قرأ البقرة والآخر قرأ البقرة وآل عمران في الصلاة، وركوعهما وسجودهما واحد. فقال: الذي قرأ البقرة وحدها أفضل.

وعن محمد بن كعب القرظي أنه قال: «لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح سورتي الزلزلة والقارعة، لا أزيد عليهما، وأتردد فيهما وأتفكر أحب إلي من أن أهذَّ القرآن هذًّا وأنثره نثرًا».

وعن عائشة رضي الله عنها أنه ذكر لها أن أناسًا يقرءون القرآن في الليلة مرة أو

مرتين فقالت: أولئك قوم قرءوا و لم يقرءوا، كنت أقوم مع الرسول ﷺ ليلة التمام، فكان يقرأ البقرة وآل عمران والنساء، فلا يمر بآية فيها تخويف إلا دعا الله واستعاذ، ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه. رواه أحمد.

قال ابن كثير: «وفي الحديث دليل على استحباب ترتيل القراءة والترسل فيها، من غير هذرمة ولا بسرعة مفرطة، بل بتأمل وتفكر، قال تعالى: ﴿**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب**﴾.

والهذرمة: الإسراع في القراءة.

وقال الغزالي: إن الترتيل مستحب، لا لمجرد التدبر فإن الأعجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له في القراءة الترتيل والتؤدة، بل لأن ذلك أقرب إلى توقير القرآن واحترامه وأشد تأثيرًا في القلب من السرعة والاستعجال».

وذهب فريق منهم - ومنهم أصحاب الشافعي - إلى أن كثرة القراءة أفضل، واحتجوا لذلك بحديث ابن مسعود: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول (الم) حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**» أخرجه الترمذي.

قالوا: ولأن عثمان بن عفان ﷺ قرأ القرآن في ركعة وذكروا آثارًا عن كثير من السلف في كثرة القراءة.

وقال العلامة ابن القيم في زاد المعاد: «والصواب في المسألة أن يقال: إن ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجل وأرفع قدرًا، وثواب كثرة القراءة أكثر عددًا.

فالأول كمن تصدق بجوهرة عظيمة جدًا أو أعتق عبدًا قيمته نفيسة جدًا. والثاني كمن تصدق بعدد كثير من الدراهم، أو أعتق عددًا من العبيد قيمتهم رخيصة».

ب- الواجب على مبتدئ تعلم التجويد أن يتعلمه أولاً :

من الواجب المتحتم على كل مبتدئ في تعلم أحكام التجويد أن يتعلم أموراً مرتبة لا بد من أن يبتدئ بها وهي:

أولاً: تعلم مخارج الحروف وصفاتها. وتعلم مخارج الحروف وصفاتها أشار إليها الإمام ابن الجزري -رحمه الله تعالى- في الجزرية وهي قصيدة تتكون من (١٠٦) أبيات تناول فيها الناظم صفات الحروف ومخارجها بعد المقدمة مباشرة فقال:

وبعد إن هذه المقدمة فيما على قارئه أن يعلمه
إذ واجب عليهم محتم قبل الشروع أولاً أن يعلموا
مخارج الحروف والصفات ليلفظوا بأفصح اللغات

قد ذكرت في كتابي الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم معنى هذه الأبيات الثلاثة فقلت بعون الله تعالى:

(وبعد)(١): أي وبعد ما تقدم من الحمد لله والصلاة، وهذه الكلمة (وبعد) يؤتى بها دائمًا للانتقال من غرض أو أسلوب إلى آخر، ويستحب الإتيان بها في الخطب اقتداء بالنبي ﷺ، (وهذه) إشارة إلى القصيدة التي بين أيدينا وهي أرجوزة جميلة، (ومقدمة) وهي طائفة من العلم كمقدمة الجيش من قدم بمعنى: تقدم بكسر الدال ومنه قول الله تعالى: ﴿**لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**﴾ أي لا تتقدموا وقيل في الآية: إن المفعول مقدر أي لا تقدموا أمرًا، ويجوز فتح دال مقدمة وهي لغة قليلة كمقدمة الرحل، والمراد بها طائفة من مسائل علم القراءة ينبغي الاهتمام بها والاعتناء بشأنها، وقد أشار المصنف بقوله: (فيما على قارئه أن يعلمه) أي بيان ما يجب على كل قارئ أن يتعلمه قبل البدء في تلقي القواعد الكلية والجزئية في هذا العلم.

---

(١) الوافي في ترتيل القرآن ص٦٨ .

أي من الأمور الواجبة والمحتمة على كل قارئ قبل، وربما يراد بكلام الناظم الوجوب الشرعي، أي يأثم من ترك علمه أو العلم به، والمقصود بهذا كله أنه لا بد قبل الشروع في تعلم القرآن لتجويده أن يعلم القارئ جيدًا مخارج الحروف وصفاتها، والوجوب الشرعي هنا ما يثاب على فعله، ويعاقب على تركه، والعرفي ما لا بد منه في فعله، ولا يستحسن تركه، ويجب هنا حمل كلام المصنف على المعنى الاصطلاحي، وهو لا ينافي الوجوب الشرعي ومن الملاحظ هنا أن جميع ما في هذه المقدمة ليس من هذا القبيل إلا إذا حمل على وجوب الكفاية، فمن اتصف بالفصاحة كالعرب الفصحاء وغيرهم ممن رزقه الله تعالى القراءة بالسليقة دون تعلم الأحكام فلا شك أنه ليس معناه الواجب عند الفقهاء الذي يعاقب على تركه، وأما من لم يتصف بما ذكر فلا بد في حقه من التجويد وعليه يحمل كلام الناظم ويراد به الوجوب الشرعي (ومخارج الحروف) وهذا الكلام تكملة للكلام السابق، وكأن المصنف يريد أن يقول: من الواجب على كل قارئ قبل الشروع في قراءة وتعلم القرآن أن يعلم أولاً مخارج الحروف بواسطة صوت وهو هواء يتموج بتصادم جسمين، وإذا اتبع طالب العلم ذلك وأخذ العلم بالأداء عن أفواه وأسماع المشايخ تكون النتيجة أن يلفظ بلغة فصيحة مليحة، وهنا يكون قادرًا على تلقي القرآن، والحروف المقصودة هي الحروف الهجائية، وهي تسعة وعشرون حرفًا، و(ليلفظوا) أي لينطقوا بلغة فصيحة إذا عرف الطالب كيف يخرج الحرف من مخرجه وما الصفة التي تصاحبه وقت خروجه استطاع أن ينطق بأفصح اللغات.

وأفصح اللغات لغة قريش، وهي أفصح من لغات سائر العرب العرباء، وهم قوم النبي ﷺ لقول الله تعالى: ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه**﴾، ولقوله ﷺ : «**أحب العربية لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل**

الجنة في الجنة عربي»[1] .

والحديث أخرجه الطبراني والحاكم والضياء عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ولا غرابة في ذلك فقد أنزل القرآن العظيم بلغة قريش، وقد يتولد الحرف من حرفين، ويتردد بين مخرجين بعضها فصيح وبعضها غير فصيح، والوارد من الثاني في القرآن خمسة: الألف الممالة، والهمزة المهملة، واللام المفخمة، والصاد كالزاي والنون المخفاة.

ثانيًا: معرفة الوقف والابتداء :

ذكر الشيخ الحصري -رحمه الله- في معالم الاهتداء ما نصه:

أجل! اعلم أن علم الوقف والابتداء له أجل الأثر في حسن التلاوة وجودة القراءة.

إذ أنه يعرِّف القارئ المواطن التي يتحتم الوقف عليها، والمواضع التي يحسن الوقف عندها، أو يقبح. ويقفه على الكلمات التي يتعين البدء بها، والكلمات التي يحسن الابتداء بها أو يقبح.

ومن ثم عني علماء الأمة سلفًا وخلفًا ببيان الوقف في القرآن -أعني المواضع التي يقف القارئ عندها- وبالحث على تعلمها وتعليمها فقد سئل علي ﷺ عن معنى الترتيل في قوله تعالى: ﴿**ورتل القرآن ترتيلاً**﴾ فقال: الترتيل «تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف» قال الإمام المحقق ابن الجزري في كتابه «النشر في القراءات العشر».

ففي كلام علي ﷺ دليل على وجوب تعلم الوقف ومعرفته.

وأقول[2]: وجه دلالة هذا الأثر على ما ذكر: أن قوله تعالى: ﴿**ورتل**﴾ أمر وهو يقتضي الوجوب، وإذا كان المراد من الترتيل الذي أمر الله تعالى به،

---

(١) حديث ضعيف.

(٢) القول للأستاذ الشيخ محمود الحصري -رحمه الله-.

أوجبه هو تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف كان كل منهما واجبًا.

وصح عن عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- أنه قال: «لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتترل السورة على النبي ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها، وأمرها وزجرها وما ينبغي أن يوقف عنده منها».

وفي هذا الأثر دليل واضح على أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتعلمون الوقف كما يتعلمون القرآن.

وقال أبو حاتم: منَ لم يعرف الوقف لم يعرف القرآن. وقال ابن الأنباري: من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء. إذ لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن إلا بمعرفة الفواصل. وهذا الأثر يدل دلالة واضحة على تأكد معرفة الوقف والابتداء في القرآن الكريم.

وقال الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: الوقف في الصدر الأول من الصحابة والتابعين وسائر العلماء مرغوب فيه من مشايخ القراءة وأئمة الأداء. مطلوب فيما سلق من الأعصار، وردت به الأخبار الثابتة والآثار الصحيحة.

وقال الإمام الهذلي في كتابه الكامل: الوقف حلية التلاوة، وزينة القارئ. وبلاغ التالي، وفهم المستمع، وفخر العالم، وبه يعرف الفرق بين المعنيين المختلفين، والنقيضين المتنافيين، والحكمين المتغايرين.

ولقد بلغ من عناية العلماء بمعرفة هذا النوع من العلم، وحضهم على تعلمه وتعليمه أن بعض أئمة هذا الشأن كان لا يجيز أحدًا بالقراءة أو الإقراء - التعليم- إلا إذا عرف مواطن الوقف، ومواضع الابتداء.

وممن كانوا يعنون بتعلم هذا العلم وتعليمه من أئمة القرآن -إمام القراء بالمدينة أبو جعفر يزيد بن القعقاع. وكان من كبار التابعين وكان من أكابرهم علمًا وصلاحًا وورعًا.

والإمام نافع بن أبي نعيم وإمام القراءة والنحو أبو عمرو بن العلاء البصري، والإمام يعقوب الحضرمي. والإمام عاصم بن أبي النجود الكوفي ﷺ أجمعين. وإنما عني العلماء بمعرفة الوقف والابتداء، وحضوا الناس على تعلمهما وتعليمهما، والاهتمام بشأنهما لما لهما من جليل الأثر في حسن التلاوة، وجودة القراءة، فكثيرًا ما يكون في وقف القارئ على الكلمة تنبيه للسامع، ولفت لنظره إلى معنى الآية، وإدراك مغزاها، ويكون في وصل الكلمة بما بعدها إيهام معنى فاسد.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في سورة يونس: ﴿**ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعًا هو السميع العليم**﴾ فإن القارئ إذا وقف على قولهم فهم السامع أن معنى الآية نهيه ﷺ عن الحزن على قول المشركين فيه ما لا يليق بمقامه الرفيع كما فهم أن قوله تعالى: ﴿**إن العزة لله جميعًا**﴾ من قول الله تعالى تعليلاً لنهيه ﷺ عن الحزن.

أما إذا وصل القارئ قوله تعالى: (قولهم) بقوله: ﴿**إن العزة لله جميعًا**﴾ فإن السامع يتبادر إلى ذهنه من أول وهلة أن هذا القول: إن العزة لله جميعًا - قول الكافرين.

وهذا باطل، فحينئذ يتعين الوقف على قولهم قصدًا إلى إفادة المعنى الصحيح، وإلى دفع المعنى الفاسد القبيح.

قال بعض الأفاضل: إن الوقف قد يميز مذهب أهل السنة من مذهب المعتزلة. كالوقف على (ويختار) في قوله تعالى في سورة القصص: ﴿**وربك يخلق ما يشاء ويختار**﴾ فإن الوقف عليه يفيد مذهب أهل السنة وهو ثبوت الاختيار لله وحده، ونفي الاختيار عن عباده. وعلى هذا تكون «ما» في ﴿**ما كان لهم الخيرة**﴾ نافية بخلاف وصل ويختار بما بعده فإنه يفيد أن ما موصولة وأن للعباد الخيرة وأن الله تعالى يختار لعباده ما يختارون لأنفسهم، وهذا مذهب المعتزلة.

ومع حث العلماء سلفًا وخلفًا على العناية بهذا العلم. وكثرة حضهم على تعلمه وتعليمه، لم يتوفر على التأليف فيه -فيما نعلم - إلا نفر قليل.

وهم الإمام أبو عمرو وعثمان بن سعيد الداني، المتوفى سنة ٤٤٤ هجرية، وكتابه يسمى «المكتفى» والإمام أبو عبد الله محمد بن طيفور السَّجاوندي وكتابه يسمى «الوقف والابتداء». والعلامة أبو محمد الحسن بن علي بن سعيد العماني، وكتابه يسمى «المرشد».

نبذة مختصرة عن جمع القرآن

جمع القرآن الكريم ثلاث مرات، وكانت الأولى [1] في عهد النبي ﷺ، أما الثانية فكانت في أيام خليفته أبي بكر الصديق، أما الثالثة فكانت أيام الصحابي الجليل، ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد اختلفت طبيعة الجمع ودوافعه في كل مرة عن الأخرى.

أولاً: الجمع في عهد النبي ﷺ :

وقد تحقق ذلك بطريقتين :

الأولى: وتتمثل في حفظ النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم للقرآن الكريم، كان النبي ﷺ حريصًا على حفظه، يحاول اللحاق بما يتنزل عليه من وحي، فنزل قوله تعالى: ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانـه**﴾[٢].

ذكر ابن عباس –رضي الله عنهما– «كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن ينفلت منه، يريد أن يحفظه، فأنزل الله سبحانه ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به**﴾ قال: يقول: إن علينا أن نجمعه في صدرك ثم نقرأه ﴿ **فإذا قرأناه** ﴾ يقول : إذا أنزلناه عليه ﴿**فاتبع قرآنه**﴾ فاستمع له وأنصت ﴿**ثم إن علينا بيانه**﴾ أن نبينه بلسانك، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل أطرق، وفي لفظ: استمع، فإذا ذهب قرأه كما وعد الله سبحانه. ورد في الصحيحين.

وكان صحابته على توزعهم في المواطن يحفظون كتاب الله، وعرف عن بعضهم أنه كان يحفظ القرآن كله كالخلفاء الأربعة وأمهات المؤمنين عائشة وحفصة وأم سلمة وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وعبد الله

---

(١) وردت هذه الكلمات في محاضرات د/ عمر عبد الواحد الأستاذ بجامعة المنيا.

(٢) سورة القيامة، الآية: ١٦-١٩.

ابن مسعود، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن الزبير، وغيرهم كثيرون لا يحصون.

فعن عبادة بن الصامت قال: كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي ﷺ إلى رجل منا يعلمه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله ﷺ ضجة بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله ﷺ أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا.

فكان المسجد وكانت المنازل والبيوت مواضع مدارس القرآن الكريم وحفظه.

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له: «**لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك!! لقد أعطيت مزمارًا من مزامير آل داود**»(١).

أما عن الطريقة الثانية بجمعه في عهد النبي ﷺ فهو الكتابة، فقد اتخذ النبي ﷺ كُتَّابًا للوحي، كان من بينهم: زيد بن ثابت وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وأنس بن مالك، وأُبي بن كعب، والزبير بن العوام، وعبد الله بن الأرقم، وعبد الله بن رواحة، وكان أكثرهم كتابة للوحي زيد بن ثابت، حتى لقد وصفه البخاري بلقب (كاتب النبي) وكانوا يكتبون فيما تتيحه لهم البيئة من إمكانيات وأدوات، كالعسب، واللخاف، وقطع الأديم، وعظام الأكتاف والأضلاع، وفي الأقتاب، وفي الرقاع (٢).

وكان النبي ﷺ يبين لهم مواضع الآيات ومكانها في السور على نحو ما كان يعلمه جبريل في معارضته في شهر رمضان من كل سنة بما نزل من

(١) رواه البخاري، وزاد مسلم: فقلت: لو علمت والله يا رسول الله أنك تسمع لقراءتي لحبرته لك تحبيرًا.

(٢) العسب هو جمع عسيب وهو جريد النخيل، واللخاف هو صفائح الحجارة، وقطع الأديم هي الجلد المدبوغ، والأقتاب هي الخشب الذي تصنع منه الرحال، والرقاع هو جمع رقعة من جلد أو ورق أو غير ذلك.

القرآن، فقد ذكر البخاري عن السيدة عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت في السنة الأخيرة من حياة النبي ﷺ: «أسر إليَّ النبي ﷺ أن جبريل يعارضني بالقرآن كل سنة وأنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي».

أي أن النبي ﷺ كان يأمر أصحابه من كتبة الوحي بأن يكتبوا ما يترل عليه من القرآن أولاً بأول، وأنه كان يرتب لهم الآيات التي تترل عليه منجمة في مواضعها من السور، فعن زيد بن ثابت أنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف[1] القرآن من الرقاع -أي: أنهم كانوا يرتبون السور والآيات المكتوبة في الرقاع بمقتضى إرشاد النبي ﷺ وبتوقيف منه- ويذكر السيوطي نقلاً عن بعض مصادره أن ترتيب الآيات في السور توقيفي بأمر الرسول ﷺ وبعض المفسرين يفسر قوله تعالى: ﴿**ورتل القرآن ترتيلاً**﴾ بأنه قراءته على ترتيبه التوقيفي من غير تقديم ولا تأخير .. ويدل على قيام النبي ﷺ بترتيب الآيات داخل السور، أنه كان يقرأ سورًا كثيرة كاملة بترتيب آياتها في الصلاة أو في خطبة الجمعة.

أما عن ترتيب السور فالراجح أنه بتوقيف من الرسول ﷺ فقد كان يقرأ في صلاته أحيانًا بسور مرتبة، وهذا ما أوقفه عليه جبريل في معارضاته، وإن قال بعض العلماء أنه باجتهاد الصحابة ويستدلون على ذلك باختلاف ترتيب مصاحف الصحابة، فمصحف علي مرتب على حسب التزول، ومصحف ابن مسعود وأُبي مبدوآن بالبقرة فالنساء ثم آل عمران، وإن كانت مصاحف فردية كتبها كل واحد منهم لنفسه، وعلى حسب سماعه من النبي ﷺ .

---

(١) ومعنى التأليف هنا الجمع، أي يجمعونه.

ثانيًا : جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق :

قال علي بن أبي طالب ﷺ أعظم الناس أجرًا في المصاحف أبو بكر - رحمه الله-. وقال علي ﷺ: أبو بكر هو أول من جمع كتاب الله.

أما قصة جمعه فيذكرها زيد بن ثابت كاتب النبي ﷺ يقول: أرسل إليَّ أبو بكر عقب مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر ﷺ: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة[1] بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف نفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ؟! قال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن قلت: كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟! قال: هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر .. فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم**﴾ حتى خاتمة براءة .. فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر.

ويذكر ابن أبي داود صاحب كتاب المصاحف: قدم عمر فقال: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئًا من القرآن فليأت به، وكانوا يكتبون ذلك

---

(١) موقعة بين المسلمين والمرتدين، كانت في السنة الثانية عشرة للهجرة واستشهد فيها سبعون من حفظة القرآن من الصحابة، وفي هذا أيضًا دليل على عناية الصحابة بحفظ القرآن.

في المصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئًا حتى يشهد شهيدان. قال ابن حجر: وكان المراد بالشاهدين الحفظ والكتاب.

وقال السخاوي في جمال القراء: المراد بأنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن.

ويبدو من المرويات أن عمر بن الخطاب كان يعين زيدًا، وربما أضاف إليهما عددًا من الحفاظ الثقات كأُبي بن كعب وعلي بن أبي طالب، وعثمان ابن عفان، وكان زيد لا يقبل بالحفظ دون الكتابة، وجمع كله بالرواية المتواترة فزيد كان يحفظه ومن معه كانوا يحفظون، ثم إن أبا خزيمة قد لقبه النبي ﷺ بذي الشهادتين، ومعنى هذا أن آخر براءة مثله مثل سائر القرآن قد اجتمع على حفظه وتواترت روايته، ثم أطلق على هذا المجموع اسم المصحف، وهي كلمة حبشية الأصل اقترحها ابن مسعود ووافق عليها الصحابة تمييزًا له عن الإنجيل والتوراة، وعلى ذلك نقول: إن أبا بكر هو أول من جمع القرآن في مصحف واحد مرتب الآيات والسور، ويشتمل على الأحرف السبعة وإن بقيت إلى جواره مصاحف فردية لم تنقل القدر الكافي من التثبت والتحري في الجمع والترتيب والاقتصار على المتواتر المجمع على روايته.

وآل المصحف إلى عمر بعد وفاة الصديق -رضي الله عنهما- الذي أوصى بأن يحفظ بعده في بيت ابنته أم المؤمنين حفصة، وكانت -رضي الله عنها- تحفظ القرآن كله، كما كانت تعرف القراءة والكتابة، وظل محفوظًا لديها إلى أن احتاجه عثمان بن عفان عند جمعه للقرآن في المصحف الإمام.

ثالثًا : جمع القرآن في عهد عثمان :

وهو الجمع الثالث للقرآن الكريم وقد كان الهدف مختلفاً عن هدف أبي بكر أو بعبارة أدق قد كان لحاجة مختلفة أو لدواع مختلفة عن تلك التي اقتضت جمعه في المرة الثانية، فإذا كان أبو بكر قد انطلق من خوف أحس هو

وعمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- من ضياع شيء من القرآن بموت حملته، فكان نقله لما كان مفرقًا في الرقاع والصحف وجمعه في مصحف واحد، فإن عثمان بن عفان قد انطلق من الخوف من اختلاف المسلمين على اتساع رقعة بلاد المسلمين وتعدد تلقيهم من الصحابة وبقاء المصاحف الفردية، فكان جمعه للمسلمين على مصحف واحد أو على حرف واحد. ينقل السيوطي في الإتقان عن بعض مصادره: والفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان، أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته، لأنه لم يكن مجموعًا في موضع واحد فجمعه في صحائف مرتبًا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي ﷺ، وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرءوا بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتبًا لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش، محتجًا بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم رفعًا للحرج والمشقة في ابتداء الأمر، فرأى أن الحاجة قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة، وقال الحارث المحاسبي: المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان، وليس كذلك، إنما جعل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد، على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار، لما خشي الفتنة، عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات، فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن، فأما السابق إلى جمع الجملة فهو الصديق.

ويبدو السياق التاريخي لقصة الجمع هذه فيما يرويه البخاري عن صحابي جليل هو حذيفة بن اليمان أنه قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا

في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى الآفاق الإسلامية بمصاحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق، ويرجع ابن حجر ابتداء عمل هذه المجموعة في السنة الخامسة والعشرين للهجرة، وإن كان ارتباط هذا الصنيع بغزو أرمينية جعل بعض الباحثين يتأخرون به إلى السنة الثلاثين، وهي التي كان فيها الغزو، وكان عملهم قائمًا على مصحف حفصة بعد الانتهاء من نسخ عدة نسخ من مصحف الإمام وهذه التسمية ترجع إلى خطبة عثمان في الناس: «أنتم عندي تختلفون وتلحنون، فمن نأى عني من أهل الأمصار أشد فيه اختلافاً وأشد لحنًا، اجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إمامًا» وظلت صحف حفصة لديها حتى توفيت فأحرقها الخليفة الأموي مروان بن الحكم المتوفى سنة ٦٥هـ.

أما عن العدد الذي نسخه عثمان من المصحف الإمام فاختلف حوله وأرجح الآراء أنها كانت سبع نسخ بعث بها إلى الأمصار ما عدا نسخة احتفظ بها في المدينة، وأباح لمن يشاء من الصحابة أن ينسخ لنفسه من هذا المصحف الإمام نسخه ففعل عبد الله بن الزبير وكذلك أمهات المؤمنين عائشة وحفصة وأم سلمة.

وكما رحب بعمل عثمان هذا أكثر الصحابة فقال علي بن أبي طالب: «لا تقولوا في عثمان إلا خيرًا، فوالله ما فعل في المصاحف إلا على ملأ منا» وقال أيضًا: «لو وليت ما ولي عثمان لعملت بالمصاحف ما عمل».

وقد وقف بعض الصحابة من هذا العمل موقف الإنكار، وعلى رأسهم عبد الله بن مسعود الذي أبى أن يحرق مصحفه، فيروي بعض الصحابة: «فزعت فيمن فزع إلى عبد الله في المصاحف فدخلنا عليه فقال رجل من القوم: إنا لم نأتك زائرين، ولكن جئنا حين راعنا هذا الخبر، فقال: إن القرآن أنزل على نبيكم على سبعة أحرف، وإن الكتاب قبلكم كان يترل من باب واحد على حرف واحد» يرفض فكرة التحديد بعد أن أعطاهم رخصة قراءته ومنحهم التوسعة بقراءته على أكثر من حرف ولكن ابن مسعود رجع إلى رأي الجماعة، واقتنع بصواب ما قام به عثمان وكأنه عز عليه في البدء اجتهاده في رواية الحرف الذي قرأ عليه عن النبي ﷺ، وتمسكه بما سمعه من حديث الأحرف السبعة، لكنه عاد، فاقتنع بأن مصلحة المسلمين تتحقق بهذا الصنيع وكان المصحف العثماني مرتبًا على مائة وأربع عشرة سورة ولكنه كان مجردًا من النقط والشكل وأيضًا من أسماء السور والفواصل وأرقام الآيات ومن هنا كان مشتملاً على ما يمكن أن يحتمله رسمه من الأحرف السبعة فإنها لم تنسخ في كل موضع من القرآن، وإنما نسخت في بعض المواضع دون بعض.

أما ضبط الكلمات بالشكل (النقط) أي ضبط أواخر الكلمات بحركات الإعراب وهو ما يسمى بإعراب المصحف، فقد تم على يد أبي الأسود الدؤلي توفي سنة ٦٩هـ قاضي البصرة بتكليف من زياد بن أبيه والي معاوية على البصرة، وكانت حركات الإعراب نقطًا فقد وضع أبو الأسود الدؤلي نقطة فوق الحرف للدلالة على الفتحة، ونقطة تحته للدلالة على الكسرة، ونقطة بين يديه للدلالة على الضمة، ونقطتين للدلالة على التنوين، أما وضع النقط على الحروف المتشابهة أو ما يسمى بإعجام المصحف، فقد تم على يد نصر بن عاصم سنة ٩٩هـ، ويحيى ابن يعمر والحسن البصري. بتكليف من الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف

الثقفي، وقد عبروا عن هذا بكلمة إعجام الحرف أي وضع نقطة عليه ليزيل عجمته أي إبهامه لأن أعجم في اللغة معناها أزال العجمة، فالهمزة هنا للسلب والنفي كما في أقسط بمعنى أزال الظلم، ولكن حتى لا يتداخل نقطُ الشكل مع نقطِ الإعجام، جعلوا الثانية بمداد مخالف لمداد الأولى، حتى جاء الخليل بن أحمد الفَراهيدي توفي سنة ١٧٠هـ. فاستبدل بنقط الإعراب حركات الإعراب المعروفة، الفتحة والكسرة والضمة والتنوين وبقيت نقط الإعجام تفصل بين حروف الباء والتاء والثاء وغيرها من الحروف التي تتشابه في رسمها الإملائي.

وبقي أن نفصح عن رأينا في وجوب التمسك بالرسم الإملائي العثماني (نسبة إلى مصحف عثمان بن عفان) حتى لا نقع تحت وطأة التساهل والتفريط وتفاوت قواعد الإملاء وتطورها، هذا وإن كنا بعيدًا عن المصاحف وفي أبحاثنا العلمية، نكتب الآيات وفق قواعد الإملاء المتعارف عليها في عصرنا وفي وطننا، تسهيلاً على أنفسنا وعلى تلاميذنا، وتبقى للنص القرآني قداسته لا تقبل التجزئة ..

ينقل السيوطي عن البيهقي في شعب الإيمان: «من يكتب مصحفًا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبوه شيئًا، فإنهم كانوا أكثر علمًا وأصدق قلبًا ولسانًا، وأعظم أمانة، فلا ينبغي أن نظن أنفسنا استدراكًا عليهم». الإتقان جـ٢ ص١٦٧.

فائـــدة :

معرفة سور القرآن كلها توقيفي كمعرفة آياته، وأطول سور القرآن هي سورة (البقرة)، وأقصر سور القرآن هي سورة (الكوثر)، وبين سورة البقرة وسورة الكوثر، سور كثيرة تختلف طولاً وقصرًا ومرجع ذلك إلى الله – تعالى– وحده لحكم سامية.

تقسيم مخارج الحروف :

تنقسم مخارج [1] الحروف إلى قسمين: المخارج العامة والمخارج الخاصة، والمخارج العامة هي التي تشتمل على مخرج فأكثر وهي خمسة مخارج:

١- الجوف. ٢- الحلق. ٣- اللسان. ٤- الشفتان. ٥- الخيشوم.

والمخارج الخاصة: هي المحددة التي لا تشتمل إلا على مخرج واحد، وقد اختلف فيها العلماء فمنهم من عدها (سبعة عشر) مخرجًا منحصرة في خمسة مخارج عامة، ومنهم من عدها (ستة عشر)، ومنهم من عدها (أربعة عشر) وسوف نفصل ذلك مع ذكر خلاف العلماء في موضعه إن شاء الله.

المخرج الأول من المخارج العامة: «الجوف» :

معنى الجوف: هو الخلاء، وهو الخلاء الواقع داخل الفم والحلق.

الحروف التي تخرج من الجوف حروف المد:

١- الألف نحو (قال).

٢- الواو المدية نحو (يقول).

٣- الياء المدية نحو (قيل).

وهذه الحروف تسمى «جوفية» ذلك لأنها تخرج من الجوف، وتسمى «مدية» ذلك لامتداد الصوت عند النطق بها، وتسمى «هوائية» لأنها تنتهي بانقطاع هواء الفم، وتسمى حروف علة، وتسمى حروف «لين».

---

(١) المخارج: جمع مخرج على وزن مفعل، بفتح الميم وسكون الخاء وفتح الراء، والمخرج لغة: محل الخروج، واصطلاحًا: اسم لموضع خروج الحرف وتمييزه عن غيره، كمدخل اسم لموضع الدخول، ومرقد اسم لموضع الرقود.

ومخارج الحروف هي بمثابة الموازين تعرف بها مقاديرها، فتتميز عن بعضها، وطريقة معرفة مخرج الحرف هي النطق به ساكنًا، أو مشددًا، ثم تدخل عليه همزة الوصل محركة بأي حركة كانت، فحيث انقطع الصوت فهو مخرجه المحقق.

المخرج الثاني من المخارج العامة: «الحلق»:

وفي الحلق ثلاثة مخارج تخرج منها ستة أحرف وهي:

١- أقصى الحلق : أي مما يلي الصدر ويخرج منه الهمزة والهاء.

٢- وسط الحلق : وهو ما بين أقصاه وأدناه ويخرج منه العين والحاء.

٣- أدنى الحلق : أي أقربه مما يلي الفم ويخرج منه الغين والخاء، وإلى ذلك أشار صاحب التحفة في حروف الحلق فقال:

همز فهاء ثم عين حـــاء   مهملـــتان ثم غين خاء

المخرج الثالث من المخارج العامة: «اللسان»:

وفيه عشرة مخارج تخرج منها ثمانية عشر حرفًا وهي:

١- أقصى اللسان من فوق مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى ويخرج منه (ق).

٢- أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، ويخرج منه (ك) إلا أن مخرجها أسفل من مخرج الـــ (ق).

٣- وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، ويخرج منه (الجيم فالشين فالياء غير المدية).

٤- إحدى حافتي اللسان مما يلي الأضراس العليا اليسرى أو اليمنى، ويخرج منه (ض)، وتسمى الضاد مستطيلة لاستطالة مخرجها، والنطق بالضاد كاملاً من مميزات العربي؛ لأن الضاد لا توجد إلا في اللغة العربية، ولذا تسمى لغة الضاد، وقد تميز النبي ﷺ بكامل نطقه بها فقال: «**أنا أفصح من نطق بالضاد**» ويقول الشاعر في مدحه ﷺ في ذلك:

ثم صـــلاة الله مـــا تـــرنما حـــاد بســوق العس في أرض

عـــلى نبيـــنا الحبيـــب الهادي أجـــل كـــل نـــاطق بالضـــاد

٥- أدنى حافة اللسان إلى منتهاها مع ما يحاذيها من اللثة العليا، ويخرج منه (ل).

٦- طرف اللسان تحت مخرج اللام قليلاً مع ما يليه من لثة الأسنان العليا، ويخرج منه (ن).

٧- طرف اللسان قريب إلى ظهره قليلاً بعد مخرج النون، ويخرج منه (الراء).

٨- طرف اللسان مع ما بين الثنايا العليا والسفلى قريب إلى طرف الثنايا السفلى ويخرج منه (ص - ز - س).

٩- ظهر طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا ويخرج منه (ط - د - ت).

١٠- ظهر طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، ويخرج منه (ظ - ذ-ث).

المخرج الرابع من المخارج العامة: «الشفتان»:

وفيهما مخرجان :

١- بطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا ويخرج منه حرف (ف).

٢- ما بين الشفتين معًا، ويخرج منه ثلاثة أحرف وهي (ب - م - و).

المخرج الخامس من المخارج العامة: «الخيشوم» :

الخيشوم هو أقصى الأنف من الداخل وفيه مخرج واحد تخرج منه (الغنة).

ترتيب المخارج الخاصة الفرعية حسب ورودها في المخارج العامة :

١- مخرج الجوف ومنه حروف المد الثلاثة (الألف - الواو - الياء).

٢- أقصى الحلق ويخرج منه (الهمزة - والهاء).

٣- وسط الحلق ويخرج منه (العين - والحاء).

٤- مخرج أدنى الحلق، ويخرج منه (الغين - والخاء).

٥- أقصى اللسان، ويخرج منه (القاف - الكاف).

٦- وسط اللسان، ويخرج منه (الشين - الجيم - الياء).

٧- حافتي اللسان وتخرج منه (ض - ل).

٨- طرف اللسان ويخرج منه الحروف (النون - الراء - الصاد - الزاي - السين - الطاء - الدال - التاء - الظاء - الذال - الثاء).

٩- بطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا، ويخرج منه حرف (الفاء).

١٠- الشفتان معًا وتخرج منهما (الواو - الباء - الميم).

١١- مخرج الخيشوم، يخرج منه (الغنة).

ترتيب المخارج بترتيب حروف المعجم :

١- أ (الهمزة) تخرج من أقصى الحلق.

٢- ا (الألف) المدية، تخرج من الجوف.

٣- ب (الباء) تخرج من الشفتين معًا.

٤- ت (التاء) تخرج من طرف اللسان.

٥- ث (الثاء) تخرج من طرف اللسان.

٦- ج (الجيم) تخرج من وسط اللسان.

٧- ح (الحاء) تخرج من وسط الحلق.

٨- خ (الخاء) تخرج من أدنى الحلق.

٩- (الدال) تخرج من طرف اللسان.

١٠- ذ (الذال) تخرج من طرف اللسان.

١١- ر (الراء) تخرج من طرف اللسان.

١٢- ز (الزاي) تخرج من طرف اللسان.

١٣- س (السين) تخرج من طرف اللسان.

١٤- ش (الشين) تخرج من وسط اللسان.

١٥- ص (الصاد) تخرج من طرف اللسان.

١٦- ض (الضاد) تخرج من حافة اللسان.

١٧- ط (الطاء) تخرج من طرف اللسان.

١٨- ظ (الظاء) تخرج من طرف اللسان.

١٩- ع (العين) تخرج من وسط الحلق.

٢٠- غ (الغين) تخرج من أدنى الحلق.

٢١- ف (الفاء) تخرج من بطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا.

٢٢- ق (القاف) تخرج من أقصى اللسان.

٢٣- ك (الكاف) تخرج من أقصى اللسان.

٢٤- ل (اللام) تخرج من حافة اللسان.

٢٥- م (الميم) تخرج من الشفتين معًا.

٢٦- ن (النون) تخرج من طرف اللسان.

٢٧- هـ (الهاء) تخرج من أقصى الحلق.

٢٨- و (الواو) تخرج من الجوف.

٢٩- ي (الياء) تخرج من الجوف.

فائـــدة :

اعلم أن حروف الهجاء [١] عند أحكام (النون الساكنة والتنوين) يكون عددها ثمانية وعشرين حرفًا فقط، فللإظهار ستة، وللإدغام ستة، وللإقلاب واحد، وللإخفاء خمسة عشر حرفًا، أما حروف المد الثلاث وهي (الألف - والواو - والياء) فلا تقع بعد النون الساكنة والتنوين مطلقًا لكي لا يلتقي الساكنان.

وكذا الحكم عند (الميم الساكنة واللامات السواكن يكون عدد الحروف الهجائية ثمانية وعشرين حرفًا أيضًا لهذا السبب، أما عند (مخارج

(١) انظر غاية المريد ص١٣١، ١٣٠.

الحروف) فيكون عددها واحدًا وثلاثين حرفًا، فالجوف يخرج منه ثلاثة أحرف، والحلق ستة أحرف، واللسان ثمانية عشر، والشفتان أربعة.

وكذا عند (صفات الحروف) يكون عددها واحدًا وثلاثين حرفًا أيضًا.

وإليك جدول ورسم توضيحي يقرب تحديد تلك المخارج موضحة بالشكل:

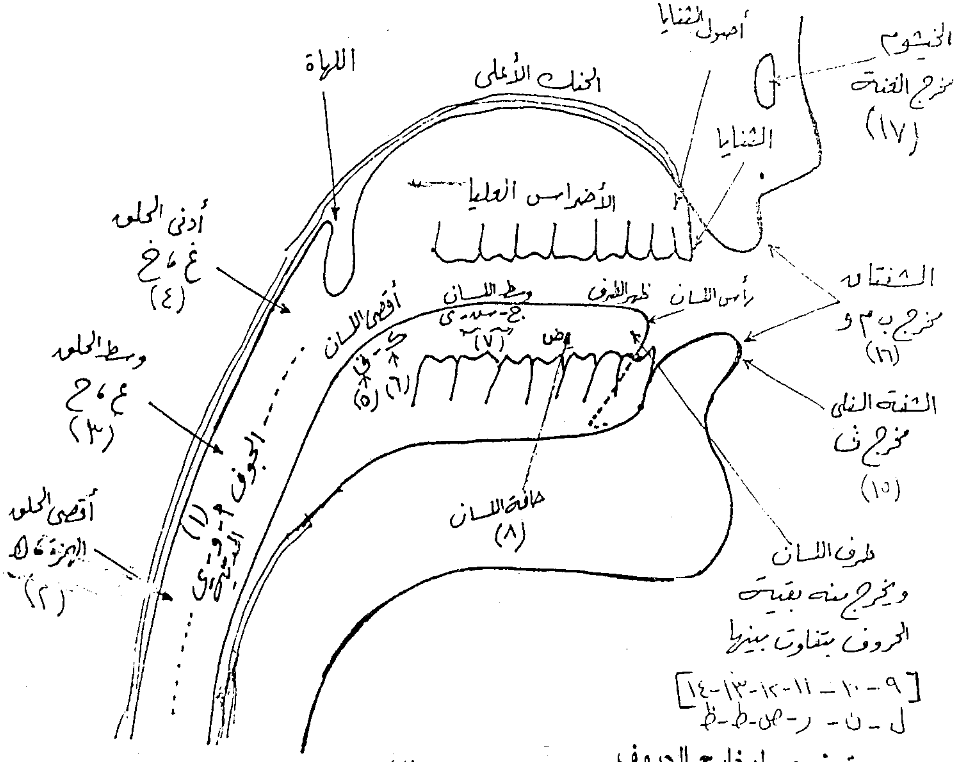

رسم توضيحي لمخارج الحروف
(كما هو موضح بجدول مخارج الحروف العامة والخاصة)

جدول بمخارج الحروف العامة والخاصة

١	٢			٣										٤		٥
الجوف	الحلق			اللسان										الشفتان		الخيشوم
	أقصاه	وسطه	أدناه	أقصاه		وسطه	حافتاه		طرفه					بطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا	الشفتان العليا والسفلى	
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧
ا و ى	أ هـ	ع ح	غ خ	ق	ك	ج ش ى	ض	ل	ن	ر	ص ز س	ط د ت	ظ ذ ث	ف	و ب م	الغنة

ألقاب الحروف عشرة :

لقد اشتهرت ألقاب الحروف عند علماء هذا الفن بأنها عشرة ألقاب اصطلح عليها العلماء، وإليك هذه الألقاب مرتبة بحسب المواضع التي تخرج منها وهي:

حروف حلقية، وحروف لهوية، وحروف شجرية، وحروف أسلية، وحروف نطعية، وحروف لثوية، وحروف ذلقية، وحروف شفهية، وحروف جوفية، وحروف هوائية وإليك بيانها بشيء من التفصيل:

١- **الحروف الحلقية:** وهي ستة، تخرج من الحلق، ولذا سميت حلقية، وهي: (الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء) وتجمع من أوائل كلم العبارة: «إن غاب عني حبيبي همني خبره».

٢- **الحروف اللهوية:** وهما حرفان، لقبا بذلك لخروجهما من قرب اللهاة، وهي اللحمة المدلاة في أقصى سقف الحلق، وهما: القاف، والكاف.

٣- الحروف الشجرية: ولقبت بذلك لخروجها من شجر الفم أي ملتقى ما بين اللحيين، وهي ثلاثة (الجيم، والشين، والياء) وقد زاد صاحب لآلئ البيان حرفًا رابعًا وهو الضاد، حيث قال -رحمه الله-:

والجيم والشين وياء لقبت   مع ضادها شجرية كما ثبت

٤- **الحروف الأسلية:** ولقبت بذلك لخروجها من أسلة اللسان أي طرفه، وهي ثلاثة: (الصاد - والزاي - والسين).

٥- **الحروف النطعية** : ولقبت بذلك لخروجها من قرب نطع الفم أي غاره، وهو الجزء الأمامي من الحنك الأعلى، وهي ثلاثة: (الطاء، والدال، والتاء).

٦-**الحروف اللثوية:** ولقبت بذلك لقرب مخرجها من اللثة، وهي اللحم الذي ينبت فيه الأسنان، ويسمى بأصول الأسنان،وهي ثلاثة: (الظاء، والذال، والثاء).

٧-**الحروف الذلقية:** ولقبت بذلك لخروجها من ذلق اللسان وهي ثلاثة: (اللام- والراء- والنون)

٨-**الحروف الشفهية:** ولقبت بذلك لخروج الفاء من بطن الشفة السفلى، وخروج الباقي من الشفتين معًا، وهي: (الفاء- والواو - والباء - والميم).

٩-**الحروف الجوفية:** ولقبت بذلك لخروجها من الجوف، وهي حروف المد الثلاثة.

١٠-**الحروف الهوائية:** لقبت بذلك، لأن خروجها ينتهي بانقطاع هواء الفم وهذه الحروف هي حروف الجوف.

ولقد أشار صاحب لآلئ البيان إلى هذه الألقاب العشرة فقال:

وأحرف المد إلى الجوف انتمت	وهكذا إلى الهواء نسبت
وأحرف الحلق أتت حلقيه	والقاف والكاف معا الهوية
والجيم والشين وياء لقبت	مع ضادها شجرية كما ثبت
واللام والنون ورا ذلقية	والطاء والدال وتا نطعية
وأحرف الصفير قل أسلية	والظاء والذال وثا لثوية
والفاء وميم با وواو سميت	شفوية فتلك عشرة أتت

خلاف العلماء حول عدد مخارج الحروف

لقد اختلف علماء التجويد واللغة في عدد مخارج الحروف العامة والخاصة، وقد ورد الخلاف في كتاب العميد، وإليك تفصيله:

رأي جمهور العلماء في عدد المخارج:

ذهب جمهور العلماء، ومنهم ابن الجزري -رحمه الله-، والخليل بن أحمد الفراهيدي إلى أن عدد المخارج الخاصة سبعة عشر مخرجًا في خمسة مخارج عامة وهي:

١-الجوف: ويشتمل على مخرج واحد.

٢-الحلق: ويشتمل على ثلاثة مخارج.

٣-اللسان: ويشتمل على عشرة مخارج.

٤-الشفتان: ويشتمل على مخرجين.

٥-الخيشوم: ويشتمل على مخرج واحد.

-رأي الشاطبي وسيبويه وموافقيهما في عدد مخارج الحروف:

ذهب بعض علماء التجويد واللغة ومنهم الشاطبي وسيبويه إلى أن المخارج الخاصة ستة عشر مخرجًا تنحصر في أربعة مخارج عامة هي:

١-الحلق بمخارجه الثلاثة.

٢-اللسان بمخارجه العشرة.

٣-الشفتان بمخرجيهما.

٤-الخيشوم بمخرجه.

وأسقطوا الجوف[1]، ووزعوا الحروف التي تخرج منه وهي حروف المد على مخارج أخرى، فجعلوا الألف المدية مع الهمزة من أقصى الحلق، والياء المدية مع غير المدية من وسط اللسان، والواو المدية مع غير المدية من الشفتين.

---

(١) العميد ص ٤٧.

رأي الفراء وموافقيه في عدد مخارج الحروف:

وذهب بعض علماء التجويد واللغة، ومنهم الفراء ويحيى وقطرب والجرمي إلى أن المخارج الخاصة أربعة عشر مخرجًا تنحصر في أربعة مخارج عامة وهي:

١-الحلق بمخارجه الثلاثة.

٢-اللسان بمخارجه الثمانية.

٣-الشفتان بمخرجيهما.

٤-الخيشوم بمخرجه.

وأسقطوا الجوف، ووزعوا الحروف التي تخرج منه كالمذهب السابق، وزادوا أن اللام والنون والراء تخرج من مخرج واحد وهو طرف اللسان وبذلك جعلوا مخارج اللسان ثمانية بدلاً من عشرة.

فائدة:

ذكر فضيلة الشيخ محمود علي بسه في العميد[1] أن الاختلاف في عدد مخارج الحروف مبني على التقريب لا على التحديد، إذ أن المخارج لابد أن تتعدد بتعدد الحروف الهجائية التي لابد لكل منها مخرج خاص به يميزه عن غيره من الحروف، فالأقوال المبنية على خروج أكثر من حرف من مخرج واحد هي على سبيل التقريب لا التحديد.

يقول الإمام ابن الجزري مشيرًا إلى أن مخارج الحروف السبعة عشر:

مخارج الحروف سبعة عشر　　　على الذي يختاره من اختبر

فألف الجوف وأختاها وهي　　　حروف مد للهواء تنتهي

ثم لأقصى الحلق همز هاء　　　ثم لوسطه فعين حاء

---

(١) العميد ص ٤٨.

أدنـــــاه غـــــين خاؤهـــــا		أقصـــى اللســـان فوق ثم الكاف

أســـفل والوســـط فجيم الشين		والضـــاد مـــن حافـــته إذ وليـــا

الأضـــراس مـــن أيســـر أو		والـــلام أدناهـــا لمنـــتهاهـــــا

والـــنون مـــن طـــرفة تحـــت		والـــرا يدانـــيه لظهر أدخـــل

والطـــاء والـــدال وتامـــنه		علـــيا الثـــنايا والصفير مستكـــن

مـــنه ومـــن فـــوق الثـــنايا		والظـــاء والـــذال وثا للعليـــا

من طرفيها ومن بطن الشفـــة		فالفـــا مـــع أطراف الثنايا المشرفة

للشفتين الواو باء ميـــــم		وغـــنة مخـــرجها الخيشـــوم

تقسيم صفات الحروف

إجمالي[1] صفات الحروف:

لقد اختلف العلماء في عدد الصفات فذهب ابن الجزري- رحمه الله- إلى أنها ثماني عشرة صفة، وعدها بعضهم عشرين، وزاد بعضهم حتى أوصلها إلى أربع وأربعين.

وتنقسم الصفات إلى قسمين: ذاتية وعرضية.

والذاتية: هي الصفة التي تلازم الحرف ولا تفارقه كالقلقلة.

والعرضية: هي الصفة التي تلحق بالحرف حينًا وتفارقه حينًا آخر.

وتنقسم الصفات الذاتية إلى قسمين:

الأول: صفات لها ضد.

الثاني: صفات ليس لها ضد.

والصفات التي لها ضد هي: الجهر وضده الهمس، والرخاوة وضدها الشدة، وبينها صفة التوسط، التي يقال لها: البينية -أي: بين الرخاوة والشدة-، والاستفال وضده الاستعلاء، والانفتاح وضده الإطباق، والإصمات وضده الإذلاق.

والصفات التي ليس لها ضد هي: الصفير، والقلقة، واللين، والانحراف، والتكرير، والتفشي، والاستطالة، والخفاء، والغنة.

---

(١) الصفة في اللغة ما قام بالشيء من المعاني كالسواد والبياض، وفي الاصطلاح: كيفية ثابتة للحرف عن نطقه، وتعتبر الصفات بمثابة المعايير للحروف، وفوائد الصفات ثلاث:

١- تمييز الحروف المشتركة في المخرج.

٢- معرفة القوي من الضعيف ليعلم ما يجوز إدغامه وما لا يجوز فإن ما له قوة ومزية عن غيره لا يجوز أن يدغم في ذلك الغير لئلا تذهب تلك المزية .

٣- تحسين لفظ الحروف المختلفة المخارج.

ومن هنا نعلم أن الصفات التي لها ضد تصل إلى إحدى عشرة صفة، والصفات التي ليس لها ضد تصل إلى تسع صفات.

تفصيل الصفات كلها:

١- الهمس:

الهمس لغة: الخفاء، واصطلاحًا: خفاء الحرف لضعفه عند النطق به، وحروف الهمس هي: (فحثه شخص سكت) وهذه الحروف عشرة، والعبارة من أقوال ابن الجزري -رحمه الله- وهذه الحروف هي: (الفاء- والحاء- والثاء- والهاء -والشين - والخاء-والصاد-والسين -والكاف - والتاء).

٢- الجهر: (وهو ضد الهمس).

الجهر لغة: الظهور والإعلان، واصطلاحًا: انحباس جريان النفس عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على مخرجه.

وحروف الجهر (واحد وعشرون) حرفًا وهي حروف الهجاء الباقية بعد حروف الهمس، وهي: (الهمزة - والباء - والجيم - والدال- والذال- والراء- والزاي- والضاد - والطاء- والظاء- والعين - والغين - والقاف-واللام- والميم- والنون - والواو- والياء- والألف- والواو المدية- والياء المدية).

٣- الشدة:

الشدة لغة: القوة، واصطلاحًا: انحباس جريان الصوت عند النطق بالحرف لكمال قوة الاعتماد على مخرجه.

وحروف الشدة (ثمانية) أشار إليها ابن الجزري في قوله: (أجد قط بكت) وهي: (الهمزة- والجيم - والدال- والقاف- والطاء- والباء- والكاف- والتاء).

٤- التوسط:

والتوسط لغة: الاعتدال، واصطلاحًا: اعتدال الصوت عند النطق بالحرف.

وحروف التوسط (خمسة) تجمع في قول ابن الجزري: (لن عمر)، وهي: (اللام - والنون- والعين - والميم- والراء).

٥- الرخاوة:

والرخاوة لغة: اللين، واصطلاحًا: جريان الصوت عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على مخرجه، وحروف الرخاوة (ثمانية عشر) وهي الحروف الباقية من حروف الهجاء بعد صفة الشدة والتوسط وهي: (الثاء - والحاء - والخاء- والذال- والزاي- والسين - والشين - والصاد- والضاد- والظاء- والغين - والفاء- والهاء- والواو- والياء- والألف- والواو المدية- والياء المدية).

٦- الاستعلاء:

والاستعلاء لغة: العلو والارتفاع، واصطلاحًا: ارتفاع جزء كبير من اللسان عند النطق بأغلب حروفه إلى الحنك الأعلى.

وحروفه جمعها الإمام المحقق ابن الجزري في قوله: (خص ضغط قظ) وهي: (الخاء- والصاد- والضاد - والغين - والطاء- والقاف- والظاء)، وهذه الحروف تفخم قولاً واحدًا.

٧- الاستفال: (وهو ضد الاستعلاء).

والاستفال لغة: الانخفاض، واصطلاحًا: انخفاض اللسان إلى قاع الفم عند النطق بأغلب حروفه وحروف الاستفال (أربعة وعشرون) حرفًا الباقية من أحرف الهجاء بعد حروف الاستعلاء وهي: (الهمزة - والباء- والتاء- والثاء- والجيم- والحاء- والدال- والذال- والراء- والزاي- والسين - والشين - والعين - والفاء- والكاف- واللام- والميم - والنون - والهاء- والواو- والياء - والألف - والواو المدية- والياء المدية).

٨- الإطباق:

والإطباق لغة: الإلصاق، واصطلاحًا: إطباق اللسان على الحنك الأعلى

عند النطق بحروفه بحيث ينحصر الصوت بينهما.

وحروف الإطباق (أربعة) وهي: (الصاد- والضاد- والطاء- والظاء) إلا أن هناك تفاوتًا بينها من حيث القوة.

٩- الانفتاح:

والانفتاح لغة: الافتراق، واصطلاحًا: تجافي اللسان عن الحنك الأعلى ليخرج الريح عند النطق بأغلب حروفه.

وحروفه (سبعة وعشرون) حرفًا، وهي الحروف الباقية من حروف الهجاء بعد حروف الإطباق وهي: (الهمزة- الباء- التاء- الثاء- الجيم- الحاء- الخاء- الدال- الذال- الراء- الزاي- السين- الشين - العين - الغين - الفاء- القاف- الكاف- اللام - الميم- النون - الهاء- الواو- الياء- الألف - الواو المدية _ الياء المدية).

١٠- الإذلاق:

والإذلاق لغة: حدة اللسان وبلاغته، واصطلاحًا: خفة الحرف وسرعة النطق به لخروجه من ذلق اللسان، أي: طرفه، أو من طرف إحدى الشفتين أو منهما معًا.

وحروف الإذلاق (ستة) جمعت في قول ابن الجزري: (فر من لب) وهي: (الفاء - والراء- والميم - والنون- واللام- والباء).

١١- الإصمات: (ضد الإذلاق).

والإصمات لغة: المنع، واصطلاحًا: ثقل الحرف وعدم سرعة النطق به.

وحروف الإصمات (خمسة وعشرون) حرفًا، وهي الحروف الباقية من حروف الهجاء بعد حروف الإذلاق وهي:

(الهمزة- التاء - الثاء- الجيم - الحاء- الخاء- الدال- الذال - الزاي- السين - الشين - الصاد- الضاد -الطاء -الظاء-العين - الغين - القاف- الكاف- الهاء-الواو -الياء- الألف - الواو المدية- الياء المدية).

وبذلك تمت الصفات التي لها ضد، وإليك الصفات التي ليس لها ضد وهي:

١٢-الصفير:

والصفير لغة: صوت يشبه صوت الطائر، واصطلاحًا: صوت زائد يخرج من بين الثنايا وطرف اللسان عند النطق بأحد حروفه.

وحروف الصفير ثلاثة هي: (الصاد- الزاي- السين).

١٣- القلقلة:

والقلقلة لغة: الاضطراب، واصطلاحًا: اضطراب الصوت عند النطق بالحرف حتى يسمع له نبرة قوية.

وحروف القلقلة خمسة، جمعها الإمام ابن الجزري في قوله: (قطب جد)، وأعلى الحروف قلقلة هو الطاء، وأوسط الحروف هو الجيم، وأدنى الحروف باقيها.

وقد أشار صاحب التحفة السمنودية بقوله:

قلقلة (قطب جد) وقربت   لفتح مخرج على الأولى ثبت
كبيرة حيث لدى الوقف أتت   أكبر حيث عند وقف شددت

١٤- اللين:

واللين لغة: السهولة، واصطلاحًا: إخراج الحرف من مخرجه بسهولة وعدم كلفة على اللسان.

وحرفاه، اثنان وهما: الواو والياء، والساكنتان المفتوح ما قبلهما نحو: خوف، بيت.

١٥- الانحراف:

والانحراف لغة: الميل والعدول، واصطلاحًا: الميل بالحرف بعد خروجه من مخرجه عند النطق به حتى يتصل بمخرج آخر.

وحرفاه اثنان، وهما: اللام والراء، ووصفا بالانحراف لأنهما انحرفا عن مخرجهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما.

١٦- التكرير:

والتكرير لغة: الإعادة، واصطلاحًا: ارتعاد رأس اللسان عند النطق بالحرف. وحرف التكرير واحد هو الراء.

١٧-التفشي:

والتفشي: لغة:الانتشار، واصطلاحًا: انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بالحرف. وحرف التفشي واحد هو الشين.

١٨-الاستطالة:

والاستطالة لغة: الامتداد، واصطلاحًا: امتداد الصوت من أول إحدى حافتي اللسان إلى آخرها. وحرف الاستطالة واحد هو الضاد.

١٩-الخفاء:

والخفاء لغة: الاستتار، واصطلاحًا: خفاء صوت الحرف عند النطق به.

وحروف صفة الخفاء (أربعة) حروف المد الثلاثة، والهاء، تجمع في قولك: (هواي).

٢٠-الغنة:

والغنة لغة: صوت له رنين في الخيشوم، واصطلاحًا: صوت لذيذ مركب من جسم النون والميم في كل الأحوال.

وحروف الغنة اثنان، وهما: الميم والنون المشددتين.

فائدة:

من الصفات السابقة منها هو قوي ومنها ما هو ضعيف، وكذلك يترتب عليه أن الحروف الهجائية منها ما هو قوي، ومنها ما هو ضعيف، وذلك يعود إلى الصفات التي يتصف بها كل حرف.

جدول للمقارنة بين صفات الحروف وهو كملخص لصفات حروف الهجاء

م	الصفة	حروفها	علة تسميتها
	صفات لها ضد		
١	الهمس	(فحثه شخص سكت) ف- ح - ث- هـ - ش- خ - ص- س- ك - ت	وسميت بحروف الهمس لضعفها وجريان النفس معها عند النطق بها لضعف الاعتماد عليها في مخرجها.
٢	الجهر	باقي حروف الهجاء بعد حروف الهمس والهمس عكس أو ضد الجهر.	سميت الحروف جهرية للجهر بها وانحباس النفس معها عند النطق بها لقوة الاعتماد عليها في مخرجها.
٣	الشدة	أجد قط بكت أ- ج-د - ق- ط- ب- ك - ت	سميت الحروف شديدة لقوتها وانحباس الصوت من الجريان معها عند النطق بها.
٤	التوسط	(لن عمر) ل- ن - ع - م - ر	لتوسط الصوت عند النطق بها وعدم كمال انحباسه
٥	الرخو	باقي حروف الهجاء بعد حروف الشدة والتوسط، لأن التوسط هو البينية بين الشدة والرخو.	سميت الحروف رخوية لضعفها وجريان الصوت معها حتى لانت عند النطق بها.
٦	الاستعلاء	(خص ضغط قظ) خ- ص- ض- غ- ط- ق- ظ	تسمى الحروف مستعلية لاستعلاء وارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بها.
٧	الاستفال	الحروف الباقية من حروف	تسمى الحروف مستفلة

		الهجاء بعد حروف الاستعلاء وعددها (٢٢).	لانخفاض اللسان في الفم وعدم ارتفاعه إلى أعلاه عند النطق بها.
٨	الإطباق	أربعة حروف هي: الصاد والضاد، والطاء، والظاء	سميت الحروف مطبقة لانطباق اللسان والتصاقه بالحنك الأعلى عند النطق بها.
٩	الانفتاح	الحروف الباقية من حروف الهجاء بعد حروف الإطباق وعددها (٢٥).	سميت الحروف منفتحة، لانفتاح اللسان عن الحنك الأعلى عند النطق بها.
١٠	الإذلاق	(فر من لب) ف- ر- م- ن - ل- ب	تسمى الحروف مذلقة لخروج بعضها من طرف اللسان، وبعضها من بطن الشفة السفلى، وبعضها من الشفتين معًا.
١١	الإصمات	الحروف الباقية بعد حروف الإذلاق وعددها(٢٥).	تسمى مصمتة لثقل النطق بها بسبب خروجها من غير طرف اللسان والشفتين.
صفات ليس لها ضد			
١٢	الصفير	ثلاثة حروف هي: الصاد، والزاي، والسين.	لخروج صوت زائد يشبه صفير الطائر معها عند النطق بها.
١٣	القلقلة	قطب جد ق- ط - ب- ج- د	لاضطراب اللسان في الفم عند النطق بها.
١٤	اللين	حرفاه اثنان: الياء الساكنة المفتوح ما قبلها والواو الساكنة المضموم ما قبلها.	ويسميان لينين لسهولة النطق بهما وعدم الكلفة في إخراجهما لميلهما عن مخرجهما عند النطق بهما.

١٥	الانحراف	اللام والراء .	لميلهما عن مخرجهما عند النطق بهما.
١٦	التكرير	للتكرير حرف واحد وهو الراء .	يسمى تكرارًا لارتعاد رأس طرف اللسان عند النطق بالراء.
١٧	التفشي	للتفشي حرف واحد هو الشين.	لانتشار الريح في الفم عند النطق بالشين.
١٨	الاستطالة	لها حرف واحد وهو الضاد، ومن المعلوم أن هذا المخرج هو أصعب المخارج، ولذا سميت العربية بلغة الضاد ولعدم وجود الضاد إلا فيها.	لاستطالة مخرجها وسريان النطق بها حتى تصل الضاد في النطق إلى مخرج اللام، أي حتى تتصل بمخرج اللام لاستطالتها.

ملاحظات على الجدول السابق:

١- من المعلوم أن التوسط هو البينية بين الشدة الرخاوة، ولذا عند التعريف يقال للتوسط: الاعتدال، والفرق بين الصفات الثلاث أي الشدة والتوسط والرخو قائم على جريان الصوت وعدمه، فما جرى معه الصوت رخوي، وما انحبس معه الصوت شديد، وما لم يكمل الانحباس والجريان معه متوسط، وحروف الهجاء مقسمة بين هذه الصفات الثلاث فما كان من حروف (أجد قط بكت) سمي شديدًا، وما كان من حروف (لن عمر) سمي متوسطًا، أو بينيًا، وما لم يكن من هذه ولا تلك سمي رخويًا، والله أعلى واعلم.

٢- صفة التكرير من الصفات التي لا ضد لها، ويجب الحذر من هذه الصفة لا فعلها، فإن اهتزاز طرف اللسان عند النطق به يؤدي إلى خروج أكثر من راء في وقت واحد، وهو الممنوع في علم التجويد، فالواجب إخراج راء واحدة، فهو عكس كل الصفات، وهو من الصفات التي يجب تجنبها

بعكس كل الصفات التي يجب فعلها.

٣- الصفات التي لها ضد هي: الجهر وضده الهمس، والرخو وضده التوسط، والشدة والاستفال وضده الاعتدال، والانفتاح وضده الإطباق، والإصمات وضده الإذلاق.

والصفات التي لا ضد لها هي: الصفير، والقلقلة، واللين، والانحراف، والتكرير، والتفشي، والاستطالة، وبذلك يتم عدد الصفات فهو يصل إلى ثماني عشرة صفة.

جدول عدد صفات كل حرف مرتبة على حروف المعجم

الحرف	صفاته	بيانها						
		١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
الهمزة	٥	جهري	شديد	مستفل	منفتح	مصمت		
الباء	٦	جهري	شديد	مستفل	منفتح	مذلق	مقلل	
التاء	٥	مهموس	شديد	مستفل	منفتح	مصمت		
الثاء	٥	مهموس	رخوي	مستفل	منفتح	مصمت		
الجيم	٦	جهري	شديد	مستفل	منفتح	مصمت	مقلل	
الحاء	٥	مهموس	رخوي	مستفل	منفتح	مصمت		
الخاء	٥	مهموس	رخوي	مستعل	منفتح	مصمت		
الدال	٦	جهري	شديد	مستفل	منفتح	مصمت	مقلل	
الذال	٥	جهري	رخوي	مستفل	منفتح	مصمت		
الراء	٧	جهري	متوسط	مستفل	منفتح	مذلق	منحرف	مكرر
الزاي	٦	جهري	رخوي	مستفل	منفتح	مصمت	صفيري	
السين	٦	مهموس	رخوي	مستفل	منفتح	مصمت	صفيري	
الشين	٦	مهموس	رخوي	مستفل	منفتح	مصمت	متفشٍ	
الصاد	٦	مهموس	رخوي	مستعل	مطبق	مصمت	صفيري	
الضاد	٦	جهري	رخوي	مستعل	مطبق	مصمت	مستطيل	
الطاء	٦	جهري	شديد	مستعل	مطبق	مصمت	مقلقل	
الظاء	٥	جهري	رخوي	مستعل	مطبق	مصمت		
العين	٥	جهري	متوسط	مستفل	منفتح	مصمت		
الغين	٥	جهري	رخوي	مستعل	منفتح	مصمت		
الفاء	٥	مهموس	رخوي	مستفل	منفتح	مذلق		

القاف	٦	جهري	شديد	مستعل	منفتح	مصمت	مقلقل	
الكاف	٥	مهموس	شديد	مستفل	منفتح	مصمت		
اللام	٦	جهري	متوسط	مستفل	منفتح	مذلق	منحرف	
الميم	٥	جهري	متوسط	مستفل	منفتح	مذلق		
النون	٥	جهري	متوسط	مستفل	منفتح	مذلق		
الهاء	٥	مهموس	رخوي	مستفل	منفتح	مصمت		
الواو	٦	جهري	رخوي	مستفل	منفتح	مصمت	لينة	
الياء	٦	جهري	رخوي	مستفل	منفتح	مصمت	لينة	

تماثل وتقارب وتجانس وتباعد الحروف

أولاً: التماثل:

المتماثلان هما الحرفان اللذان اتفقا اسمًا ومخرجًا وصفة كالدالين في قوله تعالى: ﴿**وقد دخلوا**﴾ في المائدة.

وينقسم المتماثلان إلى ثلاثة أقسام هي:

١- المتماثلان الصغير: الحرف الأول منهما ساكن، والثاني متحرك مثل: ﴿**اذهب بكتابي هذا**﴾ بالنمل، ﴿**فما ربحت تجارتهم**﴾، ﴿**اضرب بعصاك**﴾، ﴿**قل لكم**﴾، ﴿**وهم من**﴾، ﴿**عن نفس**﴾، ﴿**يدرككم**﴾ .

٢- المتماثلان الكبير: الحرفان متحركان مثل: ﴿**مناسككم**﴾ بالبقرة، ﴿**الرحيم ملك**﴾، ﴿**أنت تسمع**﴾، ﴿**شهر رمضان**﴾، ﴿**الناس سكارى**﴾، ﴿**يشفع عنده**﴾.

٣- المتماثلان المطلق: الحرف الأول متحرك، والثاني ساكن عكس المتماثلين الصغير تمامًا، ومثل: ﴿**ما ننسخ**﴾، ﴿**شققنا**﴾، ﴿**أحيينا**﴾، ﴿**تترى**﴾.

ثانيًا: التقارب:

المراد بالتقارب في الحروف هو التقارب النسبي لشموله لكل ما ورد فيه الرواية بالإدغام سواء كان الحرفان من عضو واحد أو من عضوين مختلفين، وينقسم المتقاربان إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: هما الحرفان اللذان تقاربا مخرجًا وصفة، ويشتمل على ثلاثة أقسام:

١- الصغير: كالتاء مع التاء نحو: ﴿**كذبت ثمود**﴾.

٢- الكبير: كالقاف مع الكاف نحو: ﴿**من فوقكم**﴾.

٣- المطلق: كالتاء مع الثاء نحو: ﴿**ولا يستثنون**﴾.

النوع الثاني: هما الحرفان اللذان تقاربا مخرجًا لا صفة، ويشتمل أيضًا على ثلاثة أقسام هي:

١- الصغير، كالدال مع السين نحو: ﴿**قد سمع**﴾.

٢- الكبير، كالدال مع السين نحو: ﴿**عدد سنين**﴾.

٣- المطلق، كالسين مع النون نحو: ﴿**سندس**﴾.

النوع الثالث: هما الحرفان اللذان تقاربا صفة لا مخرجًا ويشتمل كذلك على ثلاثة أقسام:

١- الصغير: كالذال مع الجيم نحو: ﴿**إذ جاءكم**﴾.

٢- الكبير: كالقاف مع الدال نحو: ﴿**قدر معلوم**﴾.

٣- المطلق: كالقاف مع الطاء نحو: ﴿**يلتقطه**﴾.

ثالثًا: التجانس:

المتجانسان هما الحرفان اللذان اتفقا مخرجًا واختلفا صفة، ويشتمل على ثلاثة أقسام:

١- الصغير: كالتاء مع الدال نحو: ﴿**أجيبت دعوتكما**﴾.

٢- الكبير: الكتاء مع الطاء نحو: ﴿**الصالحات طوبى**﴾.

٣- المطلق: كالتاء مع الطاء نحو: ﴿**أفتطمعون**﴾.

رابعًا: التباعد:

الحرفان المتباعدان هما الحرفان اللذان تباعدا مخرجًا واختلفا صفة كالتاء مع الخاء في ﴿**تخرجون**﴾، أو تباعدا مخرجا واتفقا صفة كالكاف مع التاء من ﴿**فاكتبوه**﴾، ويشتمل على ثلاثة أقسام:

١- الصغير: كالنون مع الخاء في: ﴿**والمنخنقة**﴾.

٢- الكبير: كالدال مع الهاء في: ﴿**دهاقًا**﴾.

٣- المطلق: كالهاء مع الميم في: ﴿**أنفسهم**﴾.

حكم المثلين والمتقاربين والمتجانسين والمتباعدين

١- حكم المثلين:

الصغير: حكمه: وجوب الإدغام.

الكبير: حكمه: وجوب الإدغام عند حفص إلا في كلمتين هما: ﴿**تأمنا**﴾ بيوسف، و﴿**مكني**﴾ من قوله تعالى: ﴿**قال ما مكني فيه ربي خير**﴾ بسورة الكهف.

المطلق: حكمه وجوب الإظهار عند جميع القراء.

٢- حكم المتقاربين:

المتقاربان الصغير في الأنواع الثلاثة حكمه وجوب الإظهار عند حفص إلا في اثنتين وثلاثين مسألة متفق على عدم إظهارها، ومسألة واحدة مختلف في إدغامها إدغامًا كاملاً أو ناقصًا [1].

حكم المتجانسين:

المتجانسان الصغير حكمه وجوب الإظهار مطلقًا إلا في ثمان مسائل، منها ست متفق على إدغامها إدغامًا كاملاً وهي:

١- الباء التي بعدها ميم في: ﴿**اركب معنا**﴾.

٢- التاء التي بعدها دال في: ﴿**أثقلت دعوا**﴾.

٣- التاء التي بعدها طاء في: ﴿**إذ همت طائفتان**﴾.

٤- الثاء التي بعدها ذال في: ﴿**يلهث ذلك**﴾.

٥- الدال التي بعدها تاء مثل: ﴿**ومهدت**﴾.

٦- الذال التي بعدها ظاء نحو: ﴿**إذ ظلمتم**﴾.

ومسألة واحدة متفق على إدغامها إدغامًا ناقصًا وهي: الطاء التي بعدها تاء مثل: ﴿**أحطت**﴾.

---

(١) غاية المريد ص (١٧٥).

ومسألة واحدة مختلف فيها بين الإظهار والإخفاء وهي: الميم الساكنة التي بها باء مثل: ﴿**ترميهم بحجارة**﴾ وقد سبقت الإشارة في باب الميم الساكنة إلى أن الإخفاء هو قول الجمهور من أهل الأداء، وقيل بإظهارها.

وأما حكم المتجانسين الكبير والمطلق فالإظهار دائمًا[1].

حكم المتباعدين:

المتباعدان الصغير حكمه الإظهار مطلقًا إلا في مسألتين متفق على الإخفاء فيهما وهما:

١- النون الساكنة التي بعدها قاف نحو قوله تعالى: ﴿**انقلبوا**﴾.

٢- النون الساكنة التي بعدها كاف نحو قوله تعالى: ﴿**أنكالا**﴾.

وأما حكم المتباعدين الكبير والمطلق: فالإظهار دائمًا.

فائدة:

إلى هذه الأنواع الأربعة وأقسامها يشير الشيخ إبراهيم شحاتة في التحفة السمنودية في تجويد الكلمات القرآنية بقوله -رحمه الله-:

إن يجتمع حرفان خطا ... حي على الظاهر فيما قسما
فمتماثلان إن يتحدا ... في مخرج وصفة كما بدا
ومتجانسان إن تطابقا ... في مخرج لا في الصفات اتفقا
ومتقاربان حيث فيهما ... تقارب أو كان في أيهما
ومتباعدان حيث مخرجا ... تباعدا والخلف في الصفات جا
وحيثما تحرك الحرفان في ... كل فسم بالكبير واقتف
وسم بالصغير حيثما ... أولهما ومطلق في العكس عن

كما أشار صاحب التحفة إلى الأنواع الثلاثة بقوله:

إن في الصفات والمخارج ... حرفان فالمثلان فيهما أحق

---

(١) انظر المرجع السابق ص ١٧٧، ١٧٨.

أو أن يكونا مخرجا تقاربا   وفي الصفات اختلفا يلقبا
متقاربين أو يكون اتفقا   في مخرج دون الصفات حققا
بالمتجانسين ثم إن سكن   أول كل فالصغير سمين
أو حرك الحرفان في كل   كل كبير وافهمنه بالمثل[1]

الوقف[2] والابتداء:

سبق أن أشرنا إشارة خفيفة إلى أهمية الوقف والابتداء للقارئ وذلك في موضوع ما يجب على القارئ أن يتعلمه قبل معرفة أحكام التجويد، وقلنا أن الوقف والابتداء من أهم موضوعات التجويد التي لا بد للقارئ من معرفتها، ومن مراعاتها في قراءته ما أمكن.

أهمية الوقف والابتداء وفوائدهما والأصل في ذلك[3]:

الوقف والابتداء من أهم موضوعات التجويد التي لا بد للقارئ من معرفتها، ومن مراعاتها في قراءاته ما أمكن، ومن إحاطته بالعلوم التي تبصره بهما وتجعله قادرًا على تمييز ما جاز منهما مما لم يجز كعلوم: التفسير- وأسباب النزول- والرسم العثماني- وعدِّ الآي- والنحو والبلاغة.

وذلك لما للوقف والابتداء من فوائد كثيرة للسامع والقارئ تتلخص في أمرين:

---

(١) وردت هذه الأبيات في تحفة الأطفال، وهي من تأليف سليمان الجمزوري - رحمه الله - وفيه أي في متنه شمل الأحكام دون الصفات والمخارج.

(٢) الوقف لغة:الحبس والكف واصطلاحًا: قطع الكلمة عما بعدها مقدارًا من الزمن مع التنفس وقصد العودة إلى القراءة في الحال، ويكون في آخر السورة، وفي آخر الآية، وفي أثنائها، ولا يكون وسط الكلمة، ولا فيما اتصل رسما كالوقف على ﴿إن﴾ في قوله تعالى: ﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾، وهذا مختصر وسوف نفصله داخل الباب.

(٣) هذا الباب نقلاً عن فتح المجيد ص ١٣٥ بتصرف

أحدهما: إيضاح المعاني القرآنية للمستمع كلما كان القارئ أقدر على تحري ما حسن من الوقف والابتداء في قراءته، وما يوضح المعنى المراد، وكلما حرص على ذلك.

والثاني: دلالة وقف القارئ في تقدير درجات الوقف جودة ورداءة، تبعًا لتفاوتهم في فهم القرآن، ومقدار إحاطتهم بهذه العلوم وقد أدرك المتقدمون ما للوقف والابتداء من أهمية وفوائد، حتى أنهم كتبوا كتبًا خاصة بهما ككتابي: «التمهيد في الوقف والابتداء» وما ورد عن النبي ﷺ في كثير من الأحاديث من أنه كان يقف على رءوس الآي، وأنه كان يقطع قراءته فيقول: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ ويقف، ثم يقول: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ ويقف ثم يقول: ﴿**الرحمن الرحيم**﴾ ويقف، وهكذا وأنه كان يقرئ أصحابه على مثل ذلك، ويعلمه لهم، وأن عليًّا رضي الله عنه سئل عن معنى قوله تعالى: ﴿**ورتل القرآن ترتيلاً**﴾ فقال: الترتيل هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف، والوقف هو حلية التلاوة وزينة القارئ وبلاغ التالي، وفهم المستمع، وفخر العالم.

حكم الوقف شرعًا:

ثم إنه لا يوجد في القرآن وقف واجب يأثم القارئ بتركه، ولا وقف حرام يأثم القارئ بفعله، وإنما يرجع وجود الوقوف وتحريمها إلى ما يقصده القارئ منها، وما يترتب على الوقف والابتداء من إيضاح المعنى المراد، أو إيهام غيره مما ليس مرادًا وكل ما ثبت شرعًا في هذا الصدد هو سنية الوقف على رءوس الآي، وكراهة تركه عليها، وجوازه على ما عداها ما لم يوهم خلاف المعنى المراد.

تعريف الوقف والوصل والسكت والقطع ومحل كل منها:

الوقف لغة: الحبس والكف، واصطلاحًا: قطع الكلمة عما بعدها مقدارًا من الزمن مع التنفس وقصد العودة إلى القراءة في الحال، ويكون في آخر السورة، وفي آخر الآية، وفي أثنائها.

ولا يكون وسط الكلمة، ولا فيما اتصل رسمًا كالوقف على إن في ﴿**فإن لم يستجيبوا لكم**﴾ بهود. وقد يوجد وقفان متعاقبان في لفظين متواليين إذا وقف على أحدهما لم يجز الوقف على الآخر، وهو ما يعرف بين القراءة بتعانق الوقف وتعاقبها، وذلك نحو: ﴿**لا ريب فيه**﴾ بالبقرة، ﴿**جزاء أعداء الله النار**﴾ بفصلت. فإنه يجوز الوقف في الأولى على كل من ﴿**ريب**﴾ و﴿**فيه**﴾ وفي الثانية على كل من: لفظ الجلالة، ولفظ النار.

فإن وقف على أحدهما لم يجز الوقف في الأصل إلا بالسكون المحض، وقد يكون بالروم أو الإشمام في الأحوال السابق بيانها.

وضد الوقف الوصل، أي: وصل الكلمة بما بعدها دون تنفس، ويشبه الوقف السكت، وهو لغة: المنع، واصطلاحًا: قطع الكلمة عما بعدها مقدارًا قصيرًا من الزمن قدر حركتين دون تنفس، مع قصد العودة إلى القراءة في الحال.

ولا يكون إلا على ألف ﴿**عوجًا**﴾ و﴿**مرقدنا**﴾ ونون ﴿**من راق**﴾، ولام ﴿**بل راق**﴾ اتفاقًا، وبين الأنفال وبراءة، وعلى هاء ﴿**ماليه**﴾ على أحد الأوجه الجائزة فيهما.

ولا يكون في غير تلك الكلمات ولا في وسط الكلمة أبدًا، ويشبه الوقف أيضًا القطع، أي: انتهاء القراءة.

والقطع لغة: الفصل والإزالة. وإصطلاحًا: قطع الكلمة عما بعدها مقدارًا طويلاً من الزمن مع التنفس دون قصد للعودة إلى القراءة في الحال، ولا يكون إلا في أواخر السور أو رءوس الآي على الأقل فإذا عاد القارئ

بعده إلى القراءة استحب له أن يستعيذ بالله عملاً بقوله تعالى: ﴿**فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**﴾.

أقسام الوقف في ذاته وتعريف كل منها ووجه تسميته باسمه وحكمه:

ثم إن الوقف ينقسم في ذاته إلى ثلاثة أقسام: اضطراري، واختباري -بالباء الموحدة -، واختياري -بالياء المثناة-.

فأما الوقف الاضطراري فهو: ما يعرض للقارئ أثناء قراءته بسبب ضرورة ملجئة إليه كالعطاس وضيق النفس.

وسمي اضطراريًا: لأن سببه الضرورة والاضطرار.

وحكمه: أنه يجوز للقارئ الوقف على أية كلمة حتى تنتهي الضرورة التي دعته إليه، ثم يعود إلى الكلمة التي وقف عليها فيبتدئ بها ويصلها بما بعدها ويستمر في قراءته إذا صلح الابتداء بما وقف عليه، وإلا فبما قبله مما يصلح الابتداء به.

وأما الوقف الاختباري: فهو أن يقف القارئ على كلمة ليست محلاً للوقف عادة في مقام التعليم لبيان حكمها من حيث القطع والوصل والحذف والإثبات، ونحو هذا، أو للإجابة على سؤال طلب إليه به بيان شيء من ذلك، وسمي اختباريًا: لحصوله في بعض أحواله إجابة على اختبار.

وحكمه: الجواز على أن يعود إلى ما وقف عليه فيبتدئ به ويصله بغيره مما بعده ويستمر في قراءته إن صلح الابتداء بما وقف عليه، وإلا فبما قبله مما يصلح الابتداء به كالوقف الاضطراري تمامًا.

وأما الوقف الاختياري: فهو أن يقف القارئ على كلمة باختياره دون عروض ضرورة ملجئة للوقف، ولا تعليم حكم من الأحكام، ولا إجابة على سؤال يتطلبه.

وسمي اختياريًا: لحصوله بمحض اختيار القارئ دون ضرورة ولا إجابة على اختبار.

وحكمه: أنه قد يعود إلى الابتداء بما وقف عليه فيصله بما بعده أو يبتدئ بما بعد الكلمة التي وقف عليها على ما سيأتي بيانه تفصيلاً.

أقسام الوقف الاختياري:

ثم إن الوقف الاختياري ينقسم إلى أربعة أقسام: تام، وكاف، وحسن، وقبيح. لأنه إما أن يتم الكلام في ذاته ولا يتعلق بما بعده لفظًا ولا معنى، فهو التام. وإما أن يتم الكلام في ذاته ويتعلق بما بعده معنى لا لفظًا فهو الكافي، وإما أن يتم الكلام في ذاته ويتعلق بما بعده لفظًا ومعنى فهو الحسن.

وإما ألا يتم الكلام في ذاته فهو القبيح، وإما أن يتم الكلام ويتعلق بما بعده لفظًا لا معنى وهو الصورة العقلية التي لم تذكر فلا وجود لها في الواقع إذ لا يوجد كلام متعلق بما بعده في اللفظ دون المعنى، لأن تعلق الكلام بما بعده في اللفظ يقتضي تعلقه به في المعنى من باب أولى.

والمراد بالتعلق في المعنى معروف، وهو ما يرجع فيه إلى علم التفسير والبلاغة ونحوهما. والمراد بالتعلق في اللفظ، التعلق الإعرابي الذي يرجع فيه إلى القواعد النحوية، وإليك بيان أنواع الوقف الاختياري بالتفصيل فيما يلي:

تعريف الوقف التام ووجه تسميته تامًّا وصوره وحكمه:

أما الوقف التام فهو: الوقف على كلام تام في ذاته غير متعلق بما بعده لفظًا ولا معنى، وسمي تامًّا لتمام الكلام به واستغنائه عما بعده، ويوجد غالبًا في أواخر السور ، وأواخر القصص ، كالوقف على الرحيم من قوله تعالى : ﴿**وإن ربك لهو العزيز الرحيم**﴾ في مواضعها الثمانية بالشعراء[1] لانتهاء الكلام عندها عن قصة والبدء في قصة أخرى، وعند انقطاع الكلام على موضوع معين للانتقال إلى غيره كالوقف على ﴿**تعلمون**﴾ من قوله تعالى :

---

(١) وردت هذه الآيات في سورة الشعراء ثماني مرات وهي (٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٥، ١٩١).

﴿**والله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾ بالبقرة؛ لأنه نهاية الكلام على أحكام الطلاق وما بعده بدء في سرد أحكام أخرى.

وصوره أربع؛ لأنه قد يكون على رءوس الآي كالمثالين السابقين، أو قريبًا من رأس الآية كالوقف على قوله تعالى: ﴿**وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم**﴾ بالبقرة، أو في وسط الآية، كالوقف على قوله تعالى: ﴿**كما يعرفون أبناءهم**﴾ بالأنعام ، ﴿**وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم**﴾ بالنساء ، وعلى قوله تعالى : ﴿**فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة**﴾ بالنساء أيضًا؛ لأن هذا الجزء من الآية قد أنزل في وقت غير الذي أنزل فيه الجزء الآخر منها وهو: ﴿**إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا**﴾ على ما ذكره النيسابوري، أو قريبًا من أول الآية نحو: ﴿**مريدًا لعنه الله**﴾، ﴿**وعليها ما اكتسبت**﴾، وهذا الوقف على كل حال هو أقل الوقوف الجائزة ورودًا في القرآن الكريم بينما هو أعلاها مرتبة.

وحكمه: أنه يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده.

تعريف الوقف الكافي ووجه تسميته كافيًا وصوره وحكمه:

وأما الوقف الكافي فهو: الوقف على كلام تام في ذاته متعلق بما بعده في المعنى دون اللفظ. وسمي كافيًا: للاكتفاء به، واستغنائه عما بعده وصوره أربع؛ لأنه قد يكون على رءوس الآي كالوقف على قوله تعالى: ﴿**لقد جئت شيئًا إمرًا**﴾ أو قريبًا من رأس الآية كالوقف على قوله تعالى: ﴿**فمنَّ الله عليكم فتبينوا**﴾، ﴿**وعلى أبصارهم غشاوة**﴾ أو في وسط الآية كالوقف على قوله تعالى: ﴿**فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم**﴾، ﴿**لا أملك إلا نفسي وأخي**﴾ أو قريبًا من أول الآية كالوقف على قوله تعالى: ﴿**وعلامات**﴾، ﴿**وبعثنا منهم اثني عشر نقيبًا**﴾.

وحكمه أنه يحسن الوقف والابتداء بما بعده كالتام وهو أكثر الوقوف الجائزة ورودًا في القرآن الكريم، وقد يتفاوت مقدار كفايته، فالوقف على

قولـــه تعالى: ﴿**وزلفًا من الليل**﴾ كاف، والوقف على قوله: ﴿**يذهبن السيئات**﴾ أكثر كفاية منه، والوقف على قوله تعالى: ﴿**ذكرى للذاكرين**﴾ أكثر كفاية منهما.

الفرق بين التام والكافي:

ثم إن الفرق بين الوقف التام والكافي غير محددٍ منضبطٍ عند جميع القراء كالفرق بينهما وبين الحسن والقبيح؛ لأن وجه الاختلاف بين التام والكافي تعلقه بما بعده في المعنى أولاً، وهو أمر نسبي يرجع فيه إلى الأذواق في فهم المعاني واعتبار ما وقف عليه متعلقًا بما بعده في المعنى، أو مستغنيًا عنه، ولذا نجد منهم من يعد بعض الوقوف الكافية في نظر غيره تامة أو العكس.

أما الفرق بين التام والكافي وغيرهما من الوقوف فليس محلاً لهذا الاختلاف الكبير؛ لأنه يعتمد على تعلق ما وقف عليه بما بعده في الإعراب أولاً، وهو أمر منضبط بعض الشيء أكثر من التعلق المعنوي.

تعريف الوقف الحسن ووجه تسميته حسنًا وصوره وحكمه:

وأما الوقف الحسن فهو: الوقف على كلام تام في ذاته متعلق بما بعده في اللفظ والمعنى معًا، كأن يكون متبوعًا وما بعده تابعًا له، أو مستثنى منه وما بعده مستثنى. وسمي حسنًا؛ لأنه يحسن الوقف عليه، وصوره أربع: قد يكون على رءوس الآي كالوقف على المؤمنين من قول الله تعالى: ﴿**وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين**﴾ أو قريبًا من رأس الآية كالوقف على قوله تعالى: ﴿**قم الليل**﴾ أو في وسط الآية كالوقف على قوله تعالى: ﴿**لا يحب الله الجهر بالسوء من القول** ﴾ .

أو قريبًا من أول الآية كالوقف على قوله تعالى: ﴿**الحمد لله**﴾ أول فاطر.

وحكمه: أنه يحسن الوقف عليه، ولا يجوز الابتداء بما بعده إذا كان الوقف على رأس آية اتفاقًا. وإنما يعود القارئ إلى الكلمة التي وقف عليها فيبتدئ بها ويصلها بما بعدها إن صلح الابتداء بها، وإلا فبما قبلها مما يصلح

الابتداء به.

وأما إذا كان الوقف على رأس آية فإنه يسن الوقف عليه كما تقدم، ولكن لا يجوز الابتداء بما بعده اتفاقًا إلا بثلاثة شروط وهي:

١- ألا يوهم الوقف على رأس الآية، والابتداء بما بعده خلاف المعنى المراد.

٢- أن يفهم ما بعد رأس الآية الموقوف عليه معنى.

٣- ألا يكون ما بعد رأس الآية تابعًا لمتبوع في الآية التي وقف على رأسها، وذلك كالوقف على: ﴿**ينقذون**﴾ من قوله تعالى: ﴿**ولا هم ينقذون**﴾ والابتداء بما بعده وهو: ﴿**إلا رحمة منا**﴾ فإنه لا يوهم خلاف المعنى المراد، ويفهم مما بعده رأس الآية معنى، وليس تابعًا لمتبوع في الآية التي وقف على رأسها.

أما إذا كان الوقف على رأس الآية، والابتداء بما بعده يوهم خلاف المعنى المراد كالوقف على قوله تعالى: ﴿**فويل للمصلين**﴾ فإنه يسن الوقف على رأس الآية، ولا يجوز الابتداء بما بعده اتفاقًا، وإن كان ما بعد رأس الآية الموقوف عليه لا يفهم منه معنى إذا ابتدئ به كالوقف على قوله تعالى: ﴿**لعلكم تتفكرون**﴾ والابتداء بما بعده وهو: ﴿**في الدنيا والآخرة**﴾ الذي لا يفيد معنى إلا إذا انضم إليه ما قبله، أو كان ما بعد رأس الآية الموقوف عليه تابعًا لمتبوع من الآية الموقوف على رأسها نحو: ﴿**صراط الذين**﴾ فإنه بدل من ﴿**الصراط المستقيم**﴾ الموقوف عليه، فقد اختلف في جواز الابتداء بما بعد رأس الآية في كل من هاتين الحالتين أولاً.

والظاهر من كلام ابن الجزري -وهو ما أستريح إليه- جواز الابتداء بما بعد رأس الآية في هاتين الحالتين بصرف النظر عن كونه في إحداهما لا يهم منه معنى، وفي الأخرى تابعًا لمتبوع في الآية الموقوف على رأسها عملاً بحديث تقطيع القراءة والوقف على رءوس الآي والابتداء بما بعدها.

تعريف الوقف القبيح ووجه تسميته قبيحًا وصوره وحكمه:

وأما الوقف القبيح فهو: الوقف قبل أن يتم الكلام في ذاته كالوقف بين الفعل وفاعله، والمبتدأ وخبره، والمضاف والمضاف إليه، ونحو ذلك، وسمي قبيحًا لقبح الوقف عليه؛ إلا لضرورة وصوره أربع؛ لأنه قد يكون على رءوس الآي، كالوقف علي قوله تعالى: ﴿**إن هؤلاء ليقولون**﴾ أو قريبًا منه كالوقف على لفظ الجلالة من قوله: ﴿**فإن فاءوا فإن الله**﴾ أو في وسط الآية كالوقف على خير من قوله تعالى: ﴿**وما تفعلوا من خير يعلمه الله**﴾ أو قريبًا من أول الآية كالوقف على الحق من قوله تعالى: ﴿**الحق من ربك**﴾.

وحكمه: أنه لا يجوز الوقف عليه إلا لضرورة كضيق النفس، فإن وقف عليه ابتدئ بالكلمة التي وقف عليها إن صلح الابتداء بها، وإلا فبما قبلها مما يصلح الابتداء به.

فوائد تتعلق بالوقف والابتداء

١- حكم الوقف والابتداء إذا أوهم أحدهما معنى شنيعًا:

ومن الغاية في القبيح الوقف الموهم معنى شنيعًا كالوقف على قوله تعالى : ﴿**لا تقربوا الصلاة**﴾ أو بين النفي والإيجاب كالوقف على قوله تعالى: ﴿**وما من إله**﴾ وكذلك الابتداء بما يوهم معنى شنيعًا كالابتداء بقوله تعالى: ﴿**غير الله يرزقكم**﴾ وحكم هذا النوع من الوقف والابتداء التحريم على من تعمده فإن اعتقده كفر.

٢- الوقف الشاذ الذي لا يجوز:

ومن الوقوف المنصوص عليها في بعض الكتب ما يجب تجنبه لشذوذه نظرًا إلى إيهامه خلاف المعنى المراد، وإن رآه بعض الناس مقبولاً لعدم تأمل المعنى المقصود من الآية في جملتها، وذلك كالوقف على قوله تعالى: ﴿**قرت عين لي ولك لا**﴾ وهو شاذ لا يجوز.

٣- بعض ما يصح الابتداء به والوقف على ما قبله وما لا يصح:

ويلاحظ أنه مما يحسن الابتداء به والوقف على ما قبله غالبًا لفظ (إنَّ) بكسر الهمز وتشديد النون ما لم تقع بعد قول أو قسم في آيتها. ومما لا يصح الابتداء به والوقف على ما قبله لفظ أن بفتح الهمز وتشديد النون، ولكن بالتخفيف، إلا أن تكون لكن أو لكن في بدء آية نحو قول الله تعالى: ﴿**لكن الراسخون في العلم**﴾ ونحو: ﴿**لكنا هو الله ربي**﴾.

٤- هناك أنواع أخرى من الوقف منها:

وقف السنة: ويسمى وقف جبريل، ووقف الاتباع، وذلك في عشرة مواضع في القرآن الكريم[1]:

الموضعان الأول والثاني: ﴿**فاستبقوا الخيرات**﴾ في سورتي البقرة والعقود.

---

(١) معالم الاهتداء (١٣)

الثالث: ﴿**قل صدق الله**﴾ في آل عمران.

الرابع: ﴿**ما يكون لي أن أقول ما ليس بحق**﴾ في العقود.

الخامس: ﴿**قل هذه سبيلي أدعو إلى الله**﴾ في يوسف.

السادس: ﴿**كذلك يضرب الله الأمثال**﴾ في الرعد.

السابع: ﴿**والأنعام خلقها**﴾ في النحل.

الثامن: ﴿**أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا**﴾ في السجدة.

التاسع: ﴿**فحشر**﴾ في النازعات.

العاشر: ﴿**ليلة القدر خير من ألف شهر**﴾ في القدر.

وقد ذكر هذه المواضع الشيخ أحمد بن عبد الكريم الأشموني في كتابه المسمى «منار الهدى في بيان الوقف والابتداء» نقلاً عن الشيخ السخاوي، وزاد بعض ممن كتب في علم التجويد سبعة مواضع:

١- ﴿**أن أنذر الناس**﴾.

٢- ﴿**ولا يحزنك قولهم**﴾ كلاهما بيونس.

٣- ﴿**إنما يعلمه بشر**﴾ في النحل.

٤- ﴿**يا بني لا تشرك بالله**﴾ في لقمان.

٥- ﴿**أنهم أصحاب النار**﴾ في غافر.

٦- ﴿**من كل أمر**﴾ في القدر.

٧- ﴿**فسبح بحمد ربك واستغفره**﴾ في النصر.

فتكون الجملة سبعة عشر موضعًا، وسمي الوقف في هذه المواضع وقف السنة ووقف جبريل ووقف الاتباع؛ لأن الرسول ﷺ كان يتحرى الوقف في هذه المواضع دائمًا. هكذا قالوا.

الوقف الصالح: وهو الوقف على كلمة تعلق ما بعدها بها أو بما قبلها تعلقًا معنويًّا، وتعلق بها أو بما قبلها تعلقًا لفظيًّا على الراجح، فلا بد من ثبوت التعلق المعنوي في الوقف الصالح أيضًا، وأما التعلق اللفظي فيكون ثابتًا فيه

أيضًا على الراجح، وعلى هذا يتفق الوقفان الحسن والصالح في ثبوت التعلق المعنوي فيهما. ويفترقان في التعلق اللفظي؛ لأنه يكون منفيًا في الوقف الحسن على الراجح، وثابتًا في الوقف الصالح الراجح.

وبيان ذلك أن الجملة التي تلي الكلمة الموقوف عليها إذا كان فيها الوجهان السابقان في الوقف الحسن ولكن كان الوجه الثاني وهو أن للجملة موضعًا من الإعراب لكونها في موضع الخبر أو الصفة أو الحال - إلى غير ذلك- راجحًا على الوجه الأول وهو أن الجملة استئنافية لا محل لها من الإعراب.

وإذا كانت الجملة هكذا فالوقف على الكلمة قبلها يسمى وقفًا صالحًا. والأفضل وصل هذه الكلمة بما بعدها نظرًا للوجه الراجح وهو أن للجملة بعدها محلاً من الإعراب، ويجوز الوقف عليها باعتبار الوجه المرجوح وهو استئناف الجملة بعدها؛ فيكون الوصل أرجح من الوقف.

ومن أمثلة الوقف الصالح : الوقف على كلمة اهبطوا في قوله تعالى : ﴿**وقلنا اهبطوا**﴾[البقرة الآية: ٣٦]، وذلك أن جملة: ﴿**بعضكم لبعض عدو**﴾ المكونة من مبتدأ وخبر فيها وجهان:

أصحهما -كما قاله العلامة السمين-: أنها في محل نصب على الحال من الواو في اهبطوا والتقدير متعادين.

والثاني: أنها لا محل لها من الإعراب مستأنفة بقصد الإخبار بالعداوة فحينئذ يكون وصل اهبطوا بالجملة بعدها أفضل من الوقف عليها وإن كان جائزًا.

ومن أمثلته أيضًا الوقف على كلمة و﴿**عصينا**﴾ في قوله تعالى: ﴿**قالوا سمعنا وعصينا**﴾ [البقرة آية: ٩٣] وذلك أن جملة و﴿**أشربوا**﴾ يحتمل أن تكون في محل نصب على الحال من فاعل قالوا بتقدير قد عند البصريين ومن غير تقديرها عند الكوفيين ويحتمل أن تكون معطوفة على جملة قالوا، ويحتمل

أن تكون مستأنفة لا موضع لها من الإعراب جيء بها لمجرد الإخبار بذلك، ولكن هذا الوجه ضعفه النحوي الكبير أبو البقاء وعلل ضعفه بأن قوله تعالى: ﴿**قل بئسما يأمركم به إيمانكم**﴾ إلخ جواب لقولهم: ﴿**سمعنا وعصينا**﴾ ، فيحسن ألا يكون بينهما أجنبي، فحينئذ يحسن وصل (وعصينا) بما بعدها نظرًا للوجهين الأولين ويجوز الوقف عليها نظرًا لوجه الاستئناف وإن كان ضعيفًا.

وسمي هذا الوقف صالحًا لأن الكلمة صالحة للوقف عليها نظرًا للوجه المرجوح وإن كان وصلها بما بعدها أفضل نظرًا للوجه الراجح.

الكواكب الدرية

في

نزول القرآن على سبعة أحرف

تأليف

محمد بن علي بن خلف الحسيني المالكي الأزهري
المعروف بالحداد
المتوفى سنة ١٣٥٧ هـ

الكواكب الدرية

فيما ورد في إنزال القرآن على سبعة أحرف من الأحاديث النبوية والأخبار المأثورة في بيان احتمال رسم المصاحف العثمانية للقراءات المشهورة ونصوص الأئمة الثقات في ضابط المتواتر من القراءات وما يناسب ذلك تأليف العلامة الأوحد والعلم المفرد الشيخ: محمد الشهير بالحداد بن علي بن خلف الحسيني المالكي الأزهري شيخ القراء والمقارئ بالديار المصرية.

هذا كتاب قد بدا للقارئين محببا
فاقرأ أخي ولك والعلم فاطلب

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لمن بعث فينا أفضل رسول بأفضل كتاب، وصلاة وسلامًا على من قطع دابر القوم الذين ظلموا ووصل من هداهم الله برب الأرباب وعلى آله الذين أجابوا دعوته وأصحابه الذين جمعوا القرآن في المصاحف بعد أن جمعوه في الصحف خشية الفرقة والاختلاف، وخوفًا عليه من الذهاب وبعد

فيقول راجي العفو عما اقترف محمد بن علي بن خلف الحسيني المالكي الأزهري غفر الله له ذنوبه وستر في الدارين عيوبه: هذه رسالة رتبتها على خمسة أبواب وخاتمة:

فالباب الأول: في الكلام عن حديث: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**».

والباب الثاني: في الكلام على سبب جمع القرآن ومن جمعه.

والباب الثالث: في الكلام على ما اشتملت عليه المصاحف العثمانية من القراءات.

والباب الرابع: في الكلام على ما يجوز من القراءات، وما لا يجوز.

والباب الخامس: في الكلام على حكم اتباع رسم المصاحف العثمانية.

والخاتمة في الكلام على الكتابة وأنواعها وحكمها وثمرتها وأول من وضعها وما يتعلق بذلك مما دعت الضرورة إلى ذكره وقضت الحاجة بنشره.

لخصتها من كتاب النشر لإمام المحققين شمس الملة والدين محمد بن محمد الجزري وشرح العقيلة لعلم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي وشرحها لبرهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن عمر الجعبري وشرح الشاطبية له وشرح مورد الظمآن للعلامة الأستاذ الكبير الشيخ محمد بن عثمان بن كيكي بن سعيد الطويسي وغير ذلك من الكتب النفيسة.

وقد اعتمدت في ذلك على السيد المالك إنه على كل شيء قدير فنعم المولى ونعم النصير وسميتها «الكواكب الدرية» فيما ورد في نزول القرآن على

سبعة أحرف من الأحاديث النبوية والأخبار المأثورة في بيان احتمال رسم المصاحف العثمانية للقراءات المشهورة ونصوص الأئمة الثقات في ضابط المتواتر من القراءات وما يناسب ذلك والله المسئول في نيل القبول وهأنذا أشرع فأقول متوسلاً بجاه الرسول[1].

(١) وهذا من التوسل غير المشروع، ولا يصح فيه شيء، وحديث: «توسلوا بجاهي» لا يصح عن نبينا عليه الصلاة والسلام. وعليه فلا يجوز التوسل بجاه النبي ولا بجاه أحد من الصالحين. وراجع التوسل للعلامة الألباني -رحمه الله-.

الباب الأول

في الكلام على

حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف

وفيه ثمانية فصول

الفصل الأول

في بيان طرقه

قد روي بالطرق الصحيحة عن جمع من الصحابة وتواتر عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن هذا القرآن أنزل على سبعة فاقرءوا ما تيسر منه**».

روى البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها؟ فقال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت فإن رسول الله ﷺ أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ ، فقلت: إن هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله ﷺ: «**أرسله اقرأ يا هشام**» فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها فقال: «**كذلك أنزلت**» ثم قال: «**اقرأ يا عمر**» فقرأت القراءة التي أقرأنيها فقال: «**كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه**».

وفي لفظ البخاري عن عمر أيضًا: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأنيها رسول الله ﷺ ...الحديث.

وفي لفظ مسلم عن أبي أن النبي ﷺ كان عند أضاءة بني غفار فأتاه جبريل فقال: «**إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف**» فقال: «**سل الله معافاته ومعونته فإن أمتي لا تطيق ذلك**»، ثم أتاه الثانية على حرفين فقال له مثل ذلك، ثم أتاه الثالثة بثلاثة فقال لهم مثل ذلك، ثم أتاه الرابعة فقال: «**إن**

الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا»[1].

وفي لفظ للترمذي أيضًا: عن أبي قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المروة قال: فقال رسول الله ﷺ لجبريل: «**إني بعثت إلى أمة أميين فيهم الشيخ الفاني والعجوز والكبير والغلام**» قال: «**فليقرءوا على سبعة أحرف**»[2].

وفي لفظ حذيفة فقلت: «يا جبريل، إني أرسلت إلى أمة أمية فيهم الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتابًا قط قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف».

وفي لفظ لأبي هريرة: «أنزل القرآن على سبعة أحرف عليمًا حكيمًا غفورًا رحيمًا».

وفي رواية لأبي: دخلت المسجد أصلي فدخل رجل فافتتح النحل فقرأ فخالفني في القراءة فلما انفتل[3] قلت: من أقرأك؟ قال: رسول الله ﷺ ، ثم جاء رجل آخر فقام يصلي فقرأ فافتتح النحل، فخالفني وخالف صاحبي فلما انفتل قلت: من أقرأك؟ قال: رسول الله ﷺ، قال: فدخل في قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية فأخذت بأيديهما وانطلقت بهما إلى رسول الله ﷺ ، فقلت: استقرئ هذين، فاستقرأ أحدهما، فقال: «**أحسنت**» فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية، ثم استقرأ الآخر فقال: «**أحسنت**» فدخل صدري من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية فضرب رسول الله ﷺ صدري بيده فقال: «**أعيذك بالله يا أبي من**

(١) رواه أبو داود والترمذي وأحمد، وهذا لفظه مختصرًا .

(٢) قال الترمذي: حسن صحيح، وفي لفظ «فمن قرأ بحرف منها فهو كما قرأ».

(٣) انفتل أي انتهى من صلاته وقراءته فيها.

الشك».

ثم قال: «إن جبريل -عليه السلام- أتاني فقال: إن ربك -عز وجل- يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد. فقلت: اللهم خفف عن أمتي، ثم عاد فقال: إن ربك -عز وجل- يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين. فقلت: اللهم خفف عن أمتي، ثم عاد فقال: إن ربك -عز وجل- يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة وأعطاك بكل ردة مسألة» الحديث رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده بهذا اللفظ، وفي لفظ لابن مسعود: «فمن قرأ على حرف منها فلا يتحول إلى غيره رغبة عنه».

وفي لفظ لأبي بكرة: «**كل شاف كاف ما لم يختم آية عذاب برحمة وآية رحمة بعذاب**» وهو كقولك: هلم وتعال وأقبل وأسرع واذهب واعجل.

وفي لفظ لعمرو بن العاص: «فأي ذلك قرأتم فقد أصبتم ولا تماروا فيه فإن المراء فيه كفر».

وقد وقع لجماعة من الصحابة نظير ما وقع لعمر مع هشام. فمن ذلك ما وقع لأبي بن كعب مع ابن مسعود في سورة النحل كما تقدم.

ومنه ما أخرجه أحمد عن ابن قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو أن رجلاً قرأ آية من القرآن فقال له عمرو: إنما هي كذا وكذا، فذكر ذلك للنبي صلى الله ﷺ فقال: «**إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأي ذلك قرأتم أصبتم فلا تماروا فيه**» إسناده حسن.

ولأحمد أيضًا وأبي عبيد والطبراني من حديث أبي جهم بن الصمة أن رجلين اختلفا في آية من القرآن كلاهما يزعم أنه تلقاها من رسول الله ﷺ فذكر نحو حديث عمرو بن العاص.

وللطبري والطبراني عن زيد بن أرقم قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أقرأني ابن مسعود سورة أقرأنيها زيد بن ثابت وأقرأنيها أبي بن كعب فاختلفت قراءتهم فبقراءة أيهم آخذ؟ فسكت رسول الله ﷺ وعلي إلى جنبه

فقال علي: ليقرأ كل إنسان منكم كما علم فإنه حسن جميل.

ولابن حبان والحاكم من حديث ابن مسعود: أقرأني رسول الله ﷺ سورة من آل حم فرحت إلى المسجد فقلت لرجل: اقرأها فإذا هو يقرأ حروفًا ما أقرؤها، فقال: أقرأنيها رسول الله ﷺ فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فأخبرناه فتغير وجهه وقال: «**إنما أهلك من كان من قبلكم الاختلاف**» ثم أسر إلى علي شيئًا فقال علي: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما علم، قال: فانطلقنا وكل رجل منا يقرأ حروفًا لا يقرؤها صاحبه.

قال الإمام شمس الدين محمد بن الجزري في كتابه النشر: وقد نص الإمام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلام -رحمه الله- على أن هذا الحديث تواتر عن النبيﷺ ..

قلت: وقد تتبعت طرق هذا الحديث في جزء مفرد جمعته في ذلك فرويناه من حديث عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم بن حزام وعبد الرحمن ابن عوف وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأبي هريرة وعبد الله بن عباس وأبي سعيد الخدري وحذيفة بن اليمان وأبي بكرة وعمرو ابن العاص وزيد بن أرقم وأنس بن مالك وسمرة بن جندب وعمرو بن أبي سلمة وأبي جهم وأبي طلحة الأنصاري وأم أيوب الأنصارية -رضي الله عنهم-.

وروى الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده الكبير أن عثمان بن عفان ؓ قال يومًا وهو على المنبر: أذكر الله رجلاً سمع النبي ﷺ قال: «**إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف**» لما قام فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف**» فقال عثمان ؓ: وأنا أشهد معهم.

الفصل الثاني
في بيان المراد بالأحرف السبعة

قال ابن الجزري: وقد اختلفت أقوال العلماء في المراد بهذه الأحرف السبعة على نحو من أربعين قولاً مع إجماعهم على أنه ليس المراد بها قراءات سبعة من القراء كالسبعة المشهورين وإن كان يظن ذلك بعض العوام؛ لأن هؤلاء السبعة لم يكونوا خلقوا ولا وجدوا.

وأول من جمع قراءاتهم أبو بكر بن مجاهد في أثناء المائة الرابعة فلو كان الحديث منصرفًا إلى قراءات السبعة المشهورين أو سبعة غيرهم من القراء الذين ولدوا بعد التابعين لأدى ذلك إلى أن يكون الخبر عاريًا عن الفائدة إلى أن يولد هؤلاء السبعة الأئمة فتؤخذ عنهم القراءة.

وأدى أيضًا إلى أنه لا يجوز لأحد من الصحابة أن يقرأ إلا بما يعلم أن هؤلاء السبعة من القراء إذا ولدوا وتعلموا اختاروا القراءة به وهذا باطل إذ طريق أخذ القراءة أن تؤخذ عن إمام ثقة لفظًا عن لفظ، إمامًا عن إمام، إلى أن يتصل بالنبي ﷺ كما يأتي مبسوطًا، ومع إجماعهم أيضًا على أنه ليس المراد كل كلمة تقرأ على سبعة أوجه إذ لا يوجد ذلك في كلمة من المشهور.

وأصح الأقوال وأولاها بالصواب وهو الذي عليه أكثر العلماء وصححه البيهقي واختاره الأبهري وغيره واقتصر عليه في القاموس: أن المراد بالأحرف أوجه من اللغات بمعنى أن القرآن لا يخرج عن سبع لغات من لغات العرب وهي لغة: قريش، وهذيل، وثقيف، وهوازن، وكنانة، وتميم، واليمن.

وذلك أن الحرف لغة يطلق على الوجه، ومنه قوله تعالى: ﴿**ومن الناس من يعبد الله على حرف**﴾ قال الحافظ أبو عمرو الداني: معنى الأحرف التي أشار إليها النبي ﷺ هاهنا يتوجه إلى وجهين:

أحدهما: أن يعني أن القرآن أنزل على سبعة أوجه من اللغات لأن الأحرف جمع حرف في القليل كفلس وأفلس والحرف قد يراد به الوجه

بدليل قول الله تعالى: ﴿**ومن الناس من يعبد الله على حرف**﴾ الآية.

فالمراد بالحرف هنا الوجه أي على النعمة والخير وإجابة السؤال والعافية فإذا استقامت له هذه الأحوال اطمأن وعبد الله، وإذا تغيرت عليه وامتحنه الله بالشدة والضر ترك العبادة وكفر، فهذا عَبَدَ الله على وجه واحد، فلهذا سمى النبي ﷺ هذه الأوجه المختلفة من القراءات والمتغايرة من اللغات أحرفًا على معنى أن كل شيء منها وجه.

قال: والوجه الثاني: أن يكون سمى القراءات أحرفًا على طريق السعة كعادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه وما قاربه وجاوره. وكان كسبب منه وتعلق به ضربًا من التعلق؛ كتسميتهم الجملة باسم البعض منها، فلذلك سمى النبي ﷺ القراءة حرفًا وإن كانت كلامًا كثيرًا من أجل أن منها حرفًا قد غير نظمه أو كسر أو قلب إلى غيره أو أميل أو زيد أو نقص منه على ما جاء في المختلف فيه من القرآن فسمى القراءة إذا كان ذلك الحرف منها حرفًا على عادة العرب في ذلك واعتمادًا على استعمالها انتهى.

قال الشمس بن الجزري: وكلا الوجهين محتمل؛ إلا أن الأول محتمل احتمالاً قويًا في قوله ﷺ : «**سبعة أحرف**» أي: سبعة أوجه وأنحاء، والثاني محتمل احتمالاً قويًا في قول عمر ﷺ: سمعت هشامًا يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ - أي: على قراءات كثيرة-، وكذا قوله في الرواية الأخرى: سمعته يقرأ أحرفًا لم يكن رسول الله ﷺ أقرأنيها انتهى.

الفصل الثالث

في ترجيح أن المراد بالأحرف أوجه اللغات

ومما يؤيد أن المراد بالأحرف أوجه من اللغات أن حكمة إتيان القرآن على سبعة أحرف التخفيف والتيسير على هذه الأمة في التكلم بكتابهم كما خفف عليهم في شريعتهم وهو كالمصرح به في الأحاديث الصحيحة كقوله ﷺ : «**أسأل الله معافاته ومعونته**» وكقوله : «**إن ربي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف واحد فرددت إليه أن هون على أمتي**» ولم يزل يردد حتى بلغ سبعة أحرف.

وكقوله لجبريل: «إني أرسلت إلى أمة أمية فيهم الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتابًا قط».

وذلك أنه ﷺ أرسل للخلق كافة وألسنتهم مختلفة غاية الاختلاف كما هو مشاهد فينا ومن كان قبلنا مثلنا وكلهم مخاطب بقراءة القرآن قال تعالى: ﴿**فاقرءوا ما تيسر من القرآن**﴾، فلو كلفوا كلهم النطق بلغة واحدة لشق ذلك عليهم وتعسروا، إذ لا قدرة لهم على ترك ما اعتادوا وألفوه من الكلام إلا بتعب شديد وجهد جهيد وربما لا يستطيعه بعضهم ولو مع الرياضة الطويلة وتذليل اللسان، كالشيخ والمرأة، فاقتضى يسر الدين أن يكون القرآن على لغات.

الفصل الرابع
في بيان سبب ورود القرآن على سبعة أحرف

قال المحقق ابن الجزري: فأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة وإرادة اليسر بها والتهوين عليها شرفًا لها وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق وحبيب الحق، حيث أتاه جبريل فقال: «**إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف**» فقال ﷺ: «**سل الله معافاته ومعونته إن أمتي لا تطيق ذلك**» ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف.

وفي الصحيح أيضًا: «**إن ربي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي**» ولم يزل حتى بلغ سبعة أحرف، وكما ثبت صحيحًا أن القرآن نزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف، وأن الكتاب قبله كان يترل من باب واحد على حرف واحد، وذلك أن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين هم والنبي ﷺ بعث إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم وعربيهم وعجميهم، وكان العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاهم مختلفة وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغة إلى غيرها أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولو بالتعليم والعلاج لا سيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتابًا كما أشار إليه ﷺ، فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع انتهى.

وقال الإمام أبو محمد عبد الله بن قتيبة في كتاب المشكل: فكان من تيسير الله -تعالى- أن أمر نبيه ﷺ بأن يقرئ كل أمة بلغتهم وما جرت به عاداهم.

قال العلامة ابن الجزري وهذا يقرأ: ﴿**عليهم**﴾ و﴿**فيهم**﴾ بضم الهاء، والآخر يقرأ: ﴿**عليهم**﴾ و﴿**منهم**﴾ بالصلة، وهذا يقرأ: ﴿**قد أفلح**﴾

و﴿**قل أوحي**﴾ و﴿**خلوا إلى**﴾ بالنقل، والآخر يقرأ: ﴿**موسى**﴾ و﴿**عيسى**﴾ و﴿**دنيا**﴾ بالإمالة، وغيره يلطف، وهذا يقرأ ﴿**خبيرًا**﴾ و﴿**بصيرًا**﴾ بترقيق الراء، والآخر يقرأ ﴿**الصلاة**﴾ و﴿**الطلاق**﴾ بالتفخيم إلى غير ذلك انتهى.

قال ابن قتيبة: ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته وما جرى عليهم اعتياده طفلاً ويافعًا وكهلاً لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه، ولا يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل اللسان وقطع للعادة، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعًا في اللغات ومتصرفًا في الحركات كتيسيره عليهم في الدين انتهى.

وأيضًا النبي تحدى بالقرآن جميع الخلق، قال تعالى: ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله**﴾ الآية فلو أتى بلغة دون لغة؛ لقال الذين لم يأت بلغتهم: لو أتى بلغتنا لأتينا بمثله وتطرق الكذب إلى قوله تعالى، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

الفصل الخامس

في بيان اختلاف الأحرف السبعة اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض

ثم اعلم - يرحمك الله - أن اختلاف هذه السبعة الأحرف المنصوص عليها من النبي ﷺ اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض فإن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى، قال تعالى: ﴿**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند الله غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا**﴾[1].

قال الإمام ابن الجزري: وقد تدبرنا اختلاف القراءات فوجدناه لا يخلو من ثلاثة أحوال:

أحدها: اختلاف اللفظ لا المعنى.

والثاني: اختلافهما مع جواز اجتماعهما في شيء واحد.

والثالث: اختلافهما جميعًا مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد.

فأما الأول فكالاختلاف في: الصراط وعليهم ويؤده والقدس ويحسب ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط.

وأما الثاني فنحو: مالك وملك في الفاتحة، لأن المراد في القراءتين هو الله تعالى لأنه مالك يوم الدين وملكه وكذا: يكذبون ويكذبون؛ لأن المراد بهم هم المنافقون؛ لأنهم يكذبون بالنبي ﷺ ويكذبون في أخبارهم.

وكذا: ننشزها -بالراء والزاي-؛ لأن المراد بها هي العظام، وذلك أن الله تعالى أنشرها أي: أحياها، وأنشزها أي: رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت، فضمَّن الله المعنيين في القراءتين.

وأما الثالث: فنحو: ﴿**وظنوا أنهم قد كذبوا**﴾ بالتشديد والتخفيف،

---

(١) سورة النساء: ٨٢.

وكذا: ﴿**وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال**﴾ بفتح اللام الأولى ورفع الأخرى وبكسر الأولى وفتح الثانية، وكذا: ﴿**الذين هاجروا من بعد ما فتنوا**﴾ بالتسمية والتجهيل، وكذا: ﴿**لقد علمت**﴾ بضم التاء وفتحها، وكذا ما قرئ شاذًّا: ﴿**وهو يطعم ولا يطعم**﴾ عكس القراءة المشهورة، وكذا ﴿**يطعم**﴾ على التسمية فيهما، فإن ذلك كله وإن اختلف لفظًا ومعنى وامتنع اجتماعه في شيء واحد فإنه يجتمع من وجه آخر يمتنع فيه التضاد والتناقض، فأما وجه تشديد ﴿**كذبوا**﴾ فالمعنى: وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم.

ووجه التخفيف أي: وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به، فالظن في الأولى يقين والضمائر الثلاثة للرسل، والظن في القراءة الثانية شك والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم.

وأما وجه فتح اللام الأولى ورفع الثانية من: ﴿**لتزول**﴾ فهو أن يكون إن مخففة من الثقيلة وإن مكرهم كامن الشدة، بحيث تقتلع منه الجبال الراسيات من مواضعها.

وفي القراءة الثانية إن نافية أي: ما كان مكرهم وإن تعاظم وتفاقم ليزول منه أمر محمد ﷺ ودين الإسلام، ففي الأولى تكون الجبال حقيقة، وفي الثانية مجازًا.

وأما الوجه: ﴿**من بعد ما فتنوا**﴾ على التجهيل فهو أن الضمير يعود للذين هاجروا، وفي التسمية يعود إلى الخاسرين.

وأما وجه ضم تاء: ﴿**علمت**﴾ فإنه أسند العلم إلى موسى حديثًا منه لفرعون حيث قال: ﴿**إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون**﴾ فقال: ﴿**لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر**﴾، فأخبر موسى - عليه السلام- عن نفسه بالعلم بذلك، أي أن العالم بذلك ليس مجنوناً.

وقراءة فتح التاء أنه أسند هذا العلم إلى فرعون مخاطبة من موسى له بذلك على وجه التقريع لشدة معاندته للحق بعد علمه.

وكذلك وجه قراءة الجماعة ﴿**يطعم**﴾ بالتسمية ﴿**ولا يطعم**﴾ على التجهيل أن الضمير في وهو يعود إلى الله تعالى، أي: والله تعالى يرزق الخلائق ولا يرزقه أحد.

والضمير في عكس هذه القراءة يعود إلى الولي، أي: والولي المتخذ يرزق ولا يرزق أحدًا.

والضمير في القراءة الثالثة يعود إلى الله تعالى، أي: والله يطعم من يشاء ولا يطعم من يشاء فليس في شيء من القراءات تناف ولا تضاد ولا تناقض.

وكل ما صح عن النبي ﷺ من ذلك فقد وجب قبوله ولم يسع أحدًا من الأمة رده ولزم الإيمان به وأنه كله منزل من عند الله إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها واتباع ما تضمنته من المعنى علمًا وعملاً، ولا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظنًّا أن ذلك تعارض.

وإلى ذلك أشار عبد الله بن مسعود ﷺ بقوله: لا تختلفوا في القرآن ولا تنازعوا فيه فإنه لا يختلف ولا يتساقط، ألا ترون أن شريعة الإسلام فيه واحدة حدودها وقراءتها، وأمر الله فيها واحد، ولو كان من الحرفين حرف يأمر بشيء ينهى عنه الآخر كان ذلك الاختلاف ولكنه جامع ذلك كله ومن قرأ على قراءة فلا يدعها رغبة عنها فإنه من كفر بحرف منه كفر به كله.

قلت: وإلى ذلك أشار النبي ﷺ حيث قال لأحد المختلفين: «**أحسنت**»، وفي الحديث الآخر: «**أصبت**»، وفي الآخر: «**هكذا أنزلت**»، فصوب النبي ﷺ قراءة كل من المختلفين وقطع بأنها كذلك أنزلت من عند الله وبهذا افترق اختلاف القراء من اختلاف الفقهاء، فإن اختلاف القراءة كله حق وصواب نزل من عند الله وهو كلامه ولا شك فيه.

واختلاف الفقهاء اختلاف اجتهادي والحق في نفس الأمر فيه واحد فكل مذهب بالنسبة إلى الآخر صواب يحتمل الخطأ.

وكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى حق وصواب في نفس الأمر نقطع بذلك ونؤمن به ونعتقد أن معنى إضافة كل حرف من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم إنما هو من حيث إنه كان أضبط له وأكثر قراءة وإقراء به وملازمة له وميلاً إليه لا غير ذلك، وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة الإقراء ورواتهم المراد بها أن ذلك القارئ وذلك الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به فآثره على غيره ودام عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف به وقصد فيه وأخذ عنه، فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء.

وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد. انتهى من النشر.

وبهذا يندفع ما عساه أن يقال بين الحديث والآية تناف فإن قوله عليه الصلاة والسلام لكل من المختلفين: «**هكذا أنزلت**»، أثبت الخلاف وقوله تعالى: ﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا**﴾ نفاه

الفصل السادس

في بيان فوائد اختلاف القراءات

ثم اعلم - يرحمك الله - أن في اختلاف القراءات وتنوعها مع السلامة من التضاد والتناقض فوائد غير ما تقدم من التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة، منها بيان حكم مجمع عليه كقراءة سعد بن أبي وقاص وغيره: «وله أخ أو أخت من أم» فإن هذه القراءة تبين أن المراد بالإخوة هنا هم الإخوة للأم.

وهذا أمر مجمع عليه ولذلك اختلف العلماء في المسألة المشتركة وهي زوج وأم أو جدة واثنان من إخوة الأم وواحد أو أكثر من إخوة الأب والأم. فقال الأكثرون من الصحابة وغيرهم بالتشريك بين الإخوة لأنهم من أم واحدة، وهذا من مذهب مالك، والشافعي، وإسحاق وغيرهم.

وقال جماعة من الصحابة وغيرهم: يجعل الثلث لإخوة الأم ولا شيء لإخوة الأبوين لظاهر القراءة الصحيحة وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه الثلاثة وأحمد بن حنبل وداود الظاهري وغيرهم.

ومنها ترجيح حكم اختلف فيه كقراءة: ﴿**أو تحرير رقبة مؤمنة**﴾ في كفارة اليمين ففيها ترجيح لاشتراط الإيمان فيها كما ذهب إليه الشافعي وغيره و لم يشترطه أبو حنيفة -رحمه الله-.

ومنها الجمع بين حكمين مختلفين كقراءة: ﴿**يَطْهرن**﴾ و﴿**يَطَّهرن**﴾ بالتخفيف والتشديد فينبغي الجمع بينهما وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وتطهر بالاغتسال.

ومنها اختلاف حكمين شرعيين كقراءة: ﴿**وأرجلكم**﴾ بالخفض والنصب فإن الخفض يقتضي فرض المسح والنصب يقتضي فرض الغسل فبينهما النبي ﷺ فجعل المسح للابس الخف والغسل لغيره، ومن ثم وهم الزمخشري حيث حمل اختلاف القراءتين في: ﴿**إلا امرأتك**﴾ رفعًا ونصبًا على اختلاف قولي المفسرين.

ومنها إيضاح حكم يقتضي الظاهر خلافه كقراءة: (فامضوا إلى ذكر الله) فإن قراءة ﴿**فاسعوا**﴾ يقتضي ظاهرها المشي السريع وليس كذلك، فكانت القراءة الأخرى موضحة لذلك ورافعة لما يتوهم منه.

ومنها تفسير ما لعله لا يعرف مثل قراءة: (كالصوف المنقوش).

ومنها ما هو حجة لأهل الحق ودفع لأهل الزيغ كقراءة﴿**وملكًا كبيرًا**﴾ بكسر اللام وردت عن ابن كثير وغيره وهي من أعظم دليل على رؤية الله - تعالى- في الدار الآخرة.

ومنها ما هو حجة لترجيح قول بعض العلماء كقراءة: (أو لمستم النساء) إذ اللمس يطلق على الحبس والمس كقوله تعالى: ﴿**فلمسوه بأيديهم**﴾ أي مسوه، ومنه قوله ﷺ : «**لعلك قبلت أو لامست**» ومنه قول الشاعر:

لمست بكفي أبتغي الغني ولم أدر أن الجود من كفه يعدي

فلا أنا منه ما أفاد ذوي الغنى أفدت وأعداني فأتلف ما عندي

ومنها ما هو حجة لقول بعض أهل العربية كقراءة ﴿**والأرحام**﴾ بالخفض، و﴿**ليجزي قومًا**﴾ على ما لم يسم فاعله مع النصب.

ومنها ما في ذلك من نهاية البلاغة وكمال الإعجاز وغاية الاختصار وجمال الإيجاز إذ كل قراءة بمنزلة الآية، إذ كان تنوع اللفظ بكلمة يقوم مقام آيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل ومنها ما فيه من عظيم البرهان وواضح الدلالة.

إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا يتخالف بل كله يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه بعضًا ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد.

وما ذاك إلا آية بالغة وبرهان قاطع على صدق من جاء به ﷺ.

ومنها سهولة حفظه وتيسير نقله على هذه الأمة إذ هو على هذه الصفة من البلاغة والرجازة فإن من يحفظ كلمة ذات أوجه أسهل عليه وأقرب إلى

فهمه وأدعى لقبوله من حفظه جملاً من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات المختلفات لا سيما فيما كان خطه واحدًا فإن ذلك أسهل حفظًا وأيسر لفظًا.

ومنها إعظام أجور هذه الأمة من حيث إنهم يفرغون جهدهم ليبلغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ واستخراج كمين أسراره وخفي إشاراته وإنعامهم النظر وإمعانهم الكشف عن التوجيه والتعليل والترجيح والتفصيل بقدر ما يبلغ غاية علمهم ويصل إليه نهاية فهمهم: ﴿**فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى**﴾ والأجر على قدر المشقة.

ومنها بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقي وإقبالهم عليه هذا الإقبال والبحث عن لفظه، وبيان صوابه وتحرير تصحيحه وإتقان تجويده حتى حموه من خلل التحريف وحفظوه من الطغيان والتطفيف فلم يهملوا تحريكًا ولا تسكينًا ولا تفخيمًا ولا ترقيقًا حتى ضبطوه مقادير المدات وتفاوت الإمالات وميزوا بين الحروف بالصفات مما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم ولم يصل إليه إلا بإلهام بارئ النسم.

ومنها إسنادها كتاب ربها واتصال هذا السند الإلهي بسندها خصيصة الله لهذه الأمة المحمدية وإعظامًا لقدر أهل هذه الملة الحنيفية.

فكل قارئ يوصل حروفه بالنقل إلى أصله ويرفع ارتياب الملحد قطعًا بوصله.

فلو لم يكن من الفوائد إلا هذه الفائدة الجليلة لكفت، ولو لم يكن من الخصائص إلا هذه الخصيصة النبيلة لوفت.

ومنها ظهور سر الله -تعالى- في توليه حفظ كتابه العزيز وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتمييز.

فإن الله تعالى لم يخل عصرًا من الأعصار ولو في قطر من الأقطار من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله -تعالى- وإتقان حروفه ورواياته وتصحيح

وجوهه وقراءاته يكون سببًا لوجود هذا السبب القويم على ممر الدهور وبقائه دليلاً على بقاء القرآن العظيم في المصاحف والصدور وقد خص الله -تعالى- هذه الأمة في كتابهم هذا المنزل على نبيهم ﷺ بما لم يكن لأمة من الأمم في كتبها المنزلة فإنه -سبحانه وتعالى- تكفل بحفظه دون سائر الكتب و لم يكل حفظه إلينا قال تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ وذلك إعظام لأعظم معجزات النبي محمد ﷺ لأن الله -تعالى- تحدى بسورة منه أفصح العرب لسانًا، وأعظمهم عنادًا وعتوًا وإنكارًا، فلم يقدروا على أن يأتوا بآية مثله ثم لم يزل يتلى آناء الليل وآناء النهار مع كثرة الملحدين وأعداء الدين، و لم يستطع أحد منهم معارضة شيء منه وأي دليل على صدق نبوته ﷺ أعظم من هذا.

وأيضًا فإن علماء هذه الأمة لم تزل من الصدر الأول لآخر وقت تستنبط منه من الأدلة والحجج والبراهين والحكم وغيرها ما لم يطلع عليه متقدم ولا ينحصر لمتأخر.

بل هو البحر المحيط العظيم الذي لا قرار له ينتهي إليه ولا حدَّ له يوقف عليه ومن ثم لم تحتج هذه الأمة إلى نبي بعد نبيها ﷺ كما كانت الأمم قبل ذلك لم يخل زمان من أزمنتهم عن أنبياء يحكمون أحكام كتابهم ويهدونهم إلى ما ينفعهم في عاجلهم ومآلهم.

قال الله تعالى: ﴿**إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله**﴾[1] فوكل حفظ التوراة إليهم، ولهذا دخلها بعد أنبيائهم التحريف والتبديل.

---

(١) سورة المائدة الآية (٤٤).

ولما تكفل الله بحفظه خص به من شاء من بريته وأورثه من اصطفاه من خليقته قال تعالى: ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا**﴾[1].

وقال ﷺ : «**إن لله أهلين من الناس**»، قيل من هم يا رسول الله ؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»[2].

---

(١) سورة فاطر الآية (٣٢).

(٢) رواه ابن ماجه وأحمد والدارمي وغيرهم من حديث أنس بإسناد رجاله ثقات.

الفصل السابع

في بيان ما يعتمد عليه في نقل القرآن وأنه جمع كله في حياة النبي ﷺ

قال الإمام ابن الجزري: ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على خط المصاحف والكتب وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ قال: «**إن ربي قال لي: قم في قريش فأنذرهم، فقلت له: أي ربي إذن يثلغوا رأسي حتى يدعوه خبزة، فقال: إني مبتليك ومبتل بك ومنزل عليك كتابًا لا يغسله الماء، تقرؤه نائمًا ويقظان، فابعث جندًا أبعث مثلهم، وقاتل بمن أطاعك من عصاك وأنفق ينفق عليك**».

فأخبر -تعالى- أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء بل يقرأ في كل حال كما جاء في صفة أمته: أناجيلهم في صدورهم، وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظون إلا في الكتب ولا يقرءونه كله إلا نظرًا لا عن ظهر قلب.

ولما خص الله -تعالى- بحفظه من شاء من عباده، أقام له أئمة ثقات تجردوا لتصحيحه وبذلوا أنفسهم في إتقانه وتلقوه من النبي ﷺ حرفًا حرفًا لم يهملوا منه حركة ولا سكونًا ولا إثباتًا ولا حذفًا ولا دخل عليهم في شيء من شك ولا وهم، وكان منهم من حفظه كله ومنهم من حفظ أكثره ومنهم من حفظ بعضه، كل ذلك في زمن النبي ﷺ كما يأتي مبسوطًا إن شاء الله تعالى، وإلى هذا أشار الشاطبي في العقيلة بقوله. :

ولم يــزل حفظه بين الصحابة في   عــلا حــياة رسول الله منذرا

يعني أن القرآن ما زال محفوظًا مشهورًا بين الصحابة -رضي الله عنهم- في أول حياة رسول الله ﷺ فما بعد ذلك فقد كان حفظه ودراسته وشهرته وجمعه قديمًا، وليس ذلك بحادث فيما بعد كما زعم الملحدون، فإن الصحابة

-رضي الله عنهم- كان دأبهم من أول نزول الوحي على النبي ﷺ إلى آخره الاهتمام والمسارعة إلى حفظ القرآن وتصحيحه وتجويده وتتبع وجوه قراءته، ولم يزل رسول الله ﷺ عاملاً بقوله تعالى: ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**﴾ حريصًا على تعليمه مجتهدًا في نشره باعثًا به الحفاظ إلى من لم يحضره.

بعث مصعب بن عمير وابن أم مكتوم إلى المدينة قبل الهجرة لتعليم القرآن، وأرسل معاذ بن جبل إلى مكة بعد الفتح للإقراء.

وأمره الله -تعالى- أن يقرأ على أبي ليسمع ألفاظه فيعلمها الناس، وقال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي ﷺ إلى رجل منا يعلمه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله ﷺ ضجة بتلاوة القرآن، حتى أمرهم بخفض أصواتهم لئلا يتغالطوا.

الفصل الثامن
في بيان من جمع القرآن من الصحابة
في حياة النبي ﷺ

قال ابن الجزري: فالصحابة الذين حفظوا القرآن في حياة رسول الله ﷺ كانوا جمًّا غفيرًا أغناهم اهتمامهم بحفظه وكثرتهم عن جمعه بين الدفتين، منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، وسعد، وابن مسعود، وحذيفة، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبو هريرة، وابن عباس، وعمرو بن العاص وابنه عبد الله، ومعاوية، وابن الزبير، وعبد الله بن السائب، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة، وهؤلاء كلهم المهاجرون، ومن الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء، ومجمع بن حارثة، وأنس بن مالك، وأبو زيد الذي سئل عنه أنس فقال: أحد عمومتي.

قال النويري -رحمه الله- في شرحه على الطيبة: فإن قلت إذا كان هؤلاء كلهم جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ فكيف الجمع بين هذا وبين قول أنس ﷺ: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة، وفي رواية عنه: لم يجمعه إلا أربعة: أُبي، ومعاذ، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.

وفي رواية أخرى: وأبو الدرداء، قلت: أما الرواية الأولى فلا تنافيه لعدم الحصر فيها، وأما الرواية الثانية فلا يصح حملها على ظاهرها لانتقاضها بمن ذكر فلا بد من تأويلها بأنه لم يجمعه بوجوه قراءاته، أو لم يجمعه تلقيًا عن رسول الله ﷺ -أي: مشافهة منه ﷺ - أو لم يجمعه عنده شيئًا بعد شيء كلما نزل حتى تكامل نزوله إلا هؤلاء انتهى.

ولعله إنما قصد بتأويل حديث أنس ودفع التنافي الظاهري بينه وبين ما ذكر مجرد بيان الواقع لا دفع ما عساه أن يقال: كيف يحصل التواتر على رواية الحصر في حديث أنس المذكور؟

وقد قطع القاضي أبو بكر بعدم ثبوته بالأربعة وتوقف في الخمسة، لأن

الصحيح أن شرط التواتر مجرد عدد يفيد العلم بلا تعيين خلافًا لمن عينه ستة أو اثني عشر، أو عشرين، أو أربعين، أو سبعين، وهو على الرواية المذكورة متحقق بلا نزاع، فإن الصحابة الذين هم الغاية القصوى في الذكاء والفطنة بمكان من العدالة والثقة، وكانت الصحابة -رضي الله عنهم- يكتبون آيات القرآن في الرقاع -جمع رقعة بالضم- وهي الخرقة والقطعة من الأدم، والأكتاف جمع كتف، والمراد عظمه المنبسط كاللوح، والأضلاع جمع ضلع -بكسر الضاد- واللام تفتح في لغة الحجاز وتسكن في لغة تميم، والأضلاع عظام الجنين، والعسب جمع عسيب، وهو الأصل العريض من جريد النخل، واللخاف جمع لخفة كصحاف وصحفة الحجر العريض الأبيض، وكانوا يكتبون في هذه الأشياء ونحوها لأن الورق لم يكن حينئذ، ويؤيده ما روي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿**لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون**﴾ فقال ابن أم مكتوم وعبد الله بن جحش: يا رسول الله، إنا أعميان فهل لنا رخصة فأنزل الله تعالى: ﴿**غير أولي الضرر**﴾ قال رسول الله: «**ايتوني بالكتف والدواة**» وأمر زيدًا أن يكتبها فكتبها، فقال زيد: كأني أنظر إلى موضعها عند صدع في الكتف.

وما روي أن عثمان بعث إلى أبي بن كعب -رضي الله عنهما- بكتف شاة مكتوب عليها بعض قرآن ليصلح بعض حروفه.

وفي بعض روايات البخاري: أن النبي ﷺ قبل موته بأربعة أيام وكان ذلك يوم خميس قال لهم: «**ائتوني بكتف أكتب لكم كتابًا لا تضلوا من بعدي**»، وكان النبي ﷺ كل سنة من رمضان يعرض ما معه من القرآن على جبريل -عليه السلام-، وكلما زاده حرفًا من الأحرف السبعة أو نسخ منه شيئًا بادر إلى حفظ ذلك والعمل بمقتضاه.

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان، لأن الروح الأمين كان يلقاه في كل

ليلة من رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه القرآن، وكان إذا لقيه أجود بالخير من الريح المرسلة.

وروي أنه ﷺ عرضه في العام الأخير مرتين.

قالت عائشة وفاطمة -رضي الله عنهما-: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: **«إن جبريل كان يعارضني القرآن في كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي»** وإلى ذلك أشار الشاطبي في العقيلة بقوله:

وكـــل عام على جبريل يعرضه   وقـــيل آخـــر عام عرضتين قرا

فعلم مما تقدم أن القرآن العزيز كان مجموعًا كله في زمن الرسول ﷺ ، ولكن لم يكن مجموعًا في مصحف بل كان محفوظًا في صدور الرجال و لم يجمعه ﷺ في مصحف لما كان يترقبه من ورود زيادة وناسخ لبعض المتلو، ولما تقدم أن اهتمام الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- بحفظه وكثرة الحفاظ أغناهم عن ذلك.

الباب الثاني

في الكلام على سبب جمع القرآن ومن جمعه

وفيه فصلان

الفصل الأول

في بيان سبب الجمع وأن زيدًا جمع القرآن كله بجميع وجوه قراءاته في زمن أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما-

ولما أمن توقع النسخ لانقضاء النزول بوفاة الرسول ﷺ واقتضت المصلحة جمعه، وألهم الله الخلفاء الراشدين لذلك وفاءً بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة المحمدية -زادها الله تعالى شرفًا-.

فكان ابتداؤه على يد أبي بكر الصديق بمشورة عمر الفاروق -رضي الله عنهما- فجمعه زيد بن ثابت ﵁ في الصحف وكانت هذه الصحف عند أبي بكر حتى مات ثم عند عمر حتى مات ثم عند حفصة حتى ماتت.

قال الحافظ بن حجر: وإنما كانت عند حفصة -رضي الله عنها- لأنها كانت وصية عمر فاستمر ما كان عنده عندها حتى طلبه منها من له طلب ذلك انتهى.

قال ابن الباقلاني: وكان الذي فعله أبو بكر فرض كفاية بدلالة قوله ﷺ : «**لا تكتبوا عني شيئًا غير القرآن**» مع قوله تعالى: ﴿**إن علينا جمعه وقرآنه**﴾ إلى أن قال: وكان ذلك من النصيحة لله ورسوله وكتابه وأئمة المسلمين وعامتهم.

وذلك أن مسيلمة الكذاب الذي كان من قصته أنه لما سمع بأمر رسول الله ﷺ وهو بمكة يدعو إلى الله -عز وجل- ادعى النبوة وبعث إلى النبي ﷺ من يخبره بأحواله فكان ينقل إليه ما يسمع من النبي ﷺ وغيره وكان يقرأ ما ينقل إليه من القرآن على من عنده من أهل اليمامة ويزعم أنه أنزل عليه.

ولما سمع ذكر الرحمن سمى نفسه الرحمن، فلما اشتهر القرآن عن رسول الله ﷺ ولم يمكنه دعواه أخذ يصنع قرآنًا في زعمه فجاء يهجر ويخلط إلى آخر ما هو معلوم ومشهور عنه.

وكان يعرف في السحر وكان دميم الخلقة أصيف أخينس بعكس صفة الرسول ﷺ ، وكان أشد الناس عداوة للقراء.

ولما توفي رسول الله ﷺ واتصل بربه وولي أبو بكر رضي الله عنه الخلافة من بعده وسولت لمسيلمة الكذاب نفسه الأمارة بالسوء أن أكاذيبه تتبع وخرافاته تستمع، فاستهوى أهل اليمامة وهم بنو حنيفة بمخاريفه وأضلهم بأباطيله فارتدوا، فلما ظهر لأبي بكر رضي الله عنه من تماديه ومن تعديه ما كان سبب هلاكه وترديه، جهز إليه من المسلمين جيشًا عدده أربعة آلاف فارس وأمر عليهم سيف الله خالد بن الوليد فسار إليه والتقت الفئتان، وتأخر الفتح واستشهد جماعة من المسلمين منهم زيد بن الخطاب أخو سيدنا عمر، ومنهم سبعمائة من قراء القرآن وثار البراء بن مالك على مسيلمة وحزبه وجاء نصر الله فانهزموا وتبعهم المسلمون حتى أدخلوهم حديقة فأغلق أصحاب مسيلمة بابها فحمل البراء بن مالك درقته وألقى نفسه عليهم حتى صار معهم في الحديقة وفتح الباب للمسلمين، فدخلوا وقتلوا مسيلمة وأصحابه، فسميت حديقة الموت،وكان الذي قتل مسيلمة وحشي كما في البخاري وهو القائل: قتلت خير الناس وقتلت شر الناس، ويعني بخير الناس حمزة رضي الله عنه. وإلى ذلك أشار الشاطبي في العقيلة بقوله:

إن اليمامة أهواها مسيلمة الكذاب في زمن الصديق إذ خسرا
وبعد بأس شديد حان مصرعه وكان بأسًا على القراء مستعرا

فلما رأى عمر رضي الله عنه ما وقع لقراء القرآن خشي على من بقي منهم وأن يذهب القرآن بذهابهم وأشار على أبي بكر بجمع القرآن.

أسند أبو عمرو في المحكم إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه أن عمر ابن الخطاب

جاء إلى أبي بكر فقال: إن القتل قد أسرع في قراء القرآن أيام اليمامة وقد خشيت أن يهلك القرآن فاكتبه.

وفي رواية أخرى: وقد خشيت أن يستحر – أي: يشتد – القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمعه، فقال أبو بكر ﷺ: كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ، ولم يعهد إلينا فيه عهدًا؟ فقال عمر ﷺ: افعل فهو والله خير، فلم يزل عمر بأبي بكر –رضي الله عنهما– حتى أرى الله –تعالى– أبا بكر مثل ما رأى عمر، وفي رواية: قال أبو بكر: فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد بن ثابت ﷺ: فدعاني أبو بكر وكان عنده عمر، فقال: إن هذا أتاني فقال: إن القتل قد استحر بالقراء وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في سائر المواطن فيذهب القرآن، وقد رأيت أن تجمعه فقلت لعمر: كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟! فقال عمر: هو والله خير ولم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري ورأيت فيه الذي رأى وإنك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فاجمعه واكتبه، فقلت لهما: كيف تفعلان شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟! فقالا: هو والله خير، ولم يزالا يراجعاني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدرهما ورأيت فيه الذي رأيا.

فإن قيل: كيف يقول عمر ﷺ: خشيت أن يذهب القرآن مع علمه بقوله تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ قيل: معنى كلامه أن القرآن كان مكتوبًا متفرقًا فيذهب البعض بذهاب البعض فلا يعلم كيف كان وضع كتابته لا لفظه أو خاف أن ينقطع تواتره، أو أن الحفظ في الآية محمول على الحفظ من التحريف.

وإن قيل: كيف يقول أبو بكر ﷺ: لم يأمرنا رسول الله ﷺ بكتابة

القرآن، مع ما في البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لا تكتبوا عني شيئًا إلا القرآن، ومن كتب عني شيئًا غير القرآن فليمحه**»، قيل: معنى كلامه: لم يأمرنا بجمع المتفرق في الرقاع ونحوها في صحيفة واحدة.

وإن قيل: كانت عدة كتاب رسول الله ﷺ نحو الثلاثة والأربعين صحابيًا.

ومن كتاب الوحي: أبو بكر الصديق ، وعمر الفاروق، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبان بن سعيد، وخالد بن الوليد، وأبي بن كعب، وأرقم بن أبي الأرقم، ومعاوية بن أبي سفيان، وثابت بن قيس، وحنظلة بن الربيع، وأبو رافع القبطي، وخالد بن سعيد بن العاص، وزيد بن ثابت، والعلاء بن الحضرمي.

ومن كتاب أموال الصدقة: الزبير بن العوام، وجهم بن الصلت.

ومن كتاب خرص النخل: حذيفة بن اليمان.

ومن كتاب المعاملات: المغيرة بن شعبة، والحصين بن نمير رضي الله عنهم أجمعين.

ولما دخل المصريون على عثمان ﷺ وضرب أحدهم يمينه بالسيف وهو يقرأ الصحف رفع يده وقال :والله إنها لأول كف خطت المفصل بين يدي النبي ﷺ.

وقال معاوية: قال لي رسول الله ﷺ : «يا معاوية، ألق الدواة وحرف القلم وانصب الباء وفرق السين ولا تغور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم، وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه أمكن لك»، وكان أكثرهم مداومة على ذلك بعد الهجرة زيد بن ثابت ثم معاوية بن أبي سفيان بعد فتح مكة.

وأول من كتب الوحي بها من قريش عبد الله بن سعد بن أبي سرح لكنه ارتد وهرب من المدينة إلى مكة ثم عاد إلى الإسلام يوم الفتح.

وأول من كتبه بالمدينة أبي بن كعب ﷺ، فلم خص أبو بكر زيدًا بهذه الفضيلة؟ قيل: لكمال دينه وعدالته وحسن سيرته وعلمه.

قال الحافظ أبو نعيم: خير الأمة علمًا وفقهًا وفرائض انتهى.

وقال الشعبي: وضع زيد بن ثابت رجله في الركاب ليركب فأمسكه له ابن عباس فقال له: تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ ، فقال: إنا هكذا نصنع بالعلماء فأخذ زيد يده فقبلها، وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأشرافنا وقال ابن عباس فيه إنه من الراسخين في العلم، وقال فيه حسان بن ثابت:

فمن للقوافي بعد حسان وابنه ... ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت

وكان غاية في الذكاء والفطنة، فعنه ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ : «**إنه تأتيني كتب لا أحب أن يعلمها كل أحد فهل تستطيع أن تتعلم السريانية**» فقلت: نعم. فتعلمتها في سبع عشرة ليلة. ولأنه جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ.

وقرأ عليه بعد العرضتين الأخيرتين وكتب له الوحي، وإلى ذلك أشار الشاطبي في العقيلة بقوله:

نادى أبا بكر الفاروق خفت على ... القراء فادرك القرآن مستطرا

فأجمعوا جمعة في الصحف واعتمدوا ... زيد بن ثابت العدل الرضا نظر

قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل علي منه.

وفي رواية: لو كلفوني نقل الجبال لكان أيسر علي من الذي كلفوني، قال زيد: فتتبعت القرآن أنسخه من الصحف والعسب واللخاف وصدور الرجال.

وفي رواية: فجعلت أتتبع القرآن من صدور الرجال ومن الرقاع ومن الأضلاع ومن العسب، أي لأن القرآن كله كتب على عهده ﷺ في هذه الأشياء لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور كما رواه أبو داود، قال زيد: ففقدت آية كنت أسمعها من رسول الله ﷺ لم أجدها إلا

عند رجل من الأنصار وهي: ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه**﴾[1] الآية فألحقتها.

وفي رواية: فألقيتها في سورتها وقال: فذكرت آية، وفي رواية: ثم فقدت آية أخرى، فاستعرضت المهاجرين والأنصار أسألهم عنها فوجدتها عند خزيمة بن ثابت الأنصاري وهي: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم**﴾ إلى آخر السورة فألحقتها بآخر براءة ثم عرضته على نفسي فلم أجد فيه شيئًا، فإن قيل: قد كان زيد حافظ القرآن كاتب الوحي فما وجه تتبعه المذكورات وطلب شيء يحفظه ويعلمه، وكيف يحصل التواتر بشيء لم يجده إلا عند واحد؟ أجيب عن الأول بأنه ﷺ كان يسأل غيره ويستكمل وجوه قراءته ممن عنده ما ليس عنده ليحيط بالسبعة التي نزل بها القرآن وكانت المكتوبات المتفرقة أو أكثرها مما كتب بين يديه ﷺ وعرفت كتابتها وتيقن أمرها فلابد من النظر فيها وإن كان حافظًا ليستظهر بذلك وليعلم هل فيها قراءة غير قراءته أم لا؟

ولأن الحافظ إذا استند عند الكتابة إلى أصل يعتمد كان آكد وأثبت؛ لأن وضع الخط على وفق الرسم المكتوب أبلغ في الصحة والأصالة؛ ولأن العلم الحاصل من يقينين فأكثر أقوى مما يحصل بواحد.

وعن الثاني بأن معنى قوله: فقدت آية لم أرها مكتوبة، وقوله: لم أجدها إلا عند رجل. معناه: لم أجدها مكتوبة إلا عند رجل واحد ألا تراه قال: عند. ولم يقل: في حفظ واحد، والتواتر لا يحصل بالكتابة وعدد القراء جاوز عدد التواتر فعلم مما ذكر أن زيدًا ﷺ كتب القرآن كله بجميع وجوه قراءته المعبر عنها في الحديث النبوي بالأحرف السبعة في صحف لأن تتبعه تلك الأشياء ظاهر في طلب الظفر بمتفقه ومختلفه، ولأن أبا بكر أمره بكتابة القرآن

(١) سورة الأحزاب الآية (٢٣).

كله، وكل حرف من الحروف السبعة بعض من أبعاض القرآن فلو أخل ببعضها لم يكن كتب القرآن كله، وإلى ذلك أشار الشاطبي في العقيلة بقوله:

فقام فيه بعون الله يجمعه بالنصح والجد والعزم الذي بهرا
من كل أوجهه حتى استتم له بالسبعة الأحرف العليا كما

الفصل الثاني
في بيان من وضعت عنده الصحف التي جمع زيد فيها القرآن زمن أبي بكر ﷺ وعن سبب جمع القرآن من تلك الصحف في المصاحف زمن عثمان ﷺ ومن جمعه

لما أتم زيد ﷺ كتابة تلك الصحف على الوجه المطلوب حملها إلى أبي بكر فبقيت عنده مدة حياته، ثم لما حضرته الوفاة سلمها إلى عمر ﷺ فأمسكها مدة حياته، فلما مات انتقلت إلى ابنته حفصة أم المؤمنين -رضي الله عنها- وأسلم أبو بكر الصحف إلى عمر لنصه على خلافته و لم يسلمها عمر إلى عثمان للشورى -رضي الله عنهم-، وهذا لا ينافي ما تقدم عن ابن حجر من أنها إنما كانت عند حفصة لأنها كانت وصية عمر إلى آخره، ثم لما كان في خلافة عثمان ﷺ حضر حذيفة بن اليمان فتح أرمينية وأذربيجان وكان اتفق غزوهما في سنة واحدة وحضر غزو كل منهما جند الشام وجند العراق، وأرمينية -بفتح الهمزة عند السمعاني، وبكسرها عند غيره، وبسكون الراء وكسر الميم بعدها تحتية ساكنة فنون مكسورة فتحتية خفيفة وقد تثقل - مدينة عظيمة تشتمل على بلاد كثيرة وهي في جهة الشمال، يُضرب بحسنها وطيب هوائها وكثرة مياهها وشجرها المثل.

وأذربيجان -بفتح الهمزة والذال المعجمة وسكون الراء، وقيل: بسكون الذال وفتح الراء وكسر الموحدة بعدها تحتية ساكنة فجيم خفيفة وآخره نون- بلد كبير من نواحي جبل العراق يلي أرمينية من جهة غربيها، فرأى حذيفة ناسًا من أهل دمشق يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم.

ورأى أهل الكوفة يقولون مثل ذلك وأنهم قرءوا على ابن مسعود، وأهل البصرة يقولون مثله وأنهم قرءوا على أبي موسى ويسمون مصحفه لباب

القلوب، فأفزعه ذلك وسار إلى عثمان بالمدينة فقال له: يا أمير المؤمنين، إني قد سمعت الناس اختلفوا في القرآن اختلاف اليهود والنصارى حتى أن الرجل ليقوم فيقول: هذه قراءة فلان، وفي الوسيلة: أن الناس اختلفوا في القرآن حتى والله إني أخشى أن يصيبهم ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف فما كنت صانعًا إذا قيل هذه قراءة فلان وقراءة فلان كما صنع أهل الكتاب فاصنعه الآن، فجمع عثمان ﷺ الناس وعدتهم يومئذ اثنا عشر ألفًا فقال: ماذا ترون؟ وفي رواية: ماذا تقولون؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفرًا، قالوا: فماذا ترى؟ وفي رواية كما في الدرة: قالوا: الرأي رأيك، قال: أرى أن أجمع الناس على مصحف واحد فلا يكون اختلاف، فقالوا: نعم الرأي ما رأيت، فأرسل عثمان ﷺ إلى حفصة أن أرسلي إلي بالصحف ننسخها ثم نردها إليك فأرسلت إليه بها.

قال الحافظ أبو الفضل القسطلاني: وكانت هذه القصة في سنة خمس وعشرين في السنة الثالثة أو الثانية من خلافه عثمان.

وقال الإمام ابن الجزري: كانت في حدود سنة ثلاثين من الهجرة فأحضر عثمان زيد بن ثابت وهو من الأنصار ونفرًا من قريش، وهم: عبد الله ابن الزبير وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن العاص وأبان بن سعيد وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام، فقال عثمان: من أكتب الناس؟ قالوا: كاتب رسول الله ﷺ زيد ابن ثابت، قال: فأي الناس أعرب؟ -وفي رواية: أفصح؟- قالوا: سعيد بن العاص، وقال: فليمل سعيد وليكتب زيد، وقال لهم: انسخوا هذه الصحف في المصاحف وجعل الرئيس عليهم زيد بن ثابت، فجمعوا بين الدفتين المنزل من غير أن يكونوا زادوا أو نقصوا منه شيئًا باتفاق منهم ومن غير أن يقدموا شيئًا أو يؤخروه وكتبوه في المصاحف على الترتيب المكتوب في اللوح المحفوظ

بتوقيف جبريل -عليه السلام- للنبي ﷺ على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية بموضعها وأين تكتب، ولذا قال الإمام مالك رضي الله عنه: وإنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ وكان زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده الصديق في جمعه وولاه عثمان كتبة المصاحف انتهى.

وإنما أمر عثمان زيدًا ومن ضمهم إليه أن ينسخوا من الصحف مع أنهم كانوا حفظة لتكون مصاحف مستندة إلى أصل أبي بكر المستند إلى أصل النبي ﷺ المكتوب بين يديه بأمره فيسد باب القالة وأن يزعم زاعم أن في الصحف قرآنًا لم يكتب، وأن يرى إنسان فيما كتبوه شيئًا مما لم يقرأ به فينكره فالصحف شاهدة بصحة جميع ما كتبوه، وخص زيدًا فولاه كتبة المصاحف لأن أبا بكر وعمر -رضي الله عنهما- اختاراه واعتمدا عليه في جمع المكتوبات المتفرقة في الصحف لما تقدم وضم إليه جماعة مساعدة له ولينضم العدد إلى العدالة، وكانوا من قريش لأن القرآن نزل أول حروفه بلغتهم ، وكانوا المعينين خاصة لاشتهار ضبطهم ومعرفتهم فكتبوا من تلك الصحف المشتملة على الأحرف السبعة.

كما تقدم في عدة مصاحف القرآن كله مائة وأربع عشرة سورة، أولها الحمد لله وآخرها الناس، وأول كل سورة منها بسم الله الرحمن الرحيم بقلم الوحي، إلا أول براءة فإنهم جعلوا مكانها بياضًا ورتبوها على ما هي مرتبة في المصحف العثماني المنقول من صحف الصديق المنقولة بما كتب بين يدي رسول الله ﷺ بأمره، وأخلوا المصاحف من أسماء السور ونسبتها وعددها والتجزئة والفواصل اقتداء بأبي بكر، فإن صحفه عارية من ذلك، وجردوها أيضًا مما ليس بقرآن فإن من الصحابة -رضي الله عنهم- من كانوا يكتبون في مصاحفهم التفسير الذي كانوا يسمعونه من النبي ﷺ.

قال المحقق ابن الجزري: كانوا -يعني الصحابة- ربما يدخلون التفسير في القراءة إيضاحًا وبيانًا لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي ﷺ قرآنًا فهم آمنون من الالتباس، وربما كان بعضهم يكتبه معه لكن ابن مسعود ﵁ كان يكره ذلك ويمنع منه، فروى مسروق عنه أنه كان يكره التفسير في القراءة.

وروى غيره: جردوا القرآن ولا تلبسوا به ما ليس منه. ا هـ

الباب الثالث
في الكلام على المصاحف العثمانية
وفيه خمسة فصول
الفصل الأول
في بيان ما اشتملت عليه المصاحف من القراءات

ومما لا نزاع فيه أن القرآن نسخ منه وغير فيه في العرضة الأخيرة فقد صح النص بذلك عن غير واحد من الصحابة .

قال الشمس بن الجزري في كتاب النشر: وروينا بإسناد عن زر بن حبيش: قال لي ابن عباس: أي القراءتين تقرأ؟ قلت: الأخيرة، قال: فإن النبي ﷺ كان يعرض على جبريل -عليه السلام- القرآن يعني في كل عام مرة، قال: فعرض عليه القرآن في العام الذي قبض فيه النبي ﷺ مرتين، فشهد عبد الله -يعني ابن مسعود- ما نسخ منه وما بدل فقراءة عبد الله الأخيرة. ا.هـ

فالصحابة -رضي الله عنهم- كتبوا في هذه المصاحف ما تحققوا أنه قرآن وما علموه استقر في العرضة الأخيرة وما تحققوا صحته عن النبي ﷺ في غيرها مما لم ينسخ ولذلك اختلفت المصاحف بعض اختلاف وتركوا ما سوى ذلك نحو:

(فامضوا) و(كان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا)، و(أما الغلام فكان كافرًا) إلى غير ذلك، وإنما كتبوا مصاحف متعددة لأن عثمان ﷺ قصد إنفاذ ما وقع الإجماع عليه إلى أقطار بلاد المسلمين واستشهاره ومن ثم بعث إلى أمرائه بها وكتبوها متفاوتة في إثبات وحذف وبدل وغيرها؛ لأنه ﷺ قصد اشتمالها على الأحرف السبعة فجعلوا الكلمة التي تفهم أكثر من وجه بصورة واحدة نحو :

﴿**فتبينوا**﴾ و﴿**ننشزها**﴾ و﴿**أف**﴾ و﴿**هيت**﴾ و﴿**أخويكم**﴾ على حالها في جميع المصاحف والتي لا تدل على أكثر من قراءة كذلك بصورة في البعض

وبأخرى في نحو:

(أوصى، ووصى) (سارعوا، وفسارعوا) (وبالزبر وبالكتاب، والزبر والكتاب) (خير منها، خيرًا منها) (فتوكل، وتوكل) (شركاؤهم، وشركائهم) (تجري تحتها ، وتجري من تحتها) (أشد منكم، وأشد منهم) (بما كسبت، وفيما كسبت) (فإن الله هو الغني، وفإن الله الغني) إلى غير ذلك وإنما كتبت هذه في البعض بصورة وفي آخر بأخرى لأنها لو كررت في مصحف لتوهم نزولها كذلك، ولو كتبت بصورة في الأصل بأخرى لأنها لو كررت في مصحف لتوهم نزولها كذلك، ولو كتبت بصورة في الأصل وبأخرى في الحاشية لكان تحكمًا مع إيهام التصحيح.

وجردها كلها أيضًا من النقط المبين للحروف والشكل الدال على الحركات، ولذلك كره ابن عمر وابن مسعود -رضي الله عنهما- وجماعة من التابعين نقط المصحف وشكله كما ذكر في المقنع لما روي:

جردوا مصاحفكم، وإنما جردوها من النقط والشكل لتحتمل الكلمة التي تفهم بصورة واحدة أكثر من وجه ما صح نقله وثبتت تلاوته عن النبي ﷺ من وجوه القراءات، إذ الاعتماد في نقل القرآن على الحفظ لا على مجرد الخط، فيقرأ نحو قوله تعالى: ﴿**يعلمون**﴾ بالغيب والخطاب، و﴿**يقبل**﴾ بالتذكير والتأنيث، و﴿**ننشزها**﴾ بالزاي والراء، و﴿**فتبينوا**﴾ بمثناه فوقية فموحدة فمثناه تحتية فنون وبمثلثة بدل الموحدة فموحدة فمثناه فوقية، ﴿**ولا تسأل**﴾ بالبناء للمفعول مع الرفع وبالبناء للفاعل مع الجزم، و﴿**أخويكم**﴾ بالتثنية والجمع إلى غير ذلك، ولتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين، فإن الصحابة -رضي الله عنهم- تلقوا عن رسول الله ﷺ ما أمره الله بتبليغه إليهم من القرآن لفظه ومعناه جميعًا، ولم يكونوا ليسقطوا شيئًا من القرآن الثابت عنه ﷺ ، ولا ليمنعوا من القراءة به.

وقد أجمعت الصحابة -رضي الله عنهم- على هذه المصاحف ولم يختلف عليها اثنان حتى أن عليًا ﷺ قال: لو وليت من المصاحف ما ولي عثمان لفعلت كما فعل.

ولما ولي الخلافة لم ينكر حرفًا ولا غيره مع أنه هو الراوي: أن النبي ﷺ يأمركم أن تقرءوا القرآن كما علمتم.

الفصل الثاني

في بيان ما فعله عثمان بالمصاحف التي كتبت في زمنه وبالصحف التي كتبت في زمن أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما-

ولما كان الاعتماد في نقل القرآن متفقًا ومختلفًا على الحفاظ أنفذهم إلى أقطار بلاد المسلمين للتعليم، وجعل هذه المصاحف أصولاً ثواني حرصًا على الإنفاذ، ولذلك أرسل إلى كل إقليم مصحفه مع من يوافق قراءته في الأكثر وليس بلازم.

روي أن عثمان ﷺ أمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدني، وبعث عبد الله ابن السائب مع المكي، وبعث المغيرة بن شهاب مع الشامي، وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي، وعامر بن عبد قيس مع البصري، وكان في تلك البلاد في ذلك الوقت الجم الغفير من حفاظ القرآن التابعين فكان بالمدينة ابن المسيب وعروة وسالم وعمر بن عبد العزيز وسليمان وعطاء ابنا يسار ومعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القاري وعبد الرحمن بن هرمز وابن شهاب الزهري ومسلم بن جندب وزيد بن أسلم.

وبمكة: عبيد الله بن عمير وعطاء وطاوس ومجاهد وعكرمة وابن أبي مليكة.

وبالكوفة: علقمة والأسود ومسروق وعبيدة وعمرو بن شرحبيل والحارث بن قيس والربيع بن خثيم وعمرو بن ميمون وأبو عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش وعبيد بن نضيلة وأبو زرعة بن عمرو وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي.

وبالبصرة: عامر بن قيس وأبو العالية وأبو رجاء ونصر بن عامر ويحيى ابن يعمر وجابر بن زيد والحسن وابن سيرين وقتادة.

وبالشام: المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان بن عفان في القراءة وخليد بن سعد صاحب أبي الدرداء وغيرهما، فقرأ أهل كل مصر بما

في مصحفهم ونقلوه عن الصحابة الذين تلقوه من في رسول الله ﷺ فقاموا في ذلك مقام الصحابة الذين تلقوه عن النبي ﷺ ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية حتى صاروا في ذلك أئمة الاقتداء وأنجمًا للاهتداء يرحل إليهم ويؤخذ عنهم أجمع أهل بلدهم على تلقي قراءاتهم، ولم يختلف عليهم اثنان في صحة روايتهم ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم وكان المعول فيها عليهم، فقد أجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف وترك ما خالفها من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى مما كان مأذونًا فيه توسعة عليهم، ولم يثبت عندهم ثبوتًا مستفيضًا أنه من القرآن.

وأما الصحف الأولى التي كتبت منها المصاحف فعثمان ﷺ لما فرغ من أمر المصاحف ونسخها طبق مراده وحرق ما سواها ورد تلك الصحف إلى حفصة -رضي الله عنها- فبقيت عندها إلى أن ولي مروان المدينة فطلبها منها ليحرقها فلم تجبه إلى ذلك فلما توفيت حضر جنازتها وطلب الصحف من أخيها عبد الله بن عمر فسيرها إليه عند انصرافه فحرقها خشية أن تظهر فيعود الناس إلى الاختلاف.

فإن قيل: الاختلاف باق إلى وقتنا هذا فما دعواكم الاتفاق؟

قيل: القراءات التي يعول عليها الآن لا تخرج عن المصاحف المذكورة فيما يرجع إلى زيادة أو نقصان أو بدل وكذا ما كان من الخلاف راجعًا إلى شكل أو نقط لأن خطوط المصاحف كانت مهملة محتملة لجميع ذلك كما يقرأ ﴿**فصرهن**﴾ بضم الصاد وكسرها.

و(كله) في ﴿**أن الأمر كله لله**﴾ بالرفع والنصب و﴿**يضركم**﴾ بضم الضاد ورفع الراء مشددة وبكسر الضاد وجزم الراء و﴿**يقضي**﴾ بسكون القاف وضاده معجمة مخففة وبضم القاف وصاد مهملة مشددة.

الفصل الثالث

في بيان حكم تحريق المصحف

قال ابن شهاب: فردَّ عثمان الصحف إلى حفصة وألقى ما سوى ذلك من المصاحف. قاله في المقنع. اهـ

وفي اللبيب: أن عثمان ﷺ ردّ الصحف إلى حفصة وأمرها أن تحرقها، وقيل: حرقها. اهـ ، أي: مبالغة في إذهابها وسدًّا لمادة الاختلاف.

وفي الجعبري: ونزل تحريقه ما سواها على مصاحف الصحابة -رضي الله عنهم- لأنهم كانوا يكتبون فيها التفسير الذي يسمعونه من النبي ﷺ ، ويحتمل ذلك نحو الرقاع لئلا ينقلها من لا يعرف ترتيبها فيختل لها الصحف لاحتمال الرجوع إليها. اهـ بتصرف يسير فانظره مع قول اللبيب وأمرها الخ.

روي عن سويد بن علقمة قال: قال عليٌّ: لو وليت لفعلت في المصاحف الذي فعل عثمان.

وعن مصعب بن سعد قال: أدركت الناس حين شقق عثمان ﷺ المصاحف فأعجبهم ذلك ولم يعبه أحد. اهـ فكان ذلك دليلاً على جواز إحراق الكتب صونًا لها.

قال ابن بطال: وفي هذا الحديث جواز تحريق الكتب التي فيها اسم الله في النار؛ لأن ذلك أكرم لها وحرز عن وطئها بالأقدام. اهـ

وقال في الإتقان: إذا احتيج إلى تعطيل بعض أوراق المصحف لبلى ونحوه فلا يجوز وضعه في شق ونحوه لأنه قد يسقط ويوطأ، ولا يجوز تمزيقه لما فيه من تقطيع الحروف وتفرقة الكلم، وفي ذلك إزراء بالمكتوب كذا قال الحليمي.

قال: وله غسلها بالماء وإن حرقها بالنار فلا بأس، وقد حرق عثمان مصاحف كان فيها آية وقراءة منسوخة ولم ينكر عليه. اهـ

وذكر غيره أن الإحراق أولى من الغسل، لأن الغسالة قد تقع على الأرض وقد جزم القاضي حسين في تعليقه بحرمة التحريق؛ لأنه خلاف الاحترام، والنووي بالكراهة. فالمسألة خلافية. والله أعلم.

الفصل الرابع
في بيان عدد المصاحف العثمانية

واختلف في عدد المصاحف التي كتبها عثمان فقيل -وهو الذي صوبه ابن عاشر في شرح الإعلان- أنها ستة: المكي والشامي والبصري والكوفي والمدني العام الذي سيره عثمان ﷺ من محل نسخه إلى مقره، والمدني والخاص به الذي حبسه لنفسه وهو المسمى بالإمام.

وقال الحافظ ابن حجر والجلال السيوطي -رحمهما الله-: المشهور أنها خمسة، وقال صاحب زاد القرّاء: لما جمع عثمان القرآن في مصحف سماه الإمام ونسخ منه مصاحف فأنفذ منها مصحفًا إلى مكة، ومصحفًا إلى الكوفة، ومصحفًا إلى البصرة، ومصحفًا إلى الشام، وحبس مصحفًا بالمدينة.

وقال الجعبري: حبس مصحفًا بالمدينة للناس، وآخر لنفسه وسيَّر باقيها إلى أمرائه... ثم قال: ومجموعها ثمانية: خمسة متفق عليها، وثلاثة مختلف فيها. اهـ

يعني بالخمسة المتفق عليها: الكوفي، والبصري، والشامي، والمدني العام، والمدني الخاص، وبالثلاثة المختلف فيها: المكي، ومصحف البحرين، ومصحف اليمن، لقول العلامة الشاطبي -رحمه الله-:

وسار نسخ منها مع المدني ... كوف وشام وبصر تملأ البصرا

وقيل مكة والبحرين مع يمن ... ضاعت بها نسخ في نشرها

فإن قلت: ما ذكره الشاطبي في البيتين سبعة لا ثمانية، قلت: بل ثمانية؛ فإن المدني يشمل العام والخاص، بدليل قوله في سورة البقرة: أوصى الإمام مع الشامي والمدني، فإنه صريح في تعدد المدني.

وذلك أن عثمان ﷺ لما جمع القرآن في مصحف سماه الإمام نسخ منه مصاحف فحبس لنفسه الإمام وسير المدني إلى مقره وسير باقيها إلى أمراء الأمصار وقيل إن مِصر سُيِّر إليها مصحف.

الفصل الخامس

في بيان الفرق بين المصاحف والصحف

وبين جمع أبي بكر وجمع عثمان -رضي الله عنهما-

والفرق بين الصحف والمصاحف: أن الصحف هي الأوراق المجردة التي جمع فيها القرآن في عهد أبي بكر، وكان سورًا مفرقة، كل سورة مرتبة بآياتها على حدة لكن لم يرتب بعضها إثر بعض فلما نسخت ورتب بعضها إثر بعض صارت مصحفًا.

والفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان: أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته، فجمعه في صحائف مرتبة الآيات النبوية على ما وقفهم عليه النبي ﷺ. وجمع عثمان كان لما كثُر الخلاف في وجوه القراءات حتى قرءوه بلغاتهم على اتساع اللغات حتى أدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض، فخشي من تفاقم ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتبًا لسوره، فترتيب الآي في الصحف، وترتيبها وترتيب السور في المصحف هو ترتيب النبي ﷺ.

قال الحافظ أبو عمرو الداني في العدد: وعنه أخذوا رأس آية آية وكذلك القول عندنا في تأليف السور وتسميتها وترتيبها في الكتابة. اهـ

وقد أخرج أصحاب السنن الثلاث وصححه الحاكم وغيره من حديث ابن عباس عن عثمان -رضي الله عنهم- قال: كان رسول الله ﷺ تنزل عليه الآيات فيقول: «**ضعوها في السورة التي يذكر فيها كذا**». اهـ

وإلى ما ذكر أشار الشاطبي في العقيلة بقوله:

فأمسك الصحف الصديق ثم إلى ... الفاروق أسلمها لما قضى العمرا

وعند حفصة كانت بعد فاختلف ... القراء فاعتزلوا في أحرف زمرا

وكان في بعض مغزاهم مشاهدهم حذيفـــة فـــرأى في خلفهم عبرا
فجـــاء عـــثمان مذعورًا فقال له أخـــاف أن يخلطوا فادرك البشرا
فاستحضـــر الصـــحف الألى التي وخـــص زيـــدًا ومن قريشه نفرا
عـــلى لسان قريش فاكتبوه كما عـــلى الرســـول به أنزل انتشرا
فجـــردوه كمـــا يهـــوى كتابته مـــا فيه شكل ولا نقط فيحتجرا

وفيما ذكر الدليل القاطع على اشتمال المصاحف العثمانية على جميع القراءات التي يقرأ بها الآن.

الباب الرابع
في الكلام على ما يجوز من القراءات
وما لا يجوز، وفيه ثلاثة فصول
الفصل الأول
في بيان ضابط ما يسمى قرآنًا

اعلم أن الضابط الصحيح للقراءات، والحد الجامع لما يقرأ به من الروايات، هو كل ما وافق أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرًا، ووافق العربية ولو بوجه، وصح إسنادًا، سواء أكان عن القراء السبعة أم العشرة أم غيرهم، ومتى اختل ركن من هذه الثلاثة في حرف يحكم عليه بالشذوذ، وقال المحقق ابن الجزري في الطيبة:

فكل ما وافق وجه نحوي — وكان للرسم احتمالاً يحوي
وصح إسنادًا هو القرآن — فهذه الثلاثة الأركان
وحيثما يختل ركن اثبت — شذوذه لو أنه في السبعة

وقال في النشر: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين.

ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء أكانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف صرح بذلك الإمام الحافظ أبو عمرو وعثمان بن سعيد الداني، ونص عليه في غير موضع الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب، وكذلك الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهدي وحققه الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، وهو مذهب

السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه.

قال أبو شامة -رحمه الله- في كتابه المرشد الوجيز: فلا ينبغي أن يغتر بكل قراءة تعزى إلى واحد من هؤلاء الأئمة السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة وأنها كذلك أنزلت إلا إذا دخلت في ذلك الضابط.

وحينئذ فلا ينفرد بنقلها مصنف عن غيره ولا يختص ذلك بنقلها عنهم.

بل إن نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة، فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا على من تنسب إليه، فإن القراءات المنسوبة إلى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمع عليه والشاذ، غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجمع عليه في قراءتهم تركن النفس إلى ما نقل عنهم فوق ما نقل عن غيرهم.

قلت: وقولنا في الضابط ولو بوجه تريد به وجهان من وجوه النحو سواء أكان أفصح أم فصيحًا مجمعًا عليه أم مختلفًا فيه اختلافًا لا يضر مثله، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع.

وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم.

وهذا هو المختار عند المحققين في ركن موافقة العربية، فكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر إنكارهم.

بل أجمع الأئمة المقتدى بهم من السلف على قبولها كإسكان (بارئكم) و(يأمركم) ونحوه و(سبأ) و(يا بني) و(مكر السيئ) و(ننجي المؤمنين) في الأنبياء والجمع بين الساكنين في تاءات البزي وإدغام أبي عمرو و(اسطاعوا) لحمزة وإسكان (نعما) و(يهدي) وإثبات الياء في (نرتعي) و(يتقي ويصبر) و(أفئدة من الناس) وضم (الملائكة اسجدوا) ونصب (كن فيكون) وخفض (والأرحام) ونصب (ليجزي قومًا) والفصل بين المضافين في الأنعام وهمز (ساقيها) ووصل (وإن إلياس) وألف (إن هذان) وتخفيف (ولا تتبعان) وقراءة (ليكة) في الشعراء وص وغير ذلك.

قال الحافظ أبو عمرو الداني في كتابه الجامع «جامع البيان» بعد ذكره إسكان (بارئكم، ويأمركم) لأبي عمرو، وحكاية إنكار سيبويه له فقال- أعني الداني-: والإسكان أصح في النقل وأكثر في الأداء وهو الذي أختاره وآخذ به، -ثم لما ذكر نصوص رواته- قال: وأئمة القراء لا تعتمد في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل والرواية إذا ثبتت عنهم لا يردها قياس عربية ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها.

قلت: ونعني بموافقة أحد المصاحف ما كان ثابتًا في بعضها دون بعض كقراءة ابن عامر: (قالوا اتخذ الله ولدًا) في البقرة بغير واو، و(بالزبر وبالكتاب المنير) بزيادة الباء في الاسمين ونحو ذلك، فإن ذلك ثابت في المصحف الشامي وكقراءة ابن كثير: (جنات تجري من تحتها الأنهار) في الموضع الأخير من سورة براءة بزيادة (من)... فإذًا ذلك ثابت في المصحف المكي، وكذلك (فإن الله الغني) في سورة الحديد بحذف (هو) وكذا (سارعوا) بحذف الواو، وكذا (منهما منقلبًا) بالتثنية في الكهف... إلى غير ذلك في مواضع مصحفهم، فلو لم يكن ذلك كذلك في شيء من المصاحف العثمانية لكانت القراءة بذلك شاذة لمخالفتها الرسم المجمع عليه.

وقولنا بعد ذلك: ولو احتمالاً نعني به ما يوافق الرسم ولو تقديرًا إذ موافقة الرسم قد تكون تحقيقًا وهي الموافقة الصريحة وقد تكون تقديرًا وهي الموافقة احتمالاً، فإنه قد خولف صريح الرسم في مواضع إجماعًا: (السماوات والصالحات وأولئك والصلوة والزكوة والربوا) ونحو: ﴿**لننظر كيف تعملون**﴾ وجيء في الموضعين. حيث كتب بنون واحدة وبألف بعد الجيم في بعض المصاحف.

وقد يوافق بعض القراءات الرسم تحقيقًا ويوافق بعضها تقديرًا نحو: (ملك يوم الدين) فإنه كتب بغير ألف في جميع المصاحف، فقراءة الحذف

تحمله تحقيقًا كما كتب ﴿**ملك الناس**﴾ وقراءة الألف تحمله تقديرًا كما كتب ﴿**مالك الملك**﴾، فتكون الألف حذفت اختصارًا.

وكذلك ﴿**النشأة**﴾ حيث كتبت بالألف وافقت قراءة المد تحقيقًا ووافقت قراءة القصر تقديرًا إذ يحتمل أن تكون الألف صورة الهمزة على غير قياس، كما كتب﴿**موئلاً**﴾ وقد يوافق اختلاف القراءات الرسم تحقيقًا نحو: ﴿**أنصار الله**﴾ و﴿**نادته الملائكة**﴾ و﴿**نغفر لكم**﴾ و﴿**يعملون**﴾ و﴿**هيت لك**﴾، ونحو ذلك مما يدل تجرده عن النقط والشكل وحذفه وإثباته على فضل عظيم للصحابة -رضي الله عنهم- في علم الهجاء خاصة، وفهم ثاقب في تحقيق كل علم، فسبحان من أعطاهم وفضلهم على سائر هذه الأمة!!!... إلى أن قال: قلت: فانظر كيف كتبوا (الصراط) و(المصيطرون) بالصاد المبدلة من السين وعدلوا عن السين التي هي الأصل فيعتدلان، وتكون قراءة الإشمام محتملة، ولو كتب ذلك على الأصل لفات ذلك وعدت قراءة غير السين مخالفة للرسم والأصل.

ولذلك كان الخلاف في المشهور في (بصطة) الأعراف دون (بسطة) البقرة؛ لكون حرف البقرة كتب بالسين وحرف الأعراف بالصاد، على أن مخالف صريح الرسم في حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعد مخالفًا إذا ثبت القراءة به ووردت مشهورة مستفيضة، ألا ترى أنهم لم يعدوا إثبات ياءات الزوائد، وحذف ياء (تسألني) في الكهف، وقراءة (وأكون من الصالحين) والظاء من (بظنين) ونحو ذلك من مخالفة الرسم المردودة، فإن الخلاف في ذلك يغتفر إذ هو قريب يرجع إلى معنى واحد، وتمشية صحة القراءة وشهرتها وتلقيها بالقبول، وذلك بخلاف زيادة كلمة ونقصانها وتقديمها وتأخيرها حتى ولو كانت حرفًا واحدًا من حروف المعاني فإن حكمه حكم الكلمة لا يسوغ مخالفة الرسم فيه.

وهذا هو الحد الفاصل في حقيقة اتباع الرسم ومخالفته.

الفصل الثاني
هل يكفي في ثبوت القراءة صحة السند أو لا بد من التواتر؟

قال العلامة ابن الجزري: وقولنا: وصح سندها، نعني به أن يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذ بها بعضهم.

وقد شرط بعض المتأخرين التواتر في هذا الركن و لم يكتف فيه بصحة السند وزعم أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر.

وأن ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت به قرآن، وهذا مما لا يخفى ما فيه، فإن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين من موافقة الرسم وغيره إذا ما ثبت من أحرف الخلاف متواترًا عن النبي ﷺ وجب قبوله وقطع بكونه قرآنًا سواء أوافق الرسم أم خالفه، وقال الإمام أبو محمد مكي في مصنفه الذي ألحقه بكتاب الكشف له، فإن سأل سائل فقال: ما الذي يقبل من القراءات الآن فيقرأ به وما الذي يقبل ولا يقرأ به وما الذي لا يقبل فلا يقرأ به؟ فالجواب: أن جميع ما روي من القراءات على ثلاثة أقسام: قسم يقرأ به اليوم وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال، وهن: أن ينقل عن الثقات عن النبي ﷺ ، ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن شائعًا، ويكون موافقًا لخط المصحف.

فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قرئ به وقطع على تعيينه وصحته وصدقه لأنه أخذ عن إجماع من جهة موافقة خط المصحف وكفر من جحده، قال: والقسم الثاني: ما صح نقله عن الآحاد وصح وجهه في العربية وخالف لفظه خط المصحف فهذا يقبل ولا يقرأ به لعلتين:

إحداهما: أنه لم يؤخذ بإجماع، إنما أخذ بأخبار الآحاد، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد.

والعلة الثانية: أنه مخالف لما قد أجمع عليه فلا يقطع على تعيينه وصحته وما لم يقطع على صحته لا تجوز القراءة به ولا يكفر من جحده، ولبئس ما صنع إذ جحده.

قال: والقسم الثالث هو ما نقله غير ثقة أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية، فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف.

قال: ولكل صنف من هذه الأقسام تمثيل تركنا ذكره اختصارًا، قال الشمس بن الجزري: ومثال القسم الأول: (مالك وملك) (ويخدعون ويخادعون)، (وأوصى ووصى) (ويطوع وتطوع)... ونحو ذلك من القراءات المشهورة.

ومثال القسم الثاني: قراءة عبد الله بن مسعود وأبي الدرداء: (والذكر والأنثى) وقراءة ابن عباس: (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا)، (وأما الغلام فكان كافرًا)... ونحو ذلك مما ثبت برواية الثقات إلى أن قال:

ومثال القسم الثالث: مما نقله غير ثقة كثير كما في كتب الشواذ مما غاب إسناده ضعيف كقراءة ابن السميفع وأبي السمال وغيرهما في: (ننحيك ببدنك) بالحاء المهملة و(لمن أخلفك آية) بفتح اللام، وكالقراءة المنسوبة إلى الإمام أبي حنيفة ﷺ التي جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي ونقلها عنه أبو القاسم الهذلي وغيره ومنها: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ برفع الهاء ونصب الهمزة، وقد راج ذلك على أكثر المفسرين ونسبها إليه وتكلف توجيهها فإنها لا أصل لها وإن أبا حنيفة لبريء منها.

ومثال ما نقله ثقة ولا وجه له في العربية ولا يصدر مثل هذا إلا على وجه السهو والغلط وعدم الضبط يعرفه الأئمة المحققون والحفاظ الضابطون وهو قليل جدًّا بل لا يكاد يوجد وقد جعل بعضهم منه رواية خارجة عن نافع: (معائش) بالهمز.

وما رواه ابن بكار عن أيوب عن يحيى عن ابن عامر من فتح ياء ﴿**أدري أقريب**﴾ مع إثبات الهمزة وهي رواية زيد وأبي حاتم عن يعقوب.

وما رواه أبو علي العطار عن العباس عن أبي عمرو و﴿**ساحران تظاهرا**﴾ بتشديد الظاء والنظر في ذلك لا يخفى، ويدخل في هذين القسمين ما يذكره بعض المتأخرين من شراح الشاطبية في وقف حمزة نحو: ﴿**أسمائهم**﴾ و﴿**أولئك**﴾ بياء خالصة، ونحو: ﴿**شركاؤكم**﴾ و﴿**أحباؤه**﴾ بواو خالصة ونحو: ﴿**بدأكم**﴾ و﴿**أخاه**﴾ بألف خاصة ونحو:

(رأى، وتراءى، ترى، واشمئزت، واشمزت، وفادّراتم، فادّرأتم) بحذف الهمزة في ذلك كله مما يسمونه التخفيف الرسمي، ولا يجوز في وجه من وجوه العربية، فإنه إما أن يكون منقولاً عن ثقة ولا سبيل إلى ذلك فهو مما لا يقبل إذ لا وجه له، وإما أن يكون منقولاً عن غير ثقة فمنعه أحرى، وردّه أولى، مع أني تتبعت ذلك فلم أجده منصوصًا لحمزة لا بطريق صحيحة ولا ضعيفة... ثم قال: وبقي قسم مردود أيضًا وهو ما وافق العربية والرسم ولم ينقل ألبتة، فهذا رده أحق ومنعه أشد ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر.

وقد ذكر جواز ذلك عن أبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم البغدادي المقرئ النحوي وكان بعد الثلاثمائة، قال الإمام أبو طاهر بن أبي هاشم في كتابه البيان: وقد نبغ نابغ في عصرنا فزعم أن كل من صح عنده وجه في العربية بحرف من القرآن يوافق المصحف فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها فابتدع بدعة ضل بها عن قصد السبيل . قلت: وقد عقد له بسبب ذلك مجلس ببغداد حضره الفقهاء والقراء وأجمعوا على منعه، وأوقف للضرب فتاب ورجع وكتب عليه بذلك محضر كما ذكر الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد، وأشرنا إليه في الطبقات انتهى.

الفصل الثالث

في بيان حكم القراءة بالقياس وحكم التلفيق في القراءة وتقسيم القراءات إلى ستة أنواع

قال ابن الجزري. ومن ثم: -يعني ومن أجل أنه لا تجوز القراءة بما وافق العربية والرسم العثماني ولم ينقل عن الثقات عن النبي ﷺ - امتنعت القراءة بالقياس المطلق وهو الذي ليس له أصل في القراءة يرجع إليه ولا ركن وثيق في الأداء يعتمد عليه، كما روينا عن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت -رضي الله عنهما- من الصحابة، وعن ابن المنكدر وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وعامر الشعبي من التابعين أنهم قالوا: القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول فاقرءوا كما علمتموه، ولذلك كان كثير من أئمة القراء كنافع وأبي عمرو يقول: لولا ليس لي أن أقرأ إلا بما أقرئت لقرأت حرف كذا كذا وحرف كذا كذا، أما إذا كان القياس على إجماع انعقد أو على أصل يعتمد فيه فيصار إليه عند عدم النص وغموض وجه الأداء فإنه مما يسوغ قبوله ولا ينبغي ردّه لا سيما فيما تدعو الضرورة وتمس الحاجة مما يقوّي وجه الترجيح ويعين على قوة التصحيح بل قد لا يُسمى ما كان كذلك قياسًا على الوجه الاصطلاحي إذ هو في الحقيقة نسبة جزئي إلى كلي كمثل ما اختير في تخفيف بعض الهمزات لأهل الأداء، وفي إثبات البسملة وعدمها لبعض القراء ونقل: (كتابيه إني) وإدغام: (ماليه هلك) قياسًا عليه ونحو ذلك مما لا يخالف نصًّا ولا يرد إجماعًا ولا أصلاً مع أنه قليل جدًّا. انتهى بتصرف.

وإلى ذلك أشار مكي بن أبي طالب -رحمه الله- في آخر كتابه التبصرة حيث قال: فجميع ما ذكرناه في هذا الكتاب ينقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم قرأت به ونقلته وهو منصوص في الكتب موجود، وقسم قرأت به وأخذته لفظًا أو سماعًا وهو غير موجود في الكتب، وقسم لم أقرأ به ولا وجدته في الكتب ولكن قسته على ما قرأت به، إذ لا يمكن فيه إلا ذلك عند عدم

الرواية في النقل والنص وهو الأقل.

قال المحقق ابن الجزري: وقد زل بسبب ذلك قوم وأطلقوا قياس ما لا يروى على ما يروى، وما له وجه ضعيف على الوجه القوي كأخذ بعض الأغبياء بإظهار الميم المقلوبة عن النون والتنوين، وقطع بعض القراء بترقيق الراء الساكنة قبل الكسر والياء وإجازة بعض من بلغنا عنه ترقيق لام الجلالة تبعًا لترقيق الراء من ذكر الله إلى غير ذلك مما تجده في موضعه ظاهرًا في التوضيح مبينًا بالتصحيح مما سلكنا فيه طريق السلف ولم نعدل فيه إلى تمويه الخلف، ولذلك منع بعض الأئمة تركيب القراءات بعضها ببعض وخطىء القارئ بها في السنة والفرض.

قال الإمام أبو الحسن علي بن محمد السخاوي في كتابه جمال القرّاء، وخلط هذه القراءات بعضها ببعض خطأ. اهـ .

وقال السيوطي في الإتقان: الذي تحرر لي أن القراءات أنواع:

الأول: المتواتر، وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم.

مثاله: ما اتفقت الطرق في نقله عن السبعة وهذا هو الغالب في القراءات.

الثاني: المشهور، وهو ما صح سنده بأن رواه العدل الضابط عن مثله، ووافق العربية، ووافق أحد المصاحف العثمانية سواء أكان عن الأئمة السبعة أم العشرة أم غيرهم من الأئمة المقبولين واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ إلا أنه لم يبلغ درجة المتواتر.

مثاله: ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض.

ومن أشهر ما صنف في هذين النوعين: «التيسير» للداني و«الشاطبية» و«طيبة النشر في القراءات العشر».

الثالث: الآحاد، وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية أو لم يشتهر الاشتهار المذكور فلا يقرأ به.

من ذلك ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم الجحدري عن أبي بكرة أن النبي ﷺ قرأ : «**متكئين على رفارف خضر وعباقري حسان**» ، ومنه قراءة: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم**﴾ بفتح الفاء .

الرابع: الشاذ وهو ما لم يصح سنده كقراءة ابن السميفع: «فاليوم ننحيك ببدنك» بالحاء المهملة، «لتكون لمن خلَفَك آية» بفتح اللام.

الخامس: الموضوع كقراءة الخزاعي السابقة.

السادس: ما يشبه المدرج من أنواع الحديث، وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير كقراءة سعد بن أبي وقاص: «وله أخ أو أخت من أم»، وقراءة ابن عباس: «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج»، وقراءة الزبير: «ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم» وإنما كان شبيهًا ولم يكن مدرجًا حقيقة لأنه وقع فيه خلاف، قال عمر ﷺ: فما أدري أكانت قراءته -يعني الزبير- أم فسرن. أخرجه سعيد بن منصور، وأخرجه ابن الأنباري وجزم بأنه تفسير، وكان الحسن يقرأ: «وإن منكم إلا واردها» الورود الدخول، قال ابن الأنباري: قوله: الورود الدخول تفسير من الحسن لمعنى الورود، وغلط فيه بعض الرواة فأدخله في القرآن.

قال ابن الجزري في آخر كلامه: وربما كانوا يدخلون التفسير في القرآن إيضاحًا؛ لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي ﷺ قرآنًا فهم آمنون من الالتباس انتهى بتصرف.

الباب الخامس

في الكلام على حكم اتباع رسم المصاحف

العثمانية وفيه فصول وثلاثة تنبيهات وتتمة وفائدة مهمة

وإذ قد ثبت أن القرآن كله كان مكتوبًا في عهده ﷺ لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور، وأنه ﷺ ترك جمعه في مصحف واحد لأن النسخ كان يرد على بعضه فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعضه لأدى ذلك إلى الاختلاف فحفظه الله في الصدور إلى انقضاء زمن النسخ.

وأنه جمع في المصحف لاقتضاء المصلحة ذلك في زمن الصديق ونسخ كذلك من تلك الصحف في المصاحف في زمن عثمان وأن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين جمعوا بين الدفتين القرآن المترل من غير أن يكونوا زادوا فيه أو أنقصوا منه شيئًا أو قدموا شيئًا أو أخروه.

بل كتبوه في المصاحف على الترتيب المكتوب في اللوح المحفوظ بتوقيف جبريل -عليه السلام- للنبي ﷺ على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية بموضعها وأين تكتب، وأنهم -رضي الله عنهم- قد أجمعوا على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر وعمر وإرسال كل مصحف منها إلى مصر من أمصار المسلمين، وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك، وأن أهل كل مصر أجمعوا على تلقي ما في مصحفهم بالقبول.

وهذا إجماع من الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف وعلى ترك ما خالفها من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى و حرف بآخر وجب علينا أن نتبع في قراءتنا المرسوم الذي جعله لنا عثمان رضي الله عنه في المصحف أصلاً.

ولذا قال الأئمة المحققون: كل قراءة ساعدها خط المصحف مع صحة النقل ومجيئها على الفصيح من لغة العرب فهي المعتبرة، وأن نقتدي في كَتْبنا القرآن بكتبه لجعل المصحف إمامًا متبعًا لكل من يكتب القرآن فلا يجوز لمن يكتب مصحفًا أن يكتبه على خلاف الرسم العثماني.

فصل في ذكر أدلة وجوب اتباع رسم المصحف العثماني

قال العلامة الخراز في موارد الظمآن:

وبعد فاعلم أن أصل الرسم ... ثبت عن ذوي النهى والعلم
جمعه في الصحف الصديق ... كما أشار عمر الفاروق
وذاك حين قتلوا مسيلمة ... وانقلبت جيوشه منهزمة
وبعده جرده الإمام ... في مصحف ليقتدي الأنام
ولا يكون بعده اضطراب ... وكان فيما قد رأى صواب
فقصة اختلافهم شهيرة ... كقصة اليمامة العسيرة
فينبغي لأجل ذا أن نقتفي ... مرسوم ما أصله في المصحف
ونقتدي بفعله وما رأى ... في جعله لمن يخلط ملجأ

قال الأستاذ ابن عاشر في شرح قوله: فينبغي... الخ. أي: يطلب منا أن نتبع في قراءاتنا المرسوم الذي جعله لنا في المصحف أصلاً، وأن نقتدي في كتبنا القرآن بكتبه ﷺ وبرأيه في جعل المصحف ملجأ، أي: مفزعًا وحصنًا وإمامًا متبعًا لمن يكتب... إلى أن قال: فلما كتب المصاحف أمر الناس بالاقتصار على ما وافقها لفظًا وبمتابعتها خطًّا ولذلك أمر بما سواها أن يحرق إذ لولا قصده جعل هذه المصاحف أئمة للقارئين والكاتبين ما أمر بتحريق ما سواها وهذا معنى قوله في عميد البيان:

فواجب على ذوي الأذهان ... أن يتبعوا المرسوم في القرآن
ويقتدوا بما رآه نظرًا ... إذ جعلوه للأنام وزرا
وكيف لا يجب الاقتدا ... لما أتى نصابه الشفا
إلى عياض أنه من غيرا ... حرفًا من القرآن عمدًا كفرا
زيادة أو نقصاً أو إن بدلا ... شيئًا من الرسم الذي تأصلا

ثم قال: والظاهر أو المتعين أن مراد عياض بالنقص إنما هو النقص اللفظي لا الخطي، وكذا التبديل والزيادة خلاف ما يقتضيه نقل الخراز عنه أن المراد النقص في الخط والتبديل والزيادة فيه، إلا أن يتأول قوله من الرسم الذي تأصلا بأن المعنى: أن من غير حرفًا لفظًا بنقص أو تبديل أو زيادة من القرآن المدلول عليه برسم المصحف فهو كافر، وحينئذ فلا يكون مقصود الناظم بما نقل عن عياض أفادة كفر من تعمد نقص حرف من رسم المصحف أو تبديلاً أو زيادة فيه، وإنما قصدنا تأكد الوجوب في ترك هذه المخالفات الخطية.

ثم قال: وهاهنا بحث وهو أنه قد روي عن بعض الصحابة واحد أو اثنين أنه خالف الإمام في تحريق ما بأيديهم وتركه ومتابعة المصاحف العثمانية وكيف يتقرر الإجماع مع مخالفة بعض المجتهدين.

والجواب: أن الإجماع إذا اختلف هل يقدح في مخالفته الواحد والاثنان أم لا؟

والأول مذهب الجمهور فعليه يجاب بأن الإجماع انعقد بعد موت المختلف، وأما القول الثاني فلا يرد عليه إشكال. اهـ

وقد وردت أحاديث في طلب الاقتداء بالصحابة -رضي الله عنهم-، منها ما ورد في أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما-، وهو ما أخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من قوله ﷺ : «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**».

زاد الطبراني عن أبي الدرداء: «فإنهما حبل الله الممدود من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى».

وقال ﷺ : «إن الله يكره أن يخطئ أبو بكر»، وقال ﷺ : «إن الله لينطق بالحق على لسان عمر».

وروى أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان، قال الحافظ المنذري: وهو حديث حسن صحيح عن العرباض بن سارية ﷺ قال: وعظنا رسول

الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت العيون فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا فقال: «**أوصيكم بتقوى الله والعمل والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي مجدع الأطراف فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**».

وقد حث الإمام مالك رضي الله عنه على اتباع الصحابة -رضي الله عنهم- وترك مخالفتهم فيما فعلوه من الرسم، لأنه منع السائل وهو الإمام أشهب من أن يحدث في مصاحفهم النقط الذي حدث بعدهم لأنهم كتبوها من غير نقط وشكل. وإنما رأى النقط جائزًا للصبيان، أي: ومن في معناهم من كبار المتعلمين في الصحف والألواح لأجل بيانه -أي: وضوحه وسهولة تعلمه عليهم- . قال أبو عمرو في المحكم بسنده إلى عبد الله بن عبد الحكم: قال أشهب: سئل مالك -رحمه الله- فقيل له: أرأيت من استكتب مصحفًا اليوم أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم؟ فقال: لا أرى ذلك ولكن يكتب على الكتبة الأولى، وإلى ذلك أشار الشاطبي في العقيلة بقوله:

وقال مالك القرآن يكتب ۞ بالكتاب الأول لا مستحدثا

قال أبو عمرو في المقنع: ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة، وذكر مثله الجعبري في شرح العقيلة.

ثم قال أيضًا: وهذا مذهب الأئمة الأربعة -رضوان الله عليهم- وخص مالكًا لأنه حكى فتياه ومستندهم مستند الخلفاء الأربعة -رضي الله عنهم- أجمعين، ومعنى قول مالك: يكتب على الكتبة الأولى: تجريده من النقط والشكل ووضعه على مصطلح الرسم من البدل والحذف والإثبات والفصل والوصل. اهـ بتصرف.

وفي الإتقان: قال الإمام أحمد: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو

أو ألف أو ياء وغير ذلك. اهـ

وسئل مالك عن الحروف تكون في القرآن زائدة مثل الواو والألف والياء في مثله قوله تعالى: «الربوا، وأولئك، ولأذبحنه، وبأييد، وبأييكم» وما أشبه ذلك.

ترى أن تغير من المصاحف إذا وجدت فيها كذلك؟ قال: لا. اهـ

فما كتبوه في المصاحف بغير ألف فواجب أن يكتب بغير ألف، وما كتبوه بألف كذلك وما كتبوه متصلاً فواجب أن يكتب متصلاً، وما كتبوه منفصلاً فواجب أن يكتب منفصلاً وما كتبوه بالتاء فواجب أن يكتب بالتاء ، وما كتبوه بالهاء فواجب أن يكتب بالهاء. فلا يثبت ما حذف ولا يحذف ما أثبت لإجماع الأمة على متابعتها فمن خالف في شيء من ذلك فقد خالف الأمة كما قاله ابن الحاج في المدخل، والحافظ أبو عمرو الداني واللبيب، قال أشهب: قال مالك: ولا يزال الإنسان يسألني عن نقط القرآن فأقول له أما الإمام من المصاحف فلا أرى أن ينقط، ولا يزاد في المصاحف ما لم يكن فيها.

وأما المصاحف الصغار التي يتعلم فيها الصبيان وألواحهم فلا أرى بذلك بأسًا. قال عبد الله: وسمعت مالكًا لما سئل عن شكل المصاحف، قال: أما الأمهات فلا أراه، وأما المصاحف التي يتعلم فيها الغلمان فلا بأس. اهـ والمراد بالأمهات في كلام الإمام المصاحف الكمل وبالمصاحف الصغار الصحف، قال الخراز في مورد الظمآن:

ومـالك حـض عـلى الاتباع	لفعـلهم وتـرك الابـتداع
وإذ مـنع السـائل من أن يحدثا	في الأمهـات نقـط ما قد أحدثا
وإنمـا رآه للصـبيان	في الصـحف والألـواح للبيان
والأمهـات مـلجأ للـناس	فمـنع الـنقط للالتـباس

قال شارحه العلامة ابن عاشر: أخبر هنا أن إمام المذهب المدني مالكًا ﷺ حث على اتباع الصحابة في المصاحف وترك الابتداع المحدث فيها، ولا شك أن هذا المعنى المقصود للناظم هنا لم يقع في كلام مالك صريحًا، وإنما هو لازم منعه السائل من أن يحدث في المصاحف الأمهات –أي: الكمل– النقط المحدث، وإنما رأى الإمام جواز النقط للصبيان يريد ومن في معناهم من كبار المتعلمين في الصحف يعني الصغار وفي الألواح للإيضاح. اهـ

تنبيهات: الأول

في ذكر بعض فوائد الرسم العثماني وبعض مضار مخالفته

قد علمت مما تقدم آنفًا أنه يجب كتب القرآن موافقًا لرسم المصاحف العثمانية، ويحرم تغيير حرف منه عما كتب عليه في زمن الصحابة الذين تلقوه من في رسول الله ﷺ وكتبوه في حضرته وأجمعوا على نقله ونشره في بلاد المسلمين، وعدتهم يومئذ -رضي الله عنهم- فوق اثني عشر ألفًا، وبعدهم أجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على وجوب اتباعه.

ولنذكر هنا شيئًا من فوائد هذا الرسم المخصوص وشيئًا من مضار مخالفته تأكيدًا لما تقدم فنقول:

من فوائده: أنه حجاب مانع من تلاوة القرآن على وجهه بدون موقف لأن الشأن التحفظ على النفيس، ولذا لا يجوز لأحد أن يقرأ أو يقرئ إلا بما رواه عن شيخ متصل السند بل، لو قرأ بمضمن كتاب من غير رواية ومشافهة لا يعد مقرئًا.

قال ابن الجزري في المنجد -بعد أن ذكر أن القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوًا لناقله- ما نصه: والمقرئ العالم بها مؤديًا لها مشافهة فلو حفظ التيسير مثلاً ليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه في شوفه مسلسلاً، لأن في القرآن أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة. اهـ

وقال أيضًا في تقسيم المقرئين: ومنهم من علم العربية ولا يتبع الأثر والمشايخ في القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول. اهـ

ومنها: الدلالة على أصل الحركة ككتابة الكسرة ياءً، والضمة واواً في نحو: «إيتائ ذي القربى، وسأوريكم» أو الحرف ككتابة: «الصلاة والزكاة والحياة» بالواو.

ومنها: النص على بعض اللغات الفصيحة ككتابة هاء التأنيث بالتاء على لغة طيئ، وكحذف آخر المضارع المعتل اللام لغير جازم نحو حذف الياء

من: (يوم يأت لا تكلم نفس) على لغة هذيل.

ومنها: عدم تجهيل الناس بأوليهم وكيفية ابتداء كتابتهم.

ومن المضار التي تترتب على مخالفته: ضياع القرآن الذي هو أساس الدين بضياع شرطه.

ومنها: ضياع لغات العرب الفصحى لعدم الاستدلال عليها من أصدق الحديث بضياع رسمه الدال عليها.

ومنها: تطرق التحريف إلى الكتاب الشريف بتغير رسمه الأصلي التوقيفي.

ومنها: جواز هدم كيان كثير من العلوم قياساً على هدم كيان علم رسم القرآن بدعوى سهولة تناوله للعلوم.

الثاني

في بيان أن رسم القرآن توقيفي

ذكر العلامة أحمد بن المبارك في كتاب الذهب الإبريز عن شيخه العارف بالله تعالى الشيخ عبد العزيز الدباغ أنه قال: رسم القرآن سر من أسرار الله المشاهدة ،وكمال الرفعة، فقلت له: هل رسم الواو بدل الألف في نحو قولــه: «الصلوة، والزكوة، والربوا، والحيوة، ومشكوة»، وزيادة الواو في: «سأوريكم، وأولئك، وأولاء، وأولات»،وكالياء في نحو: «هديهم، وملائيه، وبأييكم، وبأييد».

هذا كله صادر من النبي ﷺ أو من الصحابة؟ فقال: هو صادر من النبي ﷺ ، وهو الذي أمر الكتاب من الصحابة أن يكتبوه على هذه الهيئة فما نقصوا ولا زادوا على ما سمعوه من النبي ﷺ فقلت له: إن جماعة من العلماء ترخصوا في أمر الرسم، وقالوا: إنما هو اصطلاح من الصحابة مشوا فيه على ما كانت قريش تكتب عليه في الجاهلية، وإنما صدر ذلك من الصحابة لأن قريشًا تعلموا الكتابة من أهل الحيرة، وأهل الحيرة ينطقون بالواو في «الربوا» فكتبوا على وفق منطقهم، وأما قريش فإنهم ينطقون فيه بالألف، وكتابتهم له بالواو على منطق غيرهم وتقليد لهم حتى قال القاضي أبو بكر الباقلاني: كل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه فإنه ليس في الكتاب ولا في السنة، ولا في الإجماع ما يدل على ذلك، فقال: ما للصحابة، ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة، وإنما هو بتوقيف من النبي ﷺ وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها، والأسرار لا تهتدي إليها العقول وهو سر من الأسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية فلا يوجد شيء من هذا الرسم لا في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في غيرها من الكتب السماوية، وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضًا معجز، وكيف تهتدي العقول إلى سر

زيادة الألف في مائة دون فئة. وإلى سر زيادة الياء في: «بأييد وبأييكم». أم كيف تتوصل إلى سر زيادة الألف في: «سعوا» بالحج، ونقصانها من: «سعو» بسبأ، وإلى سر زيادتها في: «عتوا» حيث كان. ونقصانها من: «عتو» بالفرقان، وإلى سر زيادتها في آمنوا، وإسقاطها من: «باؤ، وجاؤ، وتبوؤ، وفاؤ» بالبقرة، وإلى سر زيادتها في: «يعفوا الذي»، ونقصانها من: «يعفو عنهم» في النساء.

أم كيف تبلغ العقول إلى وجه حذف بعض أحرف من كلمات متشابهة دون بعض كحذف الألف من: «قرءنا» بيوسف والزخرف، وإثبات الألف في: «الميعاد» مطلقًا، وحذفه من الموضع الذي في الأنفال، وإثبات الألف في: «سراجًا» حيثما وقع، وحذفه من موضع الفرقان، وكيف تتوصل إلى فتح بعض التاءات وربطها في بعض، فكل ذلك لأسرار إلهية وأغراض نبوية، وإنما خفيت على الناس لأنها أسرار باطنية لا تدرك إلا بالفتح الرباني، فهي بمنزلة الألفاظ والحروف المتقطعة التي في أوائل السور، فإن لها أسرارًا عظيمة ومعاني كثيرة وأكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها، ولا يدركون شيئًا من المعاني الإلهية التي أشير إليها، فكذلك أمر الرسم الذي في القرآن حرفًا بحرف، وأما قول من قال أن الصحابة اصطلحوا على أمر الرسم المذكور فلا يخفى ما في كلامه من البطلان، لأن القرآن كتب في زمان النبي ﷺ، وبين يديه وحينئذ فلا يخلو ما اصطلح عليه الصحابة، إما أن يكون هو عين الهيئة أو غيرها فإن كان عينها بطل الاصطلاح لأن أسبقية التوقيف من النبي ﷺ تنافي ذلك وتوجب الاتباع، وإن كان غير ذلك فكيف يكون النبي ﷺ كتب على هيئة كهيئة الرسم القياسي مثلاً، والصحابة خالفوا وكتبوا على هيئة أخرى فلا يصح ذلك لوجهين:

أحدهما: نسبة الصحابة إلى المخالفة وذلك محال.

ثانيهما: أن سائر الأمة من الصحابة وغيرهم أجمعوا على أنه لا يجوز زيادة حرف في القرآن ولا نقصان حرف منه، وما بين الدفتين كلام الله -عز

وجل-، فإذا كان النبي ﷺ أثبت ألف «الرحمن، والعلمين» مثلاً و لم يزد الألف في: «مائة» ولا في: «ولا أوضعوا» ولا الياء في: «بأييد» ونحو ذلك، والصحابة عاكسوه في ذلك وخالفوه لزم أنهم- وحاشاهم من ذلك- تصرفوا في القرآن بالزيادة والنقصان، ووقعوا فيما لا يحل لأحد فعله، ولزم تطرق الشك إلى جميع ما بين الدفتين لأنا مهما جوزنا أن تكون فيه حروف ناقصة أو زائدة على ما في علم النبي ﷺ وعلى ما عنده وأنها ليست بوحي ولا من عند الله، ولا نعلمها بعينها شككنا في الجميع، ولئن جوزنا لصحابي أن يزيد في كتابته حرفًا ليس بوحي، لزمنا أن نجوز لصحابي آخر نقصان حرف من الوحي إذ لا فرق بينهما وحينئذ تنحل عروة الإسلام بالكلية.

وإنما من ادعى الاصطلاح من الصحابة يصح له أن يدعيه عليها إذا كانت كتابة القرآن في عصرهم بعد وفاة النبي ﷺ، وقد ثبت أن الرسم توقيفي لا اصطلاحي وأن النبي ﷺ هو الآمر بكتابته على الهيئة المعروفة فقلت له: إن النبي ﷺ كان لا يقرأ الكتابة وقد قال الله في وصفه: ﴿**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك**﴾ فقال: كان النبي ﷺ لا يعرفها بالاصطلاح ولا بالتعليم من الناس.

فقلت له: فإن كان الرسم توقيفيًا بوحي إلى النبي ﷺ وأنه كألفاظ القرآن فلم لم ينقل تواترًا حتى ترفع عنه الريبة وتطمئن به القلوب كألفاظ القرآن فإنه ما من حرف إلا وقد نقل تواترًا لم يقع فيه اختلاف ولا اضطراب.

وأما الرسم فإنه إنما نقل بالآحاد كما يعلم من الكتب الموضوعة فيه وما نقل بالآحاد وقع الاضطراب بين النقلة في كثير منه.

وكيف تضيع الأمة شيئًا من الوحي، فقال: ما ضيعت الأمة شيئًا من الوحي والقرآن- بحمد الله- محفوظ ألفاظًا ورسمًا فأهل العرفان والشهود والعيان حفظوا ألفاظه ورسمه، و لم يضيعوا منهما شعرة واحدة وأدركوا ذلك بالشهود

والعيان الذي هو فوق التواتر، وغيرهم حفظوا ألفاظه الواصلة إليهم بالتواتر واختلافهم في بعض حروف الرسم لا يقدح ولا يصير الأمة مضيعة كما لا يضر جهل العامة بالقرآن وعدم حفظهم لألفاظه.

وأما قول القاضي أبي بكر الباقلاني: ليس في الكتاب ولا في السنة ولا الإجماع ولا القياس ما يدل على وجوب اتباع المرسوم فجوابه يعلم مما سبق وحيث ثبت أن الرسم توقيفي فدليل الوجوب من الكتاب قوله تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه**﴾ ، ومن السنة فعله، أي: تقريره عليه الصلاة والسلام، وقوله، أي: أمره للصحابة، فقد أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعلومة، فإن زعم زاعم أنه لم يأمرهم بذلك فلا ينازع في تقريره عليه الصلاة والسلام لأن نصوص أئمة الاجتهاد، لم تزل طافحة بذلك مثل الإمام مالك والإمام أحمد بن حنبل وغيرهما من أهل الاجتهاد. ا هـ

نقلاً عن «الجوهر الفريد في رسم القرآن المجيد» بقلم مؤلفه ملخصًا لذلك من كتاب «الذهب الإبريز» انتهى بتصرف يسير من كتاب «إرشاد القراء والكاتبين إلى معرفة رسم الكتاب المبين».

تتمة

في بيان بطلان ما ادعاه الملحدة من التغيير أو التحريف في القرآن

ما كتب في المصاحف العثمانية مأثور في السنة مستفيض بين الأمة، فلا يصح مع اشتهاره وتوفر نقلته وكثرة حفاظه أن يكون فيه نقص أو زيادة أو تبديل أو أي تحريف عما سمعوه من في رسول الله ﷺ، وإلى ذلك أشار العلامة الشاطبي -رحمه الله تعالى- في العقيلة بقوله:

وكل ما فيه مشهور بسنته   ولم يصب من أضاف الوهم والغير

فقد أخطأ الملحدة -وهم غلاة الشيعة- وضلوا ضلالاً بعيدًا في قولهم إن القرآن العزيز غيَّره الذين كتبوه في المصاحف وحرفوه عن هيئة إنزاله وحالة كماله وزادوا فيه ونقصوا منه، وقال بعضهم: نقصوا منه ولم يزيدوا فيه، قالوا: وقد كان فيه لعن قوم من الصحابة من قريش وغيرهم وكانوا مذكورين بأسمائهم وأنسابهم، وكان فيه أسماء الأئمة من أهل البيت ومدحهم، قالوا: وقد كان على غير هذا النظم وهذا التأليف والذين جمعوه لم يتقنوه ولم يتيقنوه، إنما كانوا يأخذونه من الواحد والاثنين والرقاع والأكتاف، وزعموا أن ذلك سبب اختلاف المصاحف والقراءات وفساد قولهم ظاهر لأن الله تعالى يقول: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ ولأن الاعتماد في نقل القرآن على الحفاظ وقد كانوا عند كتابة الصحف والمصاحف أكثر من عدد التواتر مطلقًا فلو غيره الكتاب كما زعموا لعلم من تلاوة القراء، وأيضًا ولي علي ﷺ الخلافة بعد الأئمة الثلاثة -رضي الله عنهم-، فلو صحت دعواهم لأقرأ الأئمة من أهل البيت القرآن على وجهه وكتب لهم مصحفًا كذلك، وأثبت فيه ما ادعوا تغييره.

فإن قالوا: غصبوه مصحفه، فبإجماعنا وإجماعهم أنه كان حينئذ حافظًا لجميع القرآن فهلا علمهم من حفظه.

فإن قالوا: ما كان متمسكًا من إظهار، قيل: كان علمهم سرًّا كالأحكام ولا تصح خلافته على مذهبهم.

وأما قولهم: أخذوه عن الآحاد والرقاع وهو سبب الاختلاف، فقد علم رده مما تقدم في بيان جمع القرآن.

ونقول أيضًا: كيف يصح تفريط الصدر الأول -رضي الله عنهم- في القرآن واهمًا لهم لحفظه ونقله حتى ينسى فلا يعرفه إلا الواحد والاثنان، وحتى لا يوجد إلا في الأكتاف واللخاف مع شهرتهم في الدين وبذلهم الأنفس فيه والأموال، فيتركون القرآن الذي فيه منافع دنياهم وأخراهم وقد آمنوا بقوله ﷺ: «**من قرأ القرآن فأعربه** -أي بينه- **فله بكل حرف منه عشر حسنات**» ورأوا تعظيمه ﷺ لأهل القرآن وتقديمه إياهم على غيرهم، وسمعوا ما ذكر في فضل حملة القرآن وأنهم أهل الله وخاصته، وما ذكر في شفاعة القرآن، إلى غير ذلك من الأخبار، فالملحدة قوم بهت، ألا تراهم ادعوا أن الحجاج غيَّر مصحف عثمان أيضًا ونقص منه وزاد فيه أحد عشر حرفًا!! وأنه أخذ مصاحف أهل الكوفة من أيديهم ونشر فيهم ما زاده ونقصه!! فهذه الدعوى في ظهور فسادها بسبب كثرة القراء في زمن الحجاج وانتشار الأئمة وتوفر النقلة كالدعوى الأولى في زيادة الصحابة في القرآن والنقصان منه مع كثرة القراء وتوفر الحفاظ والنقص والزيادة في الشيء مع كثرة نقلته وتوفر حملته محال، قال العلامة الجعبري في شرح العقيلة:

وأما الحجاج فقد حدثني بعض شيوخي أنه صلى بالناس جهرية فقرأ فيها ﴿**والعاديات**﴾ فسبق لسانه إلى فتح ﴿**إن ربهم**﴾ فحذف لام ﴿**لخبير**﴾ لئلا يلحن، فلما سلم قال لبعض من صلى معه من القراء: كيف وجدتني؟ فقال: وجدتك يا حجاج لحانًا وبتارًا -والناس يسمعون-!! فمن لم يسمح له بسبق لسانه إلى حركة وبكت في مَلَئه، لا يخطر ببال عاقل أنهم يوافقونه على تغيير مصحف جعله عثمان ﷺ لهم إمامًا.

وأيضًا فالحجاج تولى أميرًا على طرف في مدة فلو فعل ذلك لأنكره عليه إمامه، وأهل الحل والعقد من بقية الأقطار ولرجعوا عنه بعده. اهـ

وكذلك ادعى قوم أن قوله تعالى: ﴿**وقضى ربك**﴾ أصلها: وصى ربك، فاتصل رأس الواو الثانية بالصاد في الكتابة فصحفوه ﴿**وقضى**﴾ وفساد دعواهم واضح، لأنه تواتر نقلها عن النبي ﷺ، وقرأها عليه وسمعها منه الجم الغفير من الصحابة وأخذها التابعون عنهم، وطريق رواية القرآن عندنا الحفاظ لا الكتابة، فلا يضرنا اتصال الواو وإن صدقوا.

وأيضًا يلزم على زعم أن مروان هو الذي قرأ: (ملك يوم الدين) من تلقاء نفسه وهذا كذب صريح، لأن النبي ﷺ قرأ ﴿**مالك**﴾ بألف وبحذفها، وتواتر عنه الوجهان فممن قرأ بهما علي وأبي وابن مسعود، وممن قرأ بالقصر أبو الدرداء وابن عباس وابن عمر، وممن قرأ بالمد أبو بكر وعمر وعثمان -رضي الله عنهم-، وذلك كله قبل أن يولد مروان، بل اتفقت روايته القصر كما اتفقت رواية عمر بن عبد العزيز المد.

وأيضًا يلزم من ذلك أن الأمة والأئمة اتبعوا مروان فيما جاء به من عند نفسه، ومما يرد دعواهم ويوهن قواهم أن التبليغ كان واجبًا على رسول الله ﷺ: ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾، فانتصب ﷺ لتعليمه وبعث إلى من ليس بحضرته من يعلمه حتى انتشر في الأقطار التي دخلها الإسلام، واشتهر في المواضع التي حل فيها الإيمان، ألا ترى إلى قولهم: كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن.

وقال عبد الله بن -مسعود ﷺ-: تعلمت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة، وأمره الله -تعالى- أن يقرأ على أبي ليعلمه ويقتدي به في قراءته، وقال معاذ: عرضنا على رسول الله ﷺ إذا أسلم الرجل أمره بقراءة القرآن قبل كل شيء. قال عبادة بن الصامت: كان الرجل إذا هاجر دفعه رسول الله ﷺ إلى

رجل منا يعلمه.

وقال عبادة أيضًا: علمت رجلاً من أهل الصفة القرآن والكتابة، وبعث ﷺ إلى المدينة قبل الهجرة مصعب بن عمير يعلمهم القرآن وانضاف إليه ابن أم مكتوم في الإقراء ثم تلاحق المهاجرون.

ولما فتح رسول الله ﷺ مكة ترك فيها معاذ بن جبل لذلك ولم يزل المسلمون يدينون بتلاوة القرآن، ويرون ذلك من أفضل الأعمال في أول الإسلام و هلم جرا، وفي قصة عمر يوم أسلم وتلاوة أخته سورة طه ما يدل على ذلك، وما زال ذلك دأبهم أينما حلوا، وكذلك كانوا في أرض الحبشة وغيرها.

وقد كان لمسجد رسول الله ﷺ ضجة بتلاوة القرآن حتى أمرهم بخفض أصواتهم لئلا يغلط بعضهم بعضًا، فبطل بما ذكر جميع ما ذكروه. والله أعلم. انتهى ملخصًا من شرحي الإمام أبي الحسن علي بن محمد السخاوي والمحقق أبي محمد إبراهيم بن عمر الجعبري على متن الرائية.

فائدة مهمة
في ذكر بعض من عُني بضبط القراءات وجمعها في الكتب ونشرها للأمة

قال ابن الجزري في النشر: أن القراء الذين أخذوا عن الأئمة المتقدمين من السبعة المشهورين وغيرهم كانوا أممًا لا تحصى، وطوائف لا تستقصى، والذين أخذوا عنهم أيضًا أكثر وهلم جرا.

فلما كانت المائة الثالثة، واتسع الخرق، وقلَّ الضبط، وكان علم الكتاب والسنة أوفر ما كان في ذلك العصر تصدى بعض الأئمة لضبط ما رواه من القراءات.

فكان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب أبو عبيد القاسم بن سلام، وجعلهم -فيما أحسب- خمسة وعشرين قارئًا مع هؤلاء السبعة، وتوفي سنة أربع وعشرين ومائتين، وكان بعده أحمد بن جبير بن محمد الكوفي نزيل أنطاكية جمع كتابًا في القراءت الخمسة من كل مصر واحد، وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائتين.

وكان بعده القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي صاحب قالون، ألف كتابًا في القراءات جمع فيه قراءات عشرين إمامًا، منهم هؤلاء السبعة، وتوفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

وكان بعده الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري جمع كتابًا حافلاً سماه: الجامع، فيه نيف وعشرون قراءة، توفي سنة عشرة وثلاثمائة.

وكان بعده أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني جمع كتابًا في القراءات، وأدخل معهم أبا جعفر أحد العشرة، وتوفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وكان في أثره أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد أول من اقتصر على قراءات هؤلاء السبعة فقط، وروى فيه عن هذا الداجوني، وعن ابن جرير أيضًا، وتوفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة.

وقام الناس في زمانه وبعده ، فألفوا في القراءات أنواع التآليف كأبي بكر أحمد بن نصر الشذائي توفي سنة سبعين وثلاثمائة، وأبي بكر أحمد بن أبي الحسين بن مهران مؤلف كتاب الشامل والغاية وغير ذلك في قراءات العشرة، وتوفي سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، والإمام الأستاذ أبي الفضل محمد بن جعفر الخزاعي مؤلف الكتب في القراءات بحسب ما وصل إليهم وصح لديهم، كل ذلك و لم يكن بالأندلس ولا ببلاد الغرب شيء من هذه القراءات إلى أواخر المائة الرابعة فرحل منهم من روى القراءات بمصر ودخل بها.

وكان أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي مؤلف الروضة أول من أدخل القراءات إلى الأندلس، توفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة، ثم تبعه أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي مؤلف التبصرة والكشف وغير ذلك، وتوفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، ثم الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني مؤلف التيسير وجامع البيان وغير ذلك، وتوفى سنة أربع وأربعين وأربعمائه وكتاب جامع البيان له في قراءات السبعة فيه عنهم أكثر من خمسمائة رواية وطريق.

وكان بدمشق الأستاذ أبو على الحسن بن على بن إبراهيم الأهوازي مؤلف الوجيز والإيجاز والإيضاح والاتضاح، وجامع المشهور والشاذ، ولم يلحقه أحد في هذا الشان، وتوفى سنة ست وأربعين وأربعمائة.

وفي هذه الحدود رحل من المغرب أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي إلى المشرق وطاف البلاد، وروى عن أئمة القراءات حتى انتهى إلى ما وراء النهر، وألف كتابه الكامل جمع فيه خمسين قراءة عن الأئمة وألفًا وأربعمائة وتسعًا وخمسين رواية وطريقًا، قال فيه: فجملة من لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستين شيخًا من آخر المغرب إلى آخر باب فرغانة يمينًا وشمالاً وجبلاً وبحرًا، وتوفى سنة خمس وستين وأربعمائة.

وفي هذا العصر كان أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري بمكة

مؤلف كتاب التلخيص في القراءات الثماني وسوق العروس، فيه ألف وخمسمائة وخمسون رواية وطريقًا، وتوفى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، وهذان الرجلان أكثر من علمنا جمعًا في القراءات، لا نعلم أحدًا بعدهما جمع أكثر منهما إلا أبا القاسم عيسى بن عبد العزيز الإسكندري، فإنه ألف كتابًا سماه الجامع الأكبر والبحر الأزخر، يحتوي على سبعة آلاف رواية وطريق، وتوفى سنة تسع وعشرين وستمائة.

ولايزال الناس يؤلفون في كثير القراءات وقليلها ويروون شاذها وصحيحها بحسب ما وصل إليهم وصح لديهم، ولا ينكر أحد عليهم، بل هم في ذلك متبعون سبيل السلف حتى قالوا: القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول وما علمنا أحدًا أنكر شيئًا قرأ به الآخر، إلا ما قدمنا عن ابن شنبوذ لكونه خرج عن المصحف العثماني، وللناس في ذلك اختلاف، وكذا ما أُنكر على ابن مقسم من كونه أجاز القراءة بما وافق المصحف من غير أثر كما قدمنا.

أما من قرأ بالكامل للهذلي أو سوق العروس للطبري أو إقناع الأهوازي أو كفاية أبي العز أو مبهج سبط الخياط، أو روضة المالكي أو نحو ذلك على ما فيه من ضعيف وشاذ عن السبعة والعشرة وغيرهم، فلا نعلم أحدًا أنكر ذلك ولا زعم أنه مخالف لشيء من الأحرف السبعة، بل مازال علماء الأمة وقضاة المسلمين يكتبون خطوطهم ويثبتون شهادتهم في إجازاتهم بمثل هذه الكتب والقراءات.

وإنما أطلنا هذا الفصل لما بلغنا عن بعض من لا علم له أن القراءات الصحيحة هي التي عن هؤلاء السبعة، أو أن الأحرف السبعة التي أشار إليها النبي ﷺ هي قراءة هؤلاء السبعة بل غلب على كثير من الجهال أن القراءات الصحيحة هي التي في الشاطبية والتيسير، وأنها هي المشار إليها بقوله ﷺ: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**» حتى أن بعضهم يطلق على ما لم يكن في

هذين الكتابين أنه شاذ وكثير منهم يطلق على ما لم يكن عن هؤلاء السبعة شاذًا.

وربما كان كثير مما لم يكن في الشاطبية والتيسير وعن غير هؤلاء السبعة أصح من كثير مما فيها، وإنما أوقع هؤلاء في الشبهة كونهم سمعوا: أنزل القرآن على سبعة أحرف وسمعوا قراءات السبعة فظنوا أن هذه السبعة هي تلك المشار إليها، ولذلك كره كثير من الأئمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء وخطّؤه في ذلك، وقالوا: ألا اقتصر على دون هذا العدد أو زيادة أو بين مراده ليخلص من لا يعلم من هذه الشبهة.

قال الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي: فأما اقتصار أهل الأمصار في الأغلب على نافع وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي، فذهب إليه بعض المتأخرين اختصارًا واختيارًا فجعله عامة الناس كالفرض المحتوم، حتى إذا سمع ما يخالفها خطأ أو كفر، وربما كانت أظهر وأشهر.

ثم اقتصر من قلت عنايته على راويين لكل إمام منهم فصار إذا سمع رواية راو عنه غيرهما أبطلها وربما كانت أشهر، ولقد فعل مسبع هؤلاء السبعة ما لا ينبغي له أن يفعله، وأشكل على العامة حتى جهلوا ما لم يسعهم جهله وأوهم كل من قل نظره أن هذه هي المذكورة في الخبر النبوي لا غير وأكدوهم اللاحق السابق، وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل هذه الشبهة.

وقال أيضًا: القراءة المستعملة التي لا يجوز ردّها ما اجتمع فيها الثلاثة الشروط فما جمع ذلك وجب قبوله، ولم يسع أحدًا من المسلمين ردُّه سواء أكانت عن أحد من الأئمة السبعة المقتصر عليهم في الأغلب أم غيرهم، وقال الإمام أبو محمد: وقد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة وأجل قدرًا من هؤلاء السبعة على أنه قد ترك جماعة من العلماء

في كتبهم في القراءات ذكر بعض هؤلاء السبعة وطرحهم، فقد ترك أبو حاتم وغيره ذكر حمزة والكسائي وابن عامر وزاد نحو عشرين رجلاً من الأئمة ممن هو فوق هؤلاء السبعة، وكذلك زاد الطبري في كتاب القراءات على هؤلاء السبعة نحو خمسة عشر رجلاً، وكذلك فعل أبو عبيد وإسماعيل القاضي.

فكيف يجوز أن يظن ظان أن هؤلاء السبعة المتأخرين قراءة كل واحد منهم إحدى الحروف السبعة المنصوص عليها هذا اختلاف عظيم.

أكان ذلك بنص من النبي ﷺ أم كيف ذلك؟ وكيف يكون ذلك والكسائي إنما ألحق بالسبعة بالأمس في أيام المأمون أو غيره، وكان السابع يعقوب الحضرمي فأثبت ابن مجاهد في سنة ثلثمائة أو نحوها الكسائي في موضع يعقوب، ثم أطال الكلام في تقرير ذلك.

وقال الإمام الحافظ أبو عمرو الداني -بعد أن ساق اعتقاده في الأحرف السبعة ووجوه اختلافها، وأن القراء السبعة ونظراءهم من الأئمة متبعون في جميع قراءاتهم الثابتة عنهم التي لا شذوذ فيها.

وقال أبو القاسم الهذلي في كامله: وليس لأحد أن يقول: لا تكثروا من الروايات، ويسمى ما لم يصل إليه من القراءات شاذًّا لأنه ما من قراءة قرئت، ولا رواية رويت إلا وهي صحيحة إذا وافقت رسم الإمام ولم تخالف الاجماع، قلت: وقد وقفت على نص الإمام أبي بكر بن العربي في كتابه المقتبس على جواز القراءة والاقراء بقراءة أبي جعفر وشيبة والأعمش وغيرهم، وإنها ليست من الشاذة، ولفظه: وليست هذه الروايات بأصل للتعيين بل ربما خرج عنها ما هو مثلها أو فوقها كحروف أبي جعفر المدني وغيره.

وكذلك رأيت نص الإمام أبي جعفر بن حزم في آخر كتاب السيرة.

وقال الإمام محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي في أول تفسيره: ثم إن الناس كما أنهم متعبدون باتباع أحكام القرآن وحفظ حدوده،

فهم متعبدون بتلاوته وحفظ حروفه على سنن خط المصحف الإمام الذي اتفق الصحابة عليه وألا يجاوزوا فيما يوافق الخط عما قرأ به القراء المعروفون الذين خلفوا الصحابة والتابعين، واتفقت الأمة على اختيارهم، قال: وقد ذكرت في هذا الكتاب قراءات من اشتهر منهم بالقراءة واختياراهم على ما قرأته.

وذكر إسناده إلى ابن مهران ثم سماهم فقال: وهم: أبو جعفر ونافع المدنيان وابن كثير المكي، وابن عامر الشامي، وأبو عمرو بن العلاء ويعقوب الحضرمي البصريان، وعاصم وحمزة والكسائي الكوفيون.

ثم قال: فذكرت قراءة هؤلاء للاتفاق على جواز القراءة بها.

وقال الإمام الكبير الحافظ المجمع على قوله في الكتاب والسنة أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسين الهمداني في أول غايته: أما بعد، فإن هذه تذكرة في اختلاف القراء العشرة الذين اقتدى الناس بقراءتهم وتمسكوا فيها بمذهبهم من أهل الحجاز والشام والعراق، ثم ذكر القراء العشرة.

وقال شيخ الإسلام ومفتي الأنام العلامة أبو عمرو عثمان بن الصلاح – رحمه الله– في جملة جواب فتوى وردت عليه من بلاد العجم ذكرها العلامة أبو شامة في كتابه «المرشد الوجيز» أشرنا إليها في كتابنا المنجد: يشترط أن يكون المقروء به قد تواتر نقله عن رسول الله ﷺ قرآنًا واستفاض نقله كله، ونقلته الأمة بالقبول كهذه القراءات السبع، لأن المعتبر في ذلك اليقين والقطع على ما تفرد وتمهد في الأصول، فما لم يوجد فيه ذلك كما عدا السبع وكما عدا العشر فممنوع من القراءة به منع تحريم لا منع كراهة انتهى.

ولما قدم الشيخ أبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي بدمشق في حدود سنة ثلاثين وسبعمائة وأقرأ بها للعشرة بمضمن كتابيه الكتر والكفاية وغير ذلك.

بلغنا أن بعض مقرئي دمشق ممن كان لا يعرف سوى الشاطبية والتيسير

حده وقصد منعه من بعض القضاة، فكتب علماء ذلك وأئمته في ذلك و لم يختلفوا في جواز ذلك.

واتفقوا على أن قراءات هؤلاء العشرة واحدة، وإنما اختلفوا في إطلاق الشاذ على ماعدا هؤلاء العشرة وقد توقف بعضهم، والصواب أن ما دخل في تلك الأركان الثلاثة فهو صحيح، وما لا فعلى ما تقدم.

وكان من جواب الشيخ الإمام مجتهد ذلك العصر أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية -رحمه الله-: لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة المشهورة؛ بل أول من جمع ذلك ابن مجاهد ليكون ذلك موافقًا لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبع هي الحروف السبعة، أو أن هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءهم.

ولهذا قال بعض أئمة القراء: لولا أن ابن مجاهد سبقني إلى حمزة لجعلت مكانه يعقوب الحضرمي إمام جامع البصرة، وإمام قراءة البصرة في زمانه في رأس المائتين، ثم قال- أعني ابن تيمية-: وكذلك لم ينازع علماء الإسلام المتبعون من السلف والأئمة في أنه لا يتعين أن يقرأ بهذه القراءات المعينة في جميع أمصار المسلمين، بل من ثبتت عنده قراءة الأعمش شيخ حمزة أو قراءة يعقوب الحضرمي ونحوهما، كما ثبتت عنده قراءة حمزة والكسائي فله أن يقرأ بها بلا نزاع بين العلماء المعتبرين المعدودين من أهل الإجماع والخلاف، بل أكثر العلماء الأئمة الذين أدركوا قراءة حمزة كسفيان بن عيينة وأحمد بن حنبل وبشر بن الحارث وغيرهم يختارون قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح المدنيين، وقراءة البصريين كشيوخ يعقوب وغيرهم على قراءة حمزة والكسائي.

وللعلماء الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف عند العلماء.

ولهذا كان أئمة أهل العراق الذين ثبتت عندهم قراءات العشرة والأحد

عشر كثبوت هذه السبعة يجمعون ذلك في الكتب ويقرءونه في الصلاة وخارج الصلاة، وذلك متفق عليه بين العلماء لم ينكره أحد منهم، وأما الذي ذكره القاضي عياض ومن نقل كلامه من الإنكار على ابن شنبوذ الذي كان يقرأ بالشواذ في الصلاة في أثناء المائة الرابعة وجرت له قصة مشهورة، فإنما كان ذلك في القراءات الشاذة الخارجة عن المصحف ولم ينكر أحد من العلماء قراءة العشرة.

ولكن من لم يكن عالمًا بها أو لم تثبت عنده كمن يكون في بلد من بلاد الإسلام بالمغرب أو غيره لم يتصل به بعض هذه القراءات فليس له أن يقرأ بما لا يعلمه، فإن القراءة -كما قال زيد بن ثابت-: سنة يأخذها الآخر عن الأول.

كما أن ما ثبت عن النبي ﷺ من أنواع الاستفتاحات في الصلاة ومن أنواع صفة الأذان والإقامة وصفة صلاة الخوف وغير ذلك كله حسن يشرع العمل به لمن علمه، أو من علم نوعًا ولم يعلم بغيره فليس له أن يعدل عما علمه إلى ما لم يعلمه، وليس له أن ينكر على من علم ما لم يعلمه من ذلك، ولا أن يخالفه كما قال النبي ﷺ : «**لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»... ثم بسط القول في ذلك، ثم قال في آخر جوابه: وتجوز القراءة في الصلاة وخارجها بالقراءة الثابتة الموافقة لرسم المصحف كما ثبتت هذه القراءات وليست شاذة حينئذ. والله أعلم.

وكان من جواب الإمام الحافظ أستاذ المفسرين أبي حيان محمد بن يوسف بن حيان الجياني الأندلسي -رحمه الله تعالى-، ومن خطه نقلت: قد ثبت لنا بالنقل الصحيح أن أبا جعفر شيخ نافع، وأن نافعًا قرأ عليه وكان أبو جعفر من سادة التابعين وهما بمدينة الرسول ﷺ حيث كان العلماء متوافرين وأخذ قراءته عن الصحابة عبد الله بن عباس ترجمان القرآن وغيره.

ولم يكن من هو بهذه المثابة ليقرأ كتاب الله بشيء محرم عليه، وكيف

وقد تلقن ذلك في مدينة رسول الله ﷺ عن صحابته غضًّا رطبًا قبل أن تطول الأسانيد وتدخل فيها النقلة غير الضابطين، هذا وهم عرب آمنون من اللحن.

وأن يعقوب كان إمام الجامع بالبصرة يؤم الناس والبصرة إذ ذاك ملأى من أهل العلم ولم ينكر أحد عليه شيئًا من قراءته، ويعقوب تلميذ سلام الطويل، وسلام تلميذ أبي عمرو وعاصم، فهو من جهة أبي عمرو كأنه مثل الدوري الذي روى عن اليزيدي عن عمرو، ومن جهة عاصم كأنه مثل العليمي ويحيى اللذين رويا عن أبي بكر عن عاصم. وقرأ يعقوب أيضًا على غير سلام.

ثم قال: وهل هذه المختصرات التي بأيدي الناس اليوم كالتيسير والتبصرة والعنوان والشاطبية بالنسبة لما اشتهر من قراءات الأئمة السبعة إلا نزر من كثير، وقطرة من قطر، ونشأ الفقيه الفروعي فلا يروى إلا مثل الشاطبية والعنوان، فيعتقد أن قراءات السبعة محصورة في هذا فقط، ومن كان له اطلاع على هذا الفن رأى أن هذين الكتابين ونحوهما في السبعة كنغبة من دأماء، وتربة من بهماء.

هذا أبو عمرو بن العلاء الإمام الذي يقرأ أهل الشام ومصر بقراءته اشتهر عنه في هذه الكتب المختصرة اليزيدي وعنه رجلان: الدوري والسوسي وعند أهل النقل اشتهر عنه في غير هذه الكتب سبعة عشر راويًا: اليزيدي، وشجاع، وعبد الوارث، والعباس بن الفضل، وسعيد بن أوس، وهارون الأعور، والخفاف، وعبيد بن عقيل، والحسين الجعفي، ويونس بن حبيب، واللؤلؤي، ومحبوب، وخارجة، والجهمي، وعصمة، والأصمعي، وأبو جعفر الرواسي، فكيف يقصد قراءة أبي عمرو على اليزيدي، ويلغي من سواه من الرواة على كثرتهم وضبطهم وديانتهم وثقتهم. وربما يكون فيهم من هو أوثق وأعلم من اليزيدي.

وننتقل إلى اليزيدي فنقول: اشتهر ممن روى عن اليزيدي الدوري

والسوسي وأبو حمدون ومحمد بن أحمد بن جبير وأوقية أبو الفتح وأبو خلاد وجعفر بن حمدان سجادة وابن سعدان وأحمد بن محمد اليزيدي، وأبو الحارث الليث بن خالد، فهؤلاء عشرة فكيف يقتصر على أبي شعيب والدوري ويلغي بقية هؤلاء الرواة الذين شاركوهما في اليزيدي؟! وربما فيهم من هو أضبط منهما وأوثق.

وننتقل إلى الدوري فنقول: اشتهر ممن روى عنه: ابن فرح وابن بشار وأبو الزعراء وابن مسعود السراج والكاغدي وابن برزة وأحمد بن حرب المعدل.

وننتقل إلى ابن فرح فنقول: روى عنه ممن اشتهر: زيد بن بلال وعمر ابن عبد الصمد، وأبو العباس محرز وأبو محمد القطان والمطوعي، وهكذا ننزل هؤلاء القراء طبقة طبقة إلى زماننا هذا.

وهكذا نافع الإمام الذي يقرأ أهل المغرب بقراءته اشتهر عنه تسعة رجال: ورش، وقالون، وإسماعيل بن جعفر، وأبو خليد، وابن جماز، وخارجة، والأصمعي، وكردم، والمسيبي، وهكذا كل إمام من باقي السبعة قد اشتهر عنه رواة غير من في هذه المختصرات فكيف يُلغى نقلهم، ويقتصر على اثنين، وأي مزية وشرف لذينك الاثنين على رفقائهم وكلهم أخذوا عن شيخ واحد وكلهم ضابطون ثقات.

وقال الإمام مؤرخ الإسلام وحافظ الشام وشيخ المحدثين والقراء أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي في ترجمة ابن شنبوذ من طبقات القراء له: أنه كان يرى جواز القراءة بالشاذ، وهو ما خالف رسم المصحف الإمام مع أن الخلاف في جواز ذلك معروف بين العلماء قديمًا وحديثًا وما رأينا أحدًا أنكر الإقراء بمثل قراءة يعقوب وأبي جعفر، وإنما أنكر من أنكر القراءة بما ليس بين الدفتين، وقال الحافظ أبو عمرو الداني صاحب التيسير في طبقاته:

وائتم بيعقوب في اختياره عامة البصريين بعد أبي عمرو، فهم أو أكثرهم

على مذهبه، قال: وقد سمعت طاهر بن غلبون يقول: إمام الجامع بالبصرة لا يقرأ إلا بقراءة يعقوب.

وقال الإمام أبو بكر بن أشتة الأصبهاني، وعلى قراءة يعقوب إلى هذا الوقت أئمة المسجد الجامع بالبصرة، وكذلك أدركناهم.

وقال الإمام شيخ الإسلام أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي - بعد أن ذكر الشبهة التي من أجلها وقع بعض العوام الأغبياء في أن أحرف هؤلاء الأئمة السبعة هي المشار إليها بقوله ﷺ: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**» وأن الناس إنما ثمنوا القراءات وعشروها وزادوا على عدد السبعة الذين اقتصر عليهم ابن مجاهد لأجل هذه الشبه.

ثم قال: وإني لم أقتف أثرهم تثمينًا في التصنيف أو تعشيرًا أو تفريدًا إلا لإزالة ما ذكرته من الشبهة.

وليعلم أنه ليس المراعَى في الأحرف السبعة المنزلة عددًا من الرجال دون آخرين ولا الأزمنة ولا الأمكنة، وأنه لو اجتمع عدد لا يحصى من الأئمة، واختلس كل واحد منهم حروفًا بخلاف صاحبه، وجرد طريقًا في القراءة على حدة في أي مكان كان، وفي أي أوان بعد الأئمة الماضين في ذلك بعد أن كان ذلك المختار بما اختاره من الحروف بشرط الاختيار لما كان ذلك خارجًا عن الأحرف السبعة المنزلة بل فيها متسع إلى يوم القيامة.

وقال الشيخ الإمام العالم الولي موفق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف الكوشي الموصلي في أول تفسيره «التبصرة»: وكل ما صح سنده واستقام وجهه في العربية ووافق لفظه خط المصحف الإمام فهو من السبعة المنصوص عليها، ولو رواه سبعون ألفًا مجتمعين أو متفرقين فعلى هذا الأصل بُني قبول القراءات عن سبعة كانوا أو عن سبعة آلاف، ومتى فقد واحد من هؤلاء الثلاثة المذكورة في القراءة فاحكم بأنها شاذة انتهى.

وقال الشيخ الإمام العلامة شيخ الشافعية والمحقق للعلوم الشرعية أبو

الحسن علي بن عبد الكافي السبكي في شرح المنهاج في صفة الصلاة:

فرع: قال أصحابنا الفقهاء: تجوز القراءة في الصلاة وغيرها بالقراءات السبع ولا تجوز بالشاذة وظاهر هذا الكلام يوهم أن غير السبع المشهورة من الشواذ لا تجوز القراءة به في الصلاة ولا في غيرها، وقد نقل البغوي في أول تفسيره الاتفاق على القراءة بقراءة يعقوب وأبي جعفر مع السبعة المشهورة، قال: وهذا القول هو الصواب.

واعلم أن الخارج عن السبعة المشهورة على قسمين: منه ما يخالف رسم المصحف فهذا لا شك في أنه لا تجوز قراءته لا في الصلاة ولا في غيرها، ومنه ما لا يخالف رسم المصحف ولم تشتهر القراءة به، وإنما ورد من طريق غريبة لا يعول عليها، وهذا يظهر المنع من القراءة به أيضًا، ومنه ما اشتهر عند أئمة هذا الشأن القراءة به قديمًا وحديثًا فهذه للمنع منه، ومن ذلك قراءة يعقوب وغيره، قال: والبغوي أولى من يعتمد عليه في ذلك فإنه مقرئ فقيه جامع للعلوم.

قال: وهكذا التفصيل في شواذ السبعة فإن عنهم شيئًا كثيرًا شاذاً انتهى.

وسئل العلامة قاضي القضاة أبو نصر عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- عن قوله في كتابه جمع الجوامع في الأصول: والسبع متواترة مع قوله: والصحيح أن ما وراء العشر فهو شاذ إذا كانت العشر متواترة، فلم لا قلتم: والعشر متواترة، بدل قولكم: والسبع؟ فأجاب: أما كوننا لم نذكر العشر بدل السبع مع ادعائنا تواترها؛ فلأن السبع لم يختلف في تواترها، وقد ذكرنا أولاً موضع الإجماع ثم عطفنا عليه موضع الخلاف على أن القول بأن القراءات الثلاث غير متواترة في غاية السقوط ولا يصح القول به عمن يعتبر قوله في الدين، وهي القراءات الثلاث: قراءة يعقوب وأبي جعفر بن القعقاع وخلف لا تخالف رسم المصحف.

ثم قال: سمعت الشيخ الإمام-يعني: والده- يشدد النكير على بعض

القضاة وقد بلغه أنه منع من القراءة بها، واستأذنه بعض أصحابنا مرة في إقراء السبع، فقال: أذنت لك أن تقرئ العشر. اهـ

قال المحقق ابن الجزري: وقد جرى بيني وبينه في ذلك كلام كثير وقلت له: كان ينبغي أن تقول: والعشر متواترة ولا بد، فقال: أردنا التنبيه على الخلاف، فقلت: وأين الخلاف وأين القائل به، ومن قال إن قراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف غير متواترة؟ فقال: يفهم من قول ابن الحاجب: والسبع متواترة، فقلت: أي سبع؟ وعلى تقدير أن يكون هؤلاء السبعة -مع أن كلام ابن الحاجب لا يدل عليه- فقراءة خلف لا تخرج عن قراءة أحد منهم، بل ولا عن قراءة الكوفيين في حرف، فكيف يقول أحد بعدم تواترها مع إذعانه بتواتر السبع؟ وأيضًا فلو قلنا إنه يعني هؤلاء السبعة فمن أي رواية ومن أي طريق ومن أي كتاب؟ إذ التلخيص لم يدعه ابن الحاجب ولو ادَّعاه لما سلم له.

بقي الإطلاق، فيكون كل ما جاء عن السبعة، فقراءة يعقوب جاءت عن عاصم وأبي عمرو، وأبي جعفر هو شيخ نافع ولا تخرج عن السبعة من طريق أخرى، فقال: فمن أجل هذا قلت: والصحيح أن ما وراء العشر فهو شاذ، ولا يقابل الصحيح إلا الفاسد، ثم كتبت له استفتاء في ذلك وصورته: ما تقول السادة العلماء أئمة الدين في القراءات العشر التي يقرأ بها اليوم هل هي متواترة أو غير متواترة؟

وهل كل ما انفرد به واحد من العشرة من الحروف متواتر أم لا؟

وإذا كانت متواترة فما يجب على من جحدها أو حرفًا منها؟ فأجابني

ومن خطه نقلت-: الحمد لله. القراءات السبع التي اقتصر عليها الشاطبي، والثلاث التي هي قراءة أبي جعفر وقراءة يعقوب وقراءة خلف متواترة معلومة من الدين بالضرورة، وكل حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول الله ﷺ لا يكابر في شيء من ذلك إلا جاهل،

وليس تواتر شيء منها مقصورًا على من قرأ بالروايات، بل هي متواترة عند كل مسلم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، ولو كان مع ذلك عاميًا جلفًا لا يحفظ من القرآن حرفًا، ولهذا تقرير طويل وبرهان عريض لا تسع هذه الورقة شرحه، وحظ كل مسلم وحقه أن يدين الله-تعالى- وتجزم نفسه بأن ما ذكرناه متواتر معلوم باليقين لا تتطرق الظنون ولا الارتياب إلى شيء منه. والله أعلم. كتبه عبد الوهاب السبكي الشافعي.

وقال الإمام الأستاذ إسماعيل بن إبراهيم بن محمد القراب في أول كتابه الشافي: ثم التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة، وإنما هو من جماع بعض المتأخرين لم يكن قرأ بأكثر من السبع، فصنف كتابًا وسماه السبع، فانتشر ذلك عند العامة وتوهموا أنه لا تجوز الزيادة على ما ذكر في ذلك الكتاب لاشتهار ذكر مصنفه، وقد صنف غيره كتبًا في القراءات بعده، وذكر لكل إمام من هؤلاء الأئمة روايات كثيرة وأنواعًا من الاختلاف، ولم يقل إنه لا تجوز القراءة بتلك الرواية من أجل أنها غير مذكورة في كتاب ذلك المصنف، ولو كانت القراءات محصورة بسبع روايات لسبعة من القراء لوجب ألا يؤخذ عن كل واحد منهم إلا رواية واحدة وهذا لا قائل به.

وينبغي أن لا يتوهم متوهم في قوله ﷺ : «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**» أنه منصرف إلى قراءة سبعة من القراء الذين ولدوا بعد التابعين، لأنه يؤدي إلى أن يكون الخبر متعريًا عن الفائدة إلى أن يولد هؤلاء الأئمة السبعة فتؤخذ عنهم القراءة ويؤدي أيضًا إلى أنه لا يجوز لأحد من الصحابة أن يقرأ إلا بما يعلم أن هؤلاء السبعة من القراء إذا ولدوا وتعلموا اختاروا القراءة به، وهذا تجاهل من قائله.

قال: وإنما ذكرت ذلك لأن قومًا من العامة يقولون جهلاً ويتعلقون

بالخبر ويتوهمون أن معنى السبعة الأحرف المذكورة في الخبر اتباع هؤلاء الأئمة السبعة، وليس ذلك على ما يتوهمونه، بل طريق أخذ القراءة أن تؤخذ عن إمام ثقة لفظًا عن لفظ، إمامًا عن إمام إلى أن يتصل بالنبي ﷺ، والله أعلم بجميع ذلك.

تنبيه: في بيان أن القراءات السبع المشهورة ليست هي الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن تحصل مما هنا، ومما تقدم أن القراءات المنسوبة إلى نافع وعاصم وغيرهما من باقي السبعة المشهورين ليست هي الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن، وذلك باتفاق علماء السلف والخلف، وأنها ليست مجموع الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها باتفاق العلماء المعتبرين، بل القراءات الثابتة عن أئمة القراء كالأعمش ويعقوب وخلف وأبي جعفر وشيبة ونحوهم هي بمنزلة القراءات الثابتة عن هؤلاء السبعة عند من يثبت ذلك عنده، وهذا أيضًا مما لم يتنازع فيه الأئمة المتبعون من أئمة الفقهاء والقراء وغيرهم، وإنما تنازع الناس من الخلف في المصحف العثماني الإمام الذي أجمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان والأئمة بعدهم هل هو بما فيه من قراءة السبعة وتمام العشرة وغير ذلك حرف من الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها، أو هو مجموع الأحرف السبعة؟ على قولين مشهورين. اهـ من النشر.

ذكر بعض القراءات الموافقة لخط المصحف وليست من القراءات السبع المشهورة

وقال الإمام أبو محمد مكي في إبانته: ذكر اختلاف الأئمة المشهورين غير السبعة في سورة الحمد مما يوافق خط المصحف ويقرأ به:

قرأ إبراهيم بن أبي عبلة: ﴿**الحمد لله**﴾ بضم اللام الأولى، وقرأ الحسن البصري بكسر الدال وفيها بعد في العربية ومجازهما الاتباع.

وقرأ أبو صالح: ﴿**مالك يوم الدين**﴾ بالألف والنصب على النداء.

وكذلك محمد بن السميفع اليماني، وهي قراءة حسنة.

وقرأ أبو حيوة: (ملك) بالنصب على النداء من غير ألف.

وقرأ علي بن أبي طالب ﷺ: (ملك يوم الدين) ففتح اللام والكاف ونصب (يوم) جعله فعلاً ماضيًا.

وروى عبد الوارث عن أبي عمرو: (ملك يوم الدين) بإسكان اللام والخفض وهي منسوبة لعمر بن عبد العزيز.

وقرأ عمرو بن قائد الأسواري: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ بتخفيف الياء فيهما، وقد كره ذلك بعض المتأخرين لموافقة لفظه لفظ إيا للشمس وهو ضياؤها.

وقرأ يحيى بن وثاب: ﴿**نستعين**﴾ بكسر النون الأولى وهي لغة مشهورة حسنة وروى الخليل بن أحمد عن ابن كثير: ﴿**غير المغضوب**﴾ بالنصب، ونصبه حسن على الحال أو على الصفة.

وقرأ أيوب السختياني: ﴿**ولا الضالين**﴾ بهمزة مفتوحة في موضع الألف وهو قليل في كلام العرب، فهذا كله موافق لخط المصحف، والقراءة به لمن رواه عن الثقات جائزة لصحة وجهه في العربية وموافقته الخط إذا صح نقله.

قلت: كذا اقتصر على نسبة هذه القراءات لمن نسبها إليه وقد وافقهم عليها غيرهم، وبقيت قراءات أخرى عن الأئمة المشهورين في الفاتحة توافق

خط المصحف وحكمها حكم ما ذكر، ذكرها الإمام الصالح الولي أبو الفضل الرازي في كتاب اللوامح له.

وهي ﴿**الحمد لله**﴾ بنصب الدال عن زيد بن علي بن الحسين بن علي -رضي الله عنهم-.

وعن رؤبة بن العجاج وعن هارون بن موسى العتكي ووجهها النصب على المصدر وترك فعله للشهرة.

وعن الحسن أيضًا: ﴿**الحمد لله**﴾ بفتح اللام اتباعًا لنصب الدال، وهي لغة بعض قيس وإمالة الألف من ﴿**لله**﴾ لقتيبة عن الكسائي ووجهها الكسرة بعد.

وعن أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري: ﴿**رب العالمين**﴾ بالرفع والنصب وحكاه عن العرب، ووجهه أن النعوت إذا تتابعت وكثرت جازت المخالفة بينها، فينصب بعضها بإضمار فعل، ويرفع بعضها بإضمار المبتدأ، ولا يجوز أن ترجع إلى الجر بعد ما انصرفت عنه إلى الرفع والنصب.

وعن الكسائي في رواية سؤدد بن المبارك وقتيبة: (ملك يوم الدين)، وعن عاصم الجحدري: (ملك) بالرفع والألف منونًا ونصب: (يوم الدين) بإضمار المبتدأ وإعمال (مالك) في (يوم).

وعن عون بن أبي شداد العقيلي: ﴿**مالك**﴾ بالألف والرفع مع الإضافة، ورفعه بإضمار المبتدأ وهي أيضًا عن أبي هريرة وأبي حيوة وعمر بن عبد العزيز -رضي الله عنهم-.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ملاَّك يوم الدين) بتشديد اللام مع الخفض وليس ذلك بمخالف للرسم بل يحتمله تقديرًا كما تحتمله قراءة ﴿**مالك**﴾.

وعلى ذلك قراءة حمزة والكسائي: (علام الغيب).

وعن اليماني أيضًا: (مليك يوم) بالياء وهي موافقة للرسم أيضًا كتقدير الموافقة في جبريل وميكائيل بالياء والهمزة، وكقراءة أبي عمرو: (وأكون من

الصالحين) بالواو.

وعن الفضل بن محمد الرقاشي: (أياك نعبد وأياك) بفتح الهمزة فيهما وهي لغة، ورواها سفيان الثوري عن علي أيضًا.

وعن أبي عمرو في رواية عبد الله بن داود الخريبي إمالة الألفِ فيهما ووجه ذلك الكسرة من قبل، وعن بعض أهل مكة: (نعبد) بإسكان الدال، ووجهها التخفيف كقراءة أبي عمرو: (يأمركم) بالإسكان وقيل إنها عندهم رأس آية، فنوى الوقف للسنة وحمل الوصل على الوقف.

وروى الأصمعي عن أبي عمرو: (الزراط) بالزاي الخالصة، وجاء أيضًا عن حمزة، ووجه ذلك أن حروف الصفير يبدل بعضها من بعض وهي موافقة للرسم كموافقة قراءة السين.

وعن عمر ﷺ: ﴿**غير المغضوب**﴾ بالرفع أي: هم غير المغضوب، أو: أولئك.

وعن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ومسلم بن جندب وعيسى بن عمر الثقفي البصري وعبد الله بن يزيد القصير: ﴿**عليهم**﴾ بضم الهاء ووصل الميم بالواو.

وعن الحسن وعن عمرو بن قائد: ﴿**عليهم**﴾ بكسر الهاء ووصل الميم بالياء.

وعن ابن هرمز أيضًا بضم الهاء والميم من غير صلة، وعنه أيضًا بكسر الهاء والميم من غير صلة، فهذه أربعة أوجه، وفي المشهور ثلاثة فتصير سبعة وكلها لغات.

وذكر أبو الحسن الأخفش فيها ثلاث لغات أخرى لو قرئ بها لجاز وهي ضم الهاء وكسر الميم مع الصلة.

والثانية كذلك إلا أنه بغير صلة، والثالثة بالكسر فيهما من غير صلة و لم يختلف عن أحد منهم في الإسكان وقفًا.

قلت: وبقي منها روايات أخرى رويناها منها إمالة ﴿**العالمين**﴾و﴿**الرحمن**﴾ بخلاف لقتيبة عن الكسائي.

ومنها إشباع الكسرة من: (ملك يوم) قبل الياء حتى تصير ياء وإشباع الضمة من: ﴿**نعبد**﴾ و﴿**إياك**﴾ حتى تصير واوًا رواية كردم عن نافع، ورواها أيضًا الأهوازي عن ورش ولها وجه.

ومنها: ﴿**يعبد**﴾ بالياء وضمها وفتح الباء على البناء للمفعول قراءة الحسن وهي مشكلة، وتوجه على الاستعارة والالتفات. اهـ بتصرف يسير.

الخاتمة

في الكلام على الكتابة وأنواعها وحكمها وثمرها
وأول من وضعها وما يتعلق بذلك

فالكتابة والكتاب والكتب مصادر كتب إذا خط بالقلم يقال: كتب قرطاسًا أي خط فيه بالقلم حروفًا، وضمها أي جمع بعضها إلى بعض، وتطلق الكتابة أيضًا على نفس الحروف المكتوبة، والخط تصوير اللفظ بحروف هجائية بتقدير الابتداء به والوقف عليه، والهجاء اللفظ بأسماء الحروف لا مسمياتها لبيان مفرداتها، ومن ثم رسمت همزة الوصل وألف ﴿**لكنا هو**﴾ دون التنوين وواو الصلة ويائها، فإن كان مسمى اللفظ لفظًا نحو اكتب كلمة أو شعرًا فإن دلت قرينة على إرادة اللفظ كتب، وإلا فما ينطبق عليه الاسم، وكذا إذا قيل اكتب جيمًا عيناً فاء راء، وأنواعها اثنا عشر على ما قاله ابن خلكان وتبعه كثير من المؤلفين، خمسة منها ذهب من يعرفها وبطل استعمالها وهي: الحميرية والقبطية والبربرية والأندلسية واليونانية، وثلاثة منها فقد من يعرفها في بلاد الإسلام مستعملة في بلادها، وهي: الهندية والصينية والرومية، وأربعة باقية مستعملة في بلاد الإسلام وهي: السريانية والفارسية والعبرانية والعربية.

قال: والحميرية هي خط أهل اليمن قوم هود، وهم عاد الأولى وهي عاد إرم وكانت تسمى المسند الحميري، وكانت حروفها منفصلة وكانوا يمنعون العامة من تعلمها فلا يتعاطاها أحد إلا بإذنهم، حتى جاءت دولة الإسلام.

وحكم الكتابة من حيث الجملة الجواز، وهو الذي عليه جمهور العلماء، قال أبو الحسن اللخمي: هذا هو الصحيح ولا ينبغي أن يختلف فيه لتقاصر الأعصار وقلة الأفهام.

وقد روي عن بعض السلف الكراهة خيفة الاتكال على الكتابة وترك

الحفظ.

وقد قيل لبعضهم: هل كنتم تكتبون العلم والحديث؟ فقال: نعم، فقيل له: هل كنتم تعولون عليه؟ فقال: لا.

وما ذلك إلا لرجحان عقولهم، فنسأل الله -عز وجل- أن يمنَّ علينا ببعض ما منَّ به عليهم بمنه وكرمه.

ومن كلام العلماء في هذا المعنى قولهم: خير الفقه ما حضرت به، وقولهم: حرف في قلبك خير من ألف في كتابك.

وقولهم: لا خير في كلام لا يعبر معك الوادي ولا يعمر بك النادي.

وقال الشاعر:

يـــا مـــن يرى العلم جمع المال ... خدعت والله ليس الجد كاللعب

العـــلم ويحك ما للصدر تجمعه ... حفظًـــا وفهمًا واتفاقًا فداك أبي

لا مـــا توهمـــه العندي من سفه ... إذ قال ما تبتغي عندي وفي كتبي

وقال الآخر:

لـــيس العلم ما حوى القمطر ... إنمـــا العـــلم مـــا حوى الصدر

والأصل فيها كلام الله -تعالى- وكلام الرسول ﷺ وكلام العرب وكلام العلماء، فمن كلام الله قوله تعالى: ﴿**يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا**﴾، فقيل: الحكمة ها هنا هي الكتابة، وقوله تعالى: ﴿**أو أثارة من علم**﴾ فقيل: الخط أيضًا، وقوله تعالى: ﴿**ن والقلم وما يسطرون**﴾ وقوله تعالى: ﴿**اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم**﴾ فوصف نفسه بأنه علم بالقلم كما وصف نفسه بالكرم -سبحانه وتعالى-، وقوله تعالى: ﴿**الم * ذلك الكتاب**﴾، وقوله تعالى: ﴿**وكتبه ورسله**﴾.

ففي كلامه -تعالى- إرشاد إلى أن كلامه الموحى إلى رسله طريق تخليده تدوينه في الصحف.

ومن كلام الرسول ﷺ ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**قيدوا العلم بالكتابة**».

وما روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه شكا رجل إلى النبي ﷺ سوء حفظه فقال له ﷺ : «**استعن بيمينك على حفظك**».

وما روي عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال للنبي ﷺ : أفأكتب عنك كل ما أسمع منك يا رسول الله؟ فقال له: «**نعم**». فقال: وإن كان في الغضب والرضا؟ فقال: «**وإن كان في الغضب والرضا فإني لا أقول إلا حقًّا**».

وما ورد في جمال الخط من قوله ﷺ : «**الخط الجميل يزيد في الحق وضوحًا**» فكلام الرسول أكد ما أرشد إليه كلام الله تعالى.

ومن كلام العرب قولهم: الخط أحد اللسانين، وحسنه أحد الفصاحتين.

وقولهم: ما كتب قر وما حفظ فرّ.

ومن كلام العلماء ما أنشده سحنون رضي الله عنه:

العلم صيد والكتابة قيد ... قيد صيودك بالقيود الموثقة
فمن الحماقة أن تصيد حمامة ... وتثيرها بين الأوانس مطلقة

وقول الآخر:

تعلم قوام الخط يا ذا ... وباه به النساخ في كل مكتب
فإن كنت ذا مال فخطك ... وإن كنت ذا فقر فأفضل مكسب

وثمرتها: تثبيت الحفظ وتقرير الفهم وإذهاب النسيان وتوصيل العلم وحفظه من الضياع، فهي تذكرة يرجع إليها عند النسيان، لأنه لا يطرأ عليها ما يطرأ على الأذهان لا على أنها المعتمد، بل تكون لرد الشارد كالمستند، ولقد أحسن من قال: الكتابة من أجل صناعة البشر وأعلى شأن، ومن أعظم منافع الخلق من الإنس والجان؛ لأنها حافظة لما يخاف عليه من النسيان، وقاضيته بالصواب من القول إذا حرف اللسان.

وقال آخر: لولا ما عقدته بالكتابة من تجاريب الأولين؛ لانحل مع النسيان عقود الآخرين.

وقد أخطأ من اعتمد على حفظه وغفل عن تقييد العلم في كتب ثقة بما استقر في نفسه؛ لأن التشكيك معترض والنسيان طارئ.

فكان عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- يصلي بالليل فإذا مرت به آية فهم منها شيئًا سلم من صلاته وكتبه في لوح أعده ليعمل به في غده.

وقال بعضهم: الكتابة سبب لتخليد كل فضيلة، وذريعة إلى توريث كل حكمة جليلة، وموصلة لنا ما تلفظ به الحكماء من الألفاظ الجميلة، ومبلغة إلى الأمم الآتية أخبار القرون الخالية، ومعارف الأمم الماضية، تخاطبك بلسان الحال عند تعذر المقال، كان الميت منهم حيًّا بهذا الاعتبار، والمفقود موجودًا بتجدد الأخبار، حتى كان الخالف يشاهد السالف، والجاهل يأخذ عن العارف، فمتى أردت مجالسة إمام من الأئمة الماضين، ومحادثة شيخ من شيوخ المتقدمين، فانظر في كتبه التي صنفها، ومجموعاته التي ألفها، ونوادره التي رسمها، وحكمه التي أحكمها، فإنك تجده مخاطبًا لك ومعلمًا ومرشدًا ومفهما مع ما يحصل لك من الأنس بكتابه وما تستفيده من حكمه وصوابه، ولله در القائل -رحمه الله- في وصف الكتب:

لـــنا جلســـاء لا يمل حديثهم ... ألباء مأمونون غيبًا ومشهدا

يفيدونـــنا من علمهم علم ما ... وعقلاً وتأديبًا ورأيًا مسددا

فـــلا فتـــنة تخشى ولا سوء ... ولا نـــتقى منهم لسانًا ولا

فـــإن قلـــت أحـــياء فلست ... وإن قلـــت أموات فلست

وقال غيره:

نعـــم الأنيس والجليس كتاب ... تســـلو بـــه إن خانـــت

لا مفشـــيًا سرًّا إذا استودعته ... وبـــه لعمـــري حكمـــة

وقال بعضهم: الكتابة منزلة شريفة، وحكمة في البيان لطيفة، فإن كان صاحبها ذا لسان وخط حسن وبيان اجتمع فيه حكمتان، وتحصل له فصاحتان: حكمة في يده وحكمة في لسانه، وفصاحة في لسانه وفصاحة في جنانه، ولم تر الفضلاء من كل جيل والنبلاء من كل قبيل يدونون ما يقع لهم من الكلمات النافعة والحكم الجامعة، ويسارعون إلى حفظها بالكتابة خوفًا من ذهابها بالنسيان أشد المسارعة نظمًا ونثرًا، حتى نشرت في العلم نشرًا، فكم من كلمة قد نفع الله بها بعد قائلها، وفائدة قد خبئت بالكتابة لمتناولها، وكم من حكم رائقة وموعظة جامعة وحجة بالغة وعبرة صادقة قد خزنها الأول للآخر، ونقشها في الحجارة بعد الدفاتر، حنوًا من هذا البشر الذي يرحم بعضه بعضًا، ويدل على ما يختاره لنفسه ويرضى، وقد دونوا أخبار الأجواد، وكتبوا مواقف الشجعان، علمًا بأن الناس يقتدي بعضهم ببعض، قال بعضهم في الحث على التكرم وعدم إغفاله رحمه الله- ومن نسج منواله:

إني سألت عن الكرام فقيل لي ... إن الكرام رهائن الأرماس

ذهب الكرام وجودهم ونوالهم ... وحديثهم إلا من القرطاس

ولقد بالغ الناس في تخليد المواعظ والحكم والأمثال فنظموها في الأسفار ونقشوها على الأحجار بجدران الجوامع وفظان المجامع:

قال العلامة أبو الحسن علي بن محمد السخاوي: وقد رأيت في جامع بلدنا على بعض سواريه الرخام منقوشًا بالحديد:

حضر في هذا الموضع المبارك سليمان بن كعب الأحبار وهو يقول: من خان هان إلى أن قال: وقد كتب الناس على الجدران والقبور وفي الأحجار من المواعظ ما لا يكاد يحصى، ومما رأيت أنا من ذلك على قبر ابن عبادة بمصر -رحمه الله تعالى-:

يا ماشيًا بالقبور زهوًا ... لم تثنه للقبور ريح

عـــرج عليلاً على غريب قـــد ضــمه مفردًا ضريح
بيـــت تســاوى الأنام فيه العـــبد والســيد الصريح
وقـــف علـــيه وجد يرجى لعلـــه فـــيه يســـتريح

ورأيت على سارية ببعض أطراف مصر بمدينة قد تداعت أرجاؤها وتقوض بناؤها وجلا عنها سكانها:

رعى الله من يدعو لنا في طريقنا بصنع جميل والرجوع إلى مصر
ومـــن رأى ما قد كتبناه دارسًا أعـــاد علـــيه بالمداد أو الحبر

ولذا قال اللبيب في شرح العقيلة: قد صنف المصنفون من هذه الأمة كتبًا ما لها عدد في كل فن.

أخبرني سيدي الشيخ يوسف القادسي أنه رأى في غرناطة عند بعض الطلبة كتابًا ضخمًا في القالب الكبير وعلى ظهر الكتاب مكتوب: السفر السادس والخمسون من أسماء الكتب، ولم ير ما بقي بعده، ليس في هذا السفر إلا اسم الكتاب واسم مؤلفه وبلده وزمانه خاصة.

فانظر كم تضمنت هذه الأسفار عدة أسماء كتب. اهـــ

وغير ذلك مما يفيد الحث على الكتابة من كلام الحكماء كثير لا يحصيه لسان ولا يسعه ديوان، فلولا الكتابة ما وصل كلام الأوائل إلينا ولا بلغ علمهم لدينا.

ولما كان كل من أراد إبقاء حكمة أو تخليد علم أو فضيلة لا يجد لذلك أقوى من كتبه ولا أوثق من رسمه، وكان كتاب الله -عز وجل- أولى بذلك من كل كتاب وأحق به من كل خطاب.

كان الصحابة -رضي الله عنهم- يكتبون ما يسمعونه من في رسول الله ﷺ من القرآن في الصحائف والرقاع مخافة النسيان والضياع إلى أنه اقتضى رأيهم الصائب جمعه في المصاحف لتكون رقيمة يُهتدى بها ويرجع إليها ويرتفع الخلاف معها والتراع عندها، فينبغي لنا معرفة كيفية رسمهم ذلك

لنعمل بالموافق ونترك المخالف.

إذ اتباعهم واجب علينا لا محالة ومخالفتهم بدعة وضلالة، وأول من وضعها آدم -عليه السلام-... خرج ابن أشتة في كتاب المصاحف بسنده عن كعب الأحبار، قال: أول من وضع الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها -يعني الاثني عشر المتقدم بيانها- آدم -عليه السلام-، كتبها -أي تلك الخطوط- في طين وطبخه -يعني أحرقه- ودفنه قبل موته بثلثمائة سنة، فلما أصاب الأرض الغرق في زمن نوح -عليه السلام- بقيت تلك الكتب والخطوط، فبعد الطوفان أصاب كل قوم كتابًا فتعلموه بإلهام ونقلوا صورته واتخذوه أصل كتابهم، وبقي الكتاب العربي حتى خص الله به إسماعيل -عليه السلام- فأصابه، وأما ما ورد من خط إدريس -عليه السلام- فقيل: المراد خط الرمل.

وأول من تكلم بالعربية إسماعيل بن إبراهيم الخليل -عليهما السلام- إلهامًا من الله -تعالى- قاله صاحب نظم الدرر في فضل سيد البشر.

واختلف في أول من كتب الخط العربي فقيل آدم، وهو ما تقدم عن كعب الأحبار. وقيل هود.

ذكر ابن هشام في كتاب التيجان عن وهب: أن الله -تعالى- أنزل على هود عليه السلام هذه الأحرف (أ ب ت ث) إلى الياء تسعة وعشرين حرفًا لفضل اللسان العربي على العجمي والسرياني والعبراني، وأنزل عليه: يا هود إن الله آثرك وذريتك بسيد الكلام، وبه يكون لكم استطالة وفضيلة على جميع العباد، حتى يختم الله نبوته بمحمد ﷺ.

وقيل إسماعيل -عليه السلام-، وإن حروفه كلها متصلة حتى الألف والراء بعكس الحميرية إلى أن فصلها من بعضها ولداه قيدر والهميسع.

قال ابن عبد البر: عن النبي ﷺ: «**أول من كتب** -أي الكتاب العربي- **إسماعيل عليه السلام**»، وجاء نحوه عن ابن عباس. اهـ

وقيل: حمير بن سبأ علمه منامًا.

وقيل: ثمانية رجال وهم ملوك مدين أسماؤهم أبجد... إلخ.

روي عن عروة بن الزبير ﷺ : أن أول من كتب بالعربية قوم من الأوائل أسماؤهم: أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت إلخ، وكانوا ملوكًا. اهـ

وهذا القول إنما يجري على القول بأن هذه الكلمات أسماء للملوك، لأن فيها عند أهل العلم ثلاثة أقوال: هي أسماء للملوك، أو أسماء للحروف، أو أسماء للشياطين، وقال الحلبي في السيرة: الصحيح أن أول من كتب بالعربية من ولد إسماعيل -عليه السلام-: نزار بن معد بن عدنان.

وقيل: رجل اسمه مرامر من أهل الأنبار. قاله أبو محمد بن قتيبة في كتاب المعارف.

وقيل: ثلاثة رجال: مرامر بن مرة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة، فمرامر وضع الصدر، وأسلم وضع الوصل والفصل، وعامر وضع الإعجام.

وهذا القول حكاه المقري.

وذكر الحافظ أبو عمرو الداني بسنده إلى زياد بن أنعم، قال: قلت لعبد الله بن عياض: معاشر قريش هل كنتم تكتبون في الجاهلية بهذا الكتاب العربي تجمعون فيه ما اجتمع وتفرقون فيه ما افترق هجاء بالألف واللام والميم والشكل والقطع وما يكتب به اليوم قبل أن يبعث النبي ﷺ ؟ قال: نعم.

قلت: فمن علمكم الكتابة؟ قال: حرب بن أمية. قلت: فمن علم حرب بن أمية؟ قال: عبد الله بن جدعان. قلت: فمن علم عبد الله بن جدعان؟ قال: أهل الأنبار. قلت: فمن أهل الأنبار؟ قال: طارئ طرأ عليهم من أهل اليمن من كندة. قلت: فمن علم ذلك الطارئ؟ قال: الخلجان بن الموهم كاتب هود نبي الله -عليه السلام- بالوحي عن الله -عز وجل-. اهـ

وذكر الجعبري بسنده إلى الشعبي، قال: سألنا المهاجرين من أين

تعلمتم الكتابة؟ قالوا: من أهل الحيرة، وسألناهم: من أين تعلموها؟ قالوا: من أهل الأنبار.

وقال أبو بكر بن أبي داود: عن علي بن حرب عن هشام بن محمد بن السائب قال: تعلم بشر بن عبد الملك الكتابة من أهل الأنبار، وخرج إلى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية.

قال: وقال غير علي: علم بشر سفيان بن حرب الخط، وعلم حرب عمر بن الخطاب ﷺ وجماعة من قريش، وتعلم معاوية من عمه سفيان. اهـ ثم قال: والخط الذي علمه حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف قريشًا هو الخط الكوفي، ثم استُنبط منه نوعٌ نسب إلى ابن مقلة، ثم آخر نسب إلى علي بن البواب وعليه استقر رأي الكتاب. اهـ

وقال السيوطي في المزهر: والمشهور عند أهل العلم ما رواه ابن الكلبي عن عوانة، قال: أول من كتب بخطنا هذا -وهو الجزم- مرامر بن مرة وأسلم ابن سدرة أي وكذا عامر بن جدرة وهم من عرب طيئ تعلموه من كاتب الوحي لسيدنا هود -عليه السلام-، ثم علموه أهل الأنبار، ومنهم انتشرت الكتابة في العراق: الحيرة وغيرها، فتعلمها بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل، وكان له صحبة بحرب بن أمية لتجارته عندهم في بلاد العراق، فتعلم حرب منه الكتابة ثم سافر معه بشر إلى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان فتعلم منه جماعة من أهل مكة، فبهذا كثر من يكتب بمكة من قريش قبيل الإسلام، ولذلك قال رجل كندي من أهل دومة الجندل يمن على قريش بذلك:

لا تجحدوا نعماء بشر عليكم ... فقد كان ميمون النقيبة ازهرا
أتاكم بخط الجزم حتى حفظتمو ... من المال ما قد كان شتى مبعثرا
واتقنتموها كان بالمال مهملا ... وطامنتمو ما كان منه مبقرا
فجريتم الأقلام عودا وبدأه ... وضاهيتمو كتاب كسرى وقيصرا

وأغنيتموه عن مسند الحي حمير وما زبرت في الصحف أقلام حميرا

وإنما قال: أتاكم بخط الجزم، كما قال عوانة: بخطنا هذا وهو الجزم، لأن الكوفي كان قبل وجود الكوفي يسمى الجزم، لكونه جزم أي اقتطع وولد من المسند الحميري كما في الاقتضاب شرح البطليوسي على أدب الكاتب.

والذي اقتطعته مرامر وصاحباه علي ما مرَّ عن المزهر، وقال السيوطي أيضًا في المزهر: وكان ممن اشتهر بالكتابة من عظماء الصحابة الفاروق عمر وعثمان وعلي وطلحة وأبو عبيدة من المهاجرين وأبي بن كعب وزيد بن ثابت من الأنصار. اهـ

وأما المدينة المنورة بأنوار ساكنها عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام فلم تكثر الكتابة العربية فيها إلا بعد الهجرة بأكثر من سنة.

وذلك أنه لما أسرت الأنصار سبعين رجلاً من صناديد قريش وغيرهم في غزوة بدر السنة الثانية من الهجرة جعلوا على كل واحد من الأسرى فداء من المال، وعلى كل من عجز عن الافتداء بالمال أن يعلم الكتابة لعشرة من صبيان المدينة فلا يطلقونه إلا بعد تعليمهم.

فبذلك كثرت فيها الكتابة وصارت تنتشر في كل ناحية فتحها الإسلام في حياته عليه الصلاة والسلام وبعده كما في السيرة.

والذين كتبوا من الصحابة كانوا الغاية القصوى في الحذق بالهجاء.

وقد أخطأ من قال: لم تكن العرب أهل كتابة ففي هجائهم ضعف وقوله ﷺ : «**إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب**» إخبار عن المبدأ والغالب.

فائدتان:

الأولى: كان النبي ﷺ أميًّا لكن لا بالمعنى الشرعي بل بالمعنى اللغوي وهو الذي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب قال -تعالى-: ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم**﴾ ، وقال -تعالى- أيضًا: ﴿**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك**﴾ ، وقال ﷺ: «**نحن أمية أمية لا نكتب ولا نحسب**»

وكان ذلك معجزة له وكمالاً في حقه وإن كان نقصًا في حق غيره، قال البوصيري -رحمه الله-:

كفاك بالعلم في الأمن معجزة   في الجاهلية والتأديب في اليتم

وإنما لم يكتب بيده الشريفة ﷺ، قيل: لأنه بعث لتبييض السواد لا لتسويد البياض.

وقيل: لأن القلم عكاز القاضي الذي لا يحفظ شيئًا، كما أن العود عكاز الأعمى الذي لا يبصر شيئًا.

وقيل: لئلا يدخل خطه إذا وقع في يده من لا يعرف قدره.

وقيل: لئلا يظن أنه مصنف القرآن، وهذا أوجه الأقوال، قال -تعالى- ﴿**ولاتخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون**﴾ وقيل غير ذلك.

الثانية: روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن الخط توفيقي لقوله -تعالى-: ﴿**علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم**﴾ وقوله -تعالى- أيضًا: ﴿**ن والقلم وما يسطرون**﴾ .

وفي الحكم بسنده إلى عبد الله بن سعيد قال: بلغنا أنه لما عرضت حروف المعجم على الرحمن تبارك اسمه وتعالى جده، وهي تسعة وعشرون حرفًا تواضع الألف من بينها فشكر الله له تواضعه فجعلوه قائمًا أمام كل اسم من أسمائه -تعالى-.

قال الجعبري: والقياس أن يكون لكل حرف منها شكل لكن تركوا بينها على حد المشتركات فرجعت إلى سبعة عشر شكلاً يأتلف وصله ويختلف وانقسمت إلى عديم النظير وما له نظير واحد ومتعدد، فاحتاجت إلى تمييز، والنقط أقله.

فالمتوحد مستغن عن النقط بنصه، والذي له نظير واحد يميز بنقطه.

والمتعدد يميز بتعدد النقط إلى أقل الجمع.

فالمنقوط يسمى معجمًا -أي مزال العجمة- وكذا المهمل أيضًا لأن

ترك العلامة في المنحصر علامة. اهـ ببعض اختصار.

قال في فتح الرحمن بشرح مورد الظمآن: وتحقيق ذلك أن للشيء وجودًا في الأعيان ووجودًا في الأذهان ووجودًا في العبارة ووجودًا في الكتابة، فالكتابة تدل على العبارة وهي على ما في الأذهان وهي على ما في الأعيان، وإذا كان الخط دليلاً على العبارة وهي منحصرة في تسعة وعشرين حرفًا اقتضت الدلالة أن يكون لكل حرف منها شكل يخصه، ولا مدخل للام ألف إذ هو حرف تركيبي لكن أهملت الهمزة من الشكل لكثرة خروجها عن حالها إما بالإبدال المحض وإما بالامتزاج وإما بالحذف فاستغني عنها بما تئول إليه في التخفيف، وأهملوا المحذوفة فيه، ورسموا المبتدأة ألفًا وإلى ذلك أشار ابن معطي -رحمه الله تعالى- بقوله:

وكتبوا الهمز على التخفيف وأولا بالألف المعروف

ثم ترك في بعض الصور حرفان وفي بعض ثلاثة وفي بعض خمسة . فالأول: أشكال حروف (سطر فصدع) ونظائرها المعجمات.

والثاني: شكل الجيم وتالييه -أي الحاء والخاء-.

والثالث: شكل حروف (ثبتي) فانتقض بالتشريك في الأول سبعة لأجل تمييزها بالإعجام وهي: الشين والظاء والزاي والقاف والضاد والذال والغين، وفي الثاني اثنان وفي الثالث أربعة تبقى صورة واحدة.

وسلم من الاشتراك ستة وهي حروف: (كل ما هو) إذ لا نظير لها فرجع العدد إلى خمسة عشر، فالمتوحد غني عن النقط، والمشترك محتاج إلى ما يميز أحد المشتركين أو المشتركات.

وأقل ما يقع به التمييز نقطة فزيدت في أحد المشتركين فرقًا بينه وبين الآخر، لكن خولف ذلك في الشين فزيد في أعلاه ثلاث مناسبة لشكله، وفي الفاء والقاف فنقطا معًا أولهما عند أهل المغرب واحدة من أسفل، وثانيهما من أعلى، وعند أهل المشرق أولهما واحدة من فوق، وثانيهما اثنتان كذلك،

وزيدت في أحد المشتركات الثلاث من أسفل، وفي الآخر من فوق وعري الثالث.

وزيدت في أحد المشتركات الخمسة من أسفل وفي الآخر من فوق، ثم زيدت على الواحدة في الثالثة أخرى من فوق وفي الرابع أخرى من أسفل، وفي الخامس ثالثة من فوق ولم يكتفوا بالتعرية في حرف من هذا الشكل لصغره وكثرة المشتركات، فاحتيج إلى مزيد تمييز، وكل هذه الأشكال توصل بما قبلها وهي في وصلها بما بعدها وفصلها عنه قسمان: مفصول وهي حروف (ذوازرد) وموصول، وهو قسمان: مؤتلف أي متفق الوصل والفصل وهي حروف (كتب فظ تبط) .ومختلفهما وهو الباقي أربعة عشر حرفًا وهي: (ج ح خ ل م ن ص ض ع غ ق س ش هـ) ثم إن عرض في الفصل البيان باختصاص الصورة المتطرفة بالحرف وذلك في حروف (لينفق) فوجهان: النقط وعدمه، وعليه اقتصر في المحكم وقال في الدرة:

وجملة المنقوط في ... عشر وخمس بعد في

إن وصلت فانقط ... واتركه إن ما بعيد تفرق

ثم استعير شكل الياء لمهمل وهو الهمزة أهمل من النقط.

قال الجعبري: إلا أن يقصد البدل. اهـ

قال في فتح المنان: ومعناه -والله أعلم- ما قاله المرادي عند قول ابن مالك: «وفي فاعل ما أعل عينا ذا اقتفى»، أن صورة الهمزة لا تنقط إلا حيث يكون قياس تخفيفهما البدل كما إذا انفتحت بعد كسرة فإنها إذا كتبت على نية الإبدال نقطت. اهـ

وقال في كشف الغمام ما حاصله: أن مذهب القراء نقط الياء التي هي صورة للهمزة، وللنحاة في عدم نقطها مطلقًا أو إلا أن ينوي بها البدل قولان، فالمجموع ثلاثة أقوال وأظهرها النقط، لأنها ما لم تنقط مزاحة لمشاركتها في الصورة... إلى أن قال: والظاهر أن الياء العوض من الألف والمزيدة كذلك

لما تقدم. اهـ

قال في روضة البستان: والذي جرى به العمل النقط في الياء مطلقًا ما لم تكن طرفا سواء أكانت مزيدة أو عوضًا من الألف أو أصلية. اهـ

ثم المنقوط من هذه الحروف يسمى معجمًا كما تقدم، ففي القاموس: أعجم الكتاب نقطه كعجمة وعجمة. وقول الجوهري: لا تقل عجمت، وهم، وحروف المعجم أي الإعجام مصدر كالمدخل أي من شأنه أن يعجم. اهـ وفي المختار: العجم: النقط بالسواد كالتاء عليها نقطتان، يقال: أعجم الحرف وعجَّمه أيضًا تعجيمًا، ولا يقال عجَمه ومنه حروف المعجم، وهي الحروف المقطعة التي يختص أكثرها بالنقط من بين سائر حروف الأمم.

ومعناه حروف الخط المعجم كقولهم: مسجد الجامع وصلاة الأولى، أي مسجد اليوم الجامع وصلاة الساعة الأولى، وناس يجعلون المعجم بمعنى الإعجام مصدرًا مثل المخرج والمدخل، أي من شأن هذه الحروف أن تعجم، وأعجم الكتاب ضد أعربه. اهـ

وقوله: النقط بالسواد أي بحسب الأصل والغالب.

وإلا فقد يكون بغيره إذا كتب به، وهذا النقط هو الدال على ذات الحرف ويقال بالاشتراك على النقط الدال على عوارضه من حركة وسكون، والدال على ذات الحرف هو نقط الإعجام، والدال على عوارضه من حركة وسكون، والدال على ذات الحرف، والدال على عوارضه هو نقط الإعراب ونحوه والحرف لفظ مشترك. قال في المختار: حرف كل شيء طرفه وشفيره وحده، والحرف واحد حروف النهجي. اهـ

وفي المصباح: وحرف المعجم يجمع على حروف.

قال الفراء وابن السكيت: وجميعها مؤنثة ولم يسمع التذكير في شيء منها ويجوز تذكيرها في الشعر، وقال ابن الأنباري: التأنيث في حروف المعجم عندي على معنى الكلمة، والتذكير على معنى الحرف.

وقال البارع: الحروف مؤنثة إلا أن تجعلها اسمًا فعلى هذا يجوز أن يقال هذا جيم وهذه جيم وما أشبهه. اهـ

تنبيه:

علم مما تقدم منع كتابة القرآن الكريم بالخط العربي على خلاف الرسم العثماني، فمنع كتابته بغير الخط العربي من باب أولى، وكذا تمنع قراءته بغير اللسان العربي لقوله تعالى: ﴿**بلسان عربي مبين**﴾ وفي الإتقان للجلال السيوطي بعد نقله كلام الجويني في تقسيم المترل إلى قسمين: ما نزل جبريل بمعناه، وما نزل جبريل بلفظه ما نصه:

قلت: القرآن هو القسم الثاني والقسم الأول هو السنة، كما ورد أن جبريل كان يترل بالسنة، كما يترل بالقرآن.

ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى لأن جبريل أدّاه بالمعنى، ولم تجز القراءة بالمعنى لأن جبريل أدّاه باللفظ، ولم يبح له إيحاؤه بالمعنى، والسر في ذلك أن المقصود منه التعبد بلفظه والإعجاز به، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه؛ لأن تحت كل حرف منه معاني لا يحاط بها كثرة، فلا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه، والتخفيف على الأمة حيث جعل المترل إليهم على قسمين: قسم يروونه بلفظه الموحى به، وقسم يروونه بالمعنى ولو جعل كله مما يروى باللفظ لشق، أو بالمعنى لم يؤمن التبديل والتحريف فتأمل. اهـ

وأيضًا القرآن إنما هو اللفظ المترل على سيدنا محمد ﷺ المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه الذي صح سنده، ووافق العربية، واحتمله رسم المصاحف العثمانية، قال المحقق ابن الجزري في طيبته:

فكـــل مـــا وافق وجه نحو — وكان للرسم احتمالاً يحوي
وصـــح إسنادًا هو القرآن — فهـــذه الـــثلاثة الأركان
وحيـــنما يختل ركن أثبت — شـــذوذه لو أنه في السبعة

فلا يسمى قرآنًا إلا ما اجتمعت فيه هذه الأركان الثلاثة.

اللهم أحسن ختامنا، واجعل القرآن إمامنا، واجعله حجة لنا ولا تجعله حجة علينا، وارزقنا العمل بمقتضاه وتلاوته على الوجه الذي ترضاه، وانفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا، وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع والمصادر

إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للشيخ الدمياطي- ط عبد الحميد الحنفي.

تقريب النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ط القاهرة- مصطفى البابي الحلبي.

التيسير في القراءات السبع تأليف أبي عمرو الداني- ط بغداد مكتبة المثنى.

الحجة في علل القراءات تأليف أبي علي الفارسي، ط القاهرة ١٩٦٥م.

الحجة في القراءات السبع (المنسوب إلى ابن خالويه)، تأليف د: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت.

الكشف عن وجوه القراءات السبع، تأليف مكي بن أبي طالب القيسي ط بدمشق ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤م.

معاني القرآن، للفراء، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٥٥ ١٩٧٢.

معالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء، تأليف الشيخ محمود الحصري، طبعة شركة ومطابع الشمرلي بالقاهرة.

إدغام القراء، تأليف أبي سعيد السيرافي ت ٣٦٨ هـ تحقيق دكتور/ محمد على عبد الكريم الرديني، مطبعة الأمانة بشبرا مصر.

السبعة في القراءات، لابن مجاهد، تحقيق دكتور شوقي ضيف، طبعة القاهرة ١٩٧٢.

الأصوات اللغوية، دكتور/ إبراهيم أنيس ، مطبعة الأنجلو المصرية.

الأصوات في قراءة أبي عمرو، للدكتور/ عبد الصبور شاهين رسالة ماجستير ، القاهرة دار العلوم ١٩٦٢م- ١٣٨١هـ.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي،

القاهرة ١٩٤٥م.
تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (التفسير المسمى بالجامع لأحكام القرآن - طبعة دار الحديث بالقاهرة).
غاية المريد في علم التجويد، تأليف الأستاذ/ عطية قابل نصر، طبعة دار الحرمين للطباعة بالقاهرة.
عمدة المجيد (فتح المجيد شرح كتاب العميد) تأليف الأستاذ/ محمود على بسة، طبعة المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة.
مختصر في مذاهب القراء السبعة بالأمصار، تأليف الإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ) تحقيق/ أحمد محمود عبد السميع أبو سنادة المسمى بدر أبو ماضي الموسى، طبعة دار الكتب العلمية -بيروت.
المستنير في تخريج القراءات المتواترة، تأليف دكتور/ محمد سالم محيسن، مطبعة القاهرة.
المبسوط في القراءات العشر للأصبهاني، المتوفى٣٨١ هـ، ط مؤسسة علوم القرآن بيروت.
الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم الكوفي ، تأليف بدر أبو ماضي عبد السميع، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
التبيان في آداب حملة القرآن تأليف أبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي، طبعة دار الدعوة للطبع والنشر بالقاهرة.
منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣ هـ تحقيق دكتور عبد الحي الفرماوي، دار المطبوعات الدولية ١٩٧٧م.
فصل الخطاب في سلامة القرآن الكريم، تأليف دكتور/ أحمد السيد الكومي، دكتور محمد أحمد يوسف القاسم، طبعة ثانية عيسى الحلبي، ١٩٧٤م.
روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي المتوفى سنة ١٢١٧ هـ، طبعة مصورة عن طبعة دار التراث.

المقنع في رسم مصاحف الأمصار، لأبي عمرو الداني المتوفي سنة (٤٤٤ هـ) تحقيق: أوتو برتزل، مطبعة الدولة استانبول ١٩٣٢م.

قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله، للأستاذ جلال العالم، طبعة دار الاعتصام.

الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، للدكتور/ محمد أحمد يوسف القاسم، الأولى ١٣٩٩هـ ١٩٧٩ م.

عون الرحمن في حفظ القرآن، تأليف: أبي ذر القلموني، طبعة دار العلوم العربية، خلف الجامع الأزهر بالقاهرة.

ففروا إلى الله، تأليف أبي ذر القلموني، طبعة دار العلوم العربية بالقاهرة.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع عيسى الحلبي ١٩٦٤م.

تفسير القرآن العظيم، تأليف الحافظ ابن كثير، دار إحياء الكتب العربية القاهرة.

البحر المحيط، تأليف أبي حيان الأندلسي، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٢٨هـ

أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، للإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المتوفى سنة ٧٦١ هـ تحقيق عبد المتعال الصعيدي، طبع سنة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، دار العلوم الحديثة، بيروت، لبنان.

معاني الحروف، تأليف أبي الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ. تحقيق د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م ، دار الشروق للنشر والتوزيع- جدة- السعودية.

فهرس التجديد

الموضوع	الصفحة
المقدمة.	٥
وجوب علم التجويد، وأهمية التلقي من أفواه المشايخ.	١٠
مسائل ظن البعض أنها نوع واحد.	١٤
موجز عن تاريخ التجويد والقراءات.	٢١
القراءات المتواترة.	٢٦
الأحرف السبعة	٣١
الحكمة من إنزال القرآن الكريم بالأحرف السبعة.	٣٤
صلة القراءات السبع بالأحرف السبعة.	٣٤
آداب حامل القرآن.	٣٥
فصل في الأمر بتعهد القرآن.	٤١
في كتابة القرآن وإكرام المصحف.	٤٢
حول شكل المصحف وإعجامه.	٤٧
كيفية حفظ وتثبيت القرآن.	٥٦
كيفية تلاوة القرآن الكريم وما الواجب على مبتدئ تعلم التجويد أن يتعلمه أولاً.	٧١
نبذة مختصر عن جمع القرآن.	٨٢
تقسيم مخارج الحروف.	٩١
ترتيب المخارج الخاصة الفرعية حسب ورودها في المخارج العامة.	٩٣
ترتيب المخارج بترتيب حروف المعجم.	٩٤
ألقاب الحروف وعددها عشرة.	٩٨
خلاف العلماء حول عدد المخارج.	١٠٠
تقسيم صفات الحروف.	١٠٣

تماثل وتقارب وتجانس وتباعد الحروف.	١١٥
حكم المثلين والمتقاربين والمتباعدين.	١١٧
الوقف والابتداء.	١١٩
أهمية الوقف والابتداء وفوائدهما والأصل في ذلك.	١١٩
تعريف الوقف والوصل والسكت والقطع ومحل كل منها.	١٢١
أقسام الوقف في ذاته وتعريف كل منها ووجه تسميته باسمه وحكمه.	١٢٢
أقسام الوقف الاختياري	١٢٣
تعريف الوقف التام ووجه تسميته تامًّا وصوره وحكمه.	١٢٣
تعريف الوقف الكافي ووجه تسميته كافيًا وصوره وحكمه.	١٢٤
تعريف الوقف الحسن ووجه تسميته حسنًا وصوره وحكمه.	١٢٥
تعريف الوقف القبيح ووجه تسميته قبيحًا وصوره وحكمه.	١٢٧
فوائد تتعلق بالوقف والابتداء.	١٢٨
بعض ما يصح الابتداء به والوقف على ما قبله وما لا يصح.	١٢٨
أنواع أخرى من الوقف.	١٢٨

فهرس الكواكب

الموضوع	الصفحة
خطبة الكتاب	١٣٥
الباب الأول: في الكلام على حديث: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، وفيه ثمانية فصول:	١٣٧
الفصل الأول: في بيان طرقه.	١٣٧
الفصل الثاني: في بيان المراد بالأحرف السبعة.	١٤١
الفصل الثالث: في ترجيح أن المراد بالأحرف أوجه من اللغات.	١٤٣
الفصل الرابع: في بيان سبب ورود القرآن على سبعة أحرف.	١٤٤
الفصل الخامس: في بيان أن اختلاف الأحرف السبعة اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض.	١٤٦
الفصل السادس: في بيان فوائد اختلاف القراءات.	١٥٠
الفصل السابع: في بيان ما يعتمد عليه في نقل القرآن وأنه جمع كله في حياة النبي ﷺ.	١٥٥
الفصل الثامن: في بيان من جمع القرآن من الصحابة في حياة النبي ﷺ.	١٥٧
الباب الثاني: في الكلام على سبب جمع القرآن ومن جمعه وفيه فصلان:	١٦٠
الفصل الأول: في بيان سبب الجمع وأن زيدًا جمع القرآن كله بجميع وجوه قراءته في زمن أبي بكر رضي الله عنهما.	١٦٠
الفصل الثاني: في بيان من وضعت عنده الصحف التي جمع زيد فيها القرآن زمن أبي بكر رضي الله عنه وسبب جمع القرآن من تلك الصحف في المصاحف في زمن عثمان رضي الله عنه ومن جمعه.	١٦٧
الباب الثالث: في الكلام على المصاحف العثمانية وفيه خمسة فصول:	١٧١
الفصل الأول: في بيان ما اشتملت عليه المصاحف من القراءات.	١٧١
الفصل الثاني: في بيان ما فعله عثمان بالمصاحف التي كتبت في زمنه وبالصحف التي كتبت في زمن أبي بكر رضي الله عنهما.	١٧٤

الفصل الثالث: في بيان حكم تحريق المصحف. ١٧٦
الفصل الرابع: في بيان عدد المصاحف العثمانية. ١٧٧
الفصل الخامس: في بيان الفرق بين المصاحف والصحف وبين جمع أبي بكر وجمع عثمان رضي الله عنهما. ١٧٨
الباب الرابع: في الكلام على ما يجوز من القراءات وما لا يجوز وفيه ثلاثة فصول: ١٨٠
الفصل الأول: في بيان ضابط ما يسمى قرآنًا. ١٨٠
الفصل الثاني: هل يكفي في ثبوت القراءة صحة السند أو لا بد من التواتر. ١٨٤
الفصل الثالث: في بيان حكم القراءة بالقياس وحكم التلفيق في القراءة وتقسيم القراءات إلى ستة أنوع. ١٨٧
الباب الخامس: في الكلام على حكم اتباع رسم المصاحف العثمانية وفيه فصول وتنبيهات وتتمة وفائدة مهمة. ١٩٠
فصل: في ذكر أدلة وجوب اتباع رسم المصحف العثماني. ١٩١
تنبيهات: ١٩٦
الأول : في ذكر بعض فوائد الرسم العثماني وبعض مضار مخالفته. ١٩٦
التنبيه الثاني: في بيان أن رسم القرآن توفيقي. ١٩٨
تتمة: في بيان بطلان ما ادعاه الملحدة من التغيير أو التحريف في القرآن. ٢٠٢
فائدة مهمة وخاتمة. ٢٠٦
ذكر بعض القراءات الموافقة لخط المصحف وليست من القراءات السبع المشهورة ٢٢١
الخاتمة ٢٢٥
المراجع والمصادر ٢٤١
فهرس موضوعات التجديد ٢٤٥
فهرس موضوعات الكواكب ٢٤٧